الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢١٥) ـ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ ـ (أكتوبر/ نوفمبر) ١٩٩٤م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (215) OCT/NOV 1994

تقنيات الإعلام تخترق حجب الخصوصية!

برج لندن: سر الغربان والأشباح!

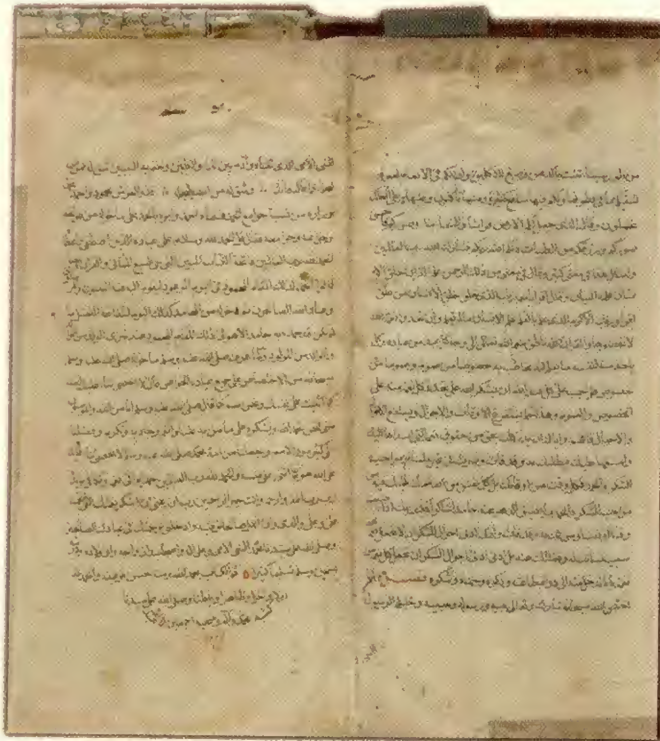
"إنسان بلتداون" ضلل الداروينيين أربعين عامًا!



الصولتية

أولى المدارس في أم القرى





موجبات الرحمة وعزائم المغفرة

لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن محمد الشهير بابن الرداد القرشي التميمي الزبيدي الشافعي المتوفى سنة (٨٢١هـ).

وقد رتبه المؤلف على واحد وعشرين كتابًا في الفضائل والأذكار والعبادات وعمل اليوم والليلة، بدأه بالكتاب الأول وهو مقدمة الكتاب في فضيلة الذكر والدعاء، والكتاب الثاني كتاب الأذكار المتعلقة بحال الانتباه من النوم، ومايتعلق بذلك من لبس الثياب ودخول الخلاء والخروج منه، وهكذا في سائر الأعمال التي يقوم بها المسلم من طهارة وصلاة وتلاوة للقرآن وجهاد وسفر ولباس ومأكل ومشرب ونكاح ومرض وموت وكل مايتعلق بتلك الأمور من أذكار وأدعية وأحكام وفضائل. وختمه بالكتاب الحادي والعشرين، وهو كتاب الحمد والشكر.

تقع المخطوطة في ٥٨٠ ورقة مقاسها ٢٦٫٥×١٦٫٥ سم ومسطرتها ١٩ سطرًا. كتبت بخط نسخ حسن.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ١٢٧٤١.



إعداد: فراج عطا سالم

في العدد القادم:

- ملف خاص عن مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية
- الشيخ عثمان الصالح : الجشع نقيض العلم
- الالتزام والإلزام وهموم النقد الأدبي

البريد

THE MAIL

النشر عن أدباء الصهيونية.. لماذا؟

هل هذه إحدى خطوات التطبيع؟! الله أعلم.
نريد أن نعرف السبب الحقيقي من وراء نشر«أدباء الصهيونية» في باب «دائرة المعارف»، إعداد د. بهاء الدين لطفي قابيل.
إن في بعض كتاباتهم - والله أعلم - تحريضا على إقامة دولة اليهود، والتهكم بالأمة العربية أيا كانت ديانتها (!)
اللهم اغننا بحلالك عن حرامك.

خالد عبد الله العبد الواحد
الهفـوف

أشد على أيديكم

أشـد مـا يشـدني إلى المجلة هـو انفـرادكم بنشـر الأدب الصهيوني، فيما تقف مـجلات لها وزنهـا الثقـافي موقف الحياد. فأشد على أيديكم مـهنئـا بهذه المبادرة الأولى من نوعـها التي إن دلـت على شيء فإنمـا تدل على بُعْـدِ نَظَرٍ وبصيرة وقّادة.

بو رزايم عزيز
الدار البيضاء

اجمعوها في كتاب

لقد لـفت نظري الموضوعـات التي يكتبـها الدكـتور حسن ظـاظا منذ مقـالته المنشورة في العدد ١٩٩ بعنوان «اليـهود البـيض والفهـود السود»، ثم مـقالة «إسرائيل تتذكـر الموت» في العدد ٢٠٠، ثم تتابعت المقالات. وفيهـا ما يشد القارئ إلى متابعتـها لجزالة أسلوب الـدكتور ظاظا ومـصداقيـة المقالات التي تستند إلى وقائع تاريخية، وتكشف حقائق اليهود والصهيونية العالمية وتفضح أسـاليبـهم وتكشف انتمـاءاتهم وأسـاليب المكر والخداع التي لا غنى عنهـا لهؤلاء الناس وكراهيتهم لشعوب الأرض.
لهذا أتوجـه بالشكر والتقـدير والمحبة والعرفان للأستـاذ الدكتـور حسن ظاظا على هذا الاهتمام المبدع في كتابة هذه الموضوعات الجريئة. وأقترح على المجلة أن تجمع مقالات الدكتور حسن ظاظا في كتاب.

تامر عبد اللطيف إدريس
حمص - سورية

لغة العصر

لقد أثار انتباهي الموضـوع الذي قرأته في العـدد ٢٠١ من مجلة «الفـيصل»، والذي يتعلق بـالمخاطر التي تحيط بالأمة وكيف يمكن التغلب عليها، للدكتور محمد عبد العليم مرسي.
وقد أعجبني هذا الموضوع لصراحته ولتحدثه عن نقـاط مهمة تمكّن أفراد أمتنا الإسلامية من النهوض من السبات الـعميق الذي تغوص فيه. ونعلم أن اللغة العربيـة كانت في الماضي لغة العصـر، فلذلك تسارع الأوربيون والأجانب إلى الأخذ منها. واليـوم في عالمنا المعاصر أصبحت اللغة العربيـة ذات أهمية ضئيلة أمام اللغة الإنجليزية التي تعدّ لغة العصر. ولذلك علينا أن نأخذ من لغتهم ما يساعدنا في التقدم، ليس في أخذ المسرحيات وترجمتها. إن هذا هو الوقت الضائع حقا.
ولذلك أطلب منكم أن تخـصصوا بعض الـصفحـات للتحدث عن كـيفـية صناعة الأشياء العلمـية مع الصـور وشرح الكلمـات الإنجليـزية الصعبـة وإعطاء اسم كل جـزء في صناعة مـا. بهـذا يمكن لمجلتكم «الفيصل» أن تصبح صفحاتها ثرية بالموضوعات العلمية. وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

بنعزّو البشير
وجدة - المغرب

أين الكتّاب السعوديون؟

يؤسفني جدا أن الكتّاب في كـل عدد هم من غيـر السعـوديين، ومنذ أكثـر من ثلاث سنوات وأنا أتابع المجلة وكأنهـا مجلة تصدر في بلد عـربي آخر غيـر السعودية. ألا يوجـد كتّاب سـعوديون؟! بل يوجد الكثيـر منهم ونحن نقرأ لهم في مجلات «المجتمع» و«الجندي المسلم» و«الإصلاح» و«البيان» و«رابطة العالم الإسلامي» ... إلخ.
وعندنا في بلادنا ولله الحـمد الكثيـر من الكتاب المعروفين بحـسن كتاباتهم وسـعة ثقافـتهم، فلماذا تُعـرضون عنهم ونحن نحتاج إليهم؟!
آمل وأرجو منكم الاهتمام بهذا الأمر.

إبراهيم العبد العزيز
الرياض

المحرر :

الفيصـل تهـدف إلى أن تكون مجلة من كل العـرب وإلى كلّ العرب بـل وإلى كلّ المسلمين ، ونحمـد الله على ذلك ونفخـر به ، ونظرة إلى باب منـاقشـات وتعليقـات وباب ردود خـاصـة تؤكـد للقارىء الكريم التجاوب مع المجلة على امتداد العالم العـربـي وما أشار إليه القارىء أيضا لاتغفله المجلة ، وعلى سبيل المثال لا الإحصاء فـقد بلغ عـدد الكتـاب السـعودين في الأعـداد من ١٨٠-١٨٤، ٢٥ من ١٣٠ أي مـايقارب ٢٠٪ وفي الأعـداد من ٢١٠-٢١٤ وهو العدد السابق لهذا العدد ٥٤من١٦٠ أي ما يقارب ٣٤٪ من مجموع الكتاب .

«البـريد» زاوية تسـتقبـل فيهـا المجلة رسـائل القراء، ويمكن أن ترد على بعـضهـا، وتترك الردّ على البعـض الآخر للقـراء
فـقط الرسـائل التي ترد بعناوين وأسـمـاء ترسـل باسم المحـرر (زاوية بـريد المجلة) ص.ب(٣) الـرياض ١١٤١١
يمكن أن تقـوم المجلة بتـحـرير بعض الرسـائل من أجل مسـاحـة الـصـفـحـة، أو لزيادة الإيضـاح

إطلالة

مؤتمر السكان



في عام ١٧٩٨م صاغ القس روبرت مالتوس نظرية تربط بين عدد السكان والموارد الغذائية في العالم، مفادها أن عدد السكان يتزايد وفق المتوالية الهندسية (١ - ٢ - ٤ - ٨ - ٠٠)، في حين أن زيادة الموارد الغذائية تتم بموجب المتوالية الحسابية (١-٢ -٣ -٤ -)، مما يعني وجود اختلال بين الزيادتين يهدد الوجود البشري، ومن ثم دعا إلى اتخاذ تدابير من شأنها أن تعيد التوازن المفقود، وتوقف معدلات النمو السكاني عند حدود معينة لاتتعداها، ومن أهم تلك التدابير في رأيه تأخير سن الزواج وضبط الاتصال الجنسي، إضافة إلى الأخذ في الاعتبار ما يمكن أن تقوم به الحروب وتقلبات الطبيعة وكوارثها كالفيضانات والبراكين والأعاصير وغيرها للحد من هذا النمو المتزايد لسكان العالم. وقد وجدت هذه النظرية صدى واسعًا، وفي الوقت نفسه لاقت معارضة شديدة.

فقد أظهر بعض المؤيدين لنظرية مالتوس تشددًا أكبر من صاحب النظرية نفسه، إذ نجد منهم من يرى ضرورة وضع حوافز للذين لايتزوجون من الرجال والنساء، والذين يتجاوزون سنًا معينة دون إنجاب، بل إن منهم من اقترح تخصيص «منحة انعدام الأطفال» للنساء اللاتي لاينجبن، وكذلك منح إعفاءات ضريبية لمن يتبنَّوْن أطفالاً بدلاً من الإنجاب، ويربط كثيرون منهم بين الرغبة في الإنجاب وحاجة الإنسان إلى من يكفله في شيخوخته، ومن ثم يقترحون توفير التأمين الاجتماعي للآباءالذين يضربون عن الإنجاب؛ حتى تتوافر لهم حياة كريمة في شيخوختهم. ومن هؤلاء المؤيدين أليستر براون الذي دعا في كتابه«من أجل صالح البشرية» IN THE HUMAN INTEREST الصادر في نهاية السبعينيات إلى ضرورة رفع السن القانونية للزواج، وفرض غرامة كبيرة على من يقدم عليه قبل هذه السن، وتقديم علاوات مالية محفزة للعزاب بدلا من إرهاقهم بالضرائب.

أما المعارضون فيرون أن هذه النظرية قائمة على افتراضات خاطئة في الأساس، إذ لايمكن للإنسان مهما أوتي من علم أن يقرر سعة محددة للأرض، نظرًا لتعرضها الدائم للتغيرات المناخية والطبيعية التي لا يعلمها إلا الله، كما أن النظرية ارتبطت بواقع تزايد الفقراء من العمال في إنجلترا خلال القرن الثامن عشر، ومثلت دفاعًا عن مصالح الرأسمالية التي رأت في تزايد الفقراء خطرًا عليها وعلى مستوى الرفاه الذي تتمتع به، ويدعم هؤلاء رأيهم هذا بالتركيز على المعارضة التي أبداها مالتوس للقوانين التي صدرت بهدف توفير حد أدنى من المعيشة لكل فرد، ذلك لاعتقاده أن هذه القوانين تصرف الفقراء عن تطبيق خطط تحديد الإنجاب . كما أن الواقع جاء مغايرًا لما توقعه مالتوس، فقد حققت أوروبا نهضة زراعية وصناعية فاقت التصورات، على الرغم من سرعة تزايد السكان الناتج عن تحسن الظروف الصحية وانخفاض معدلات الوفيات.

وإذا كان مالتوس قد ربط بين التزايد السكاني والفقر فإن العلاَّمة المسلم ابن خلدون له رؤية مغايرة تمامًا تتحدد في أن زيادة حجم الجماعة (القبيلة أو الأمة) يزيد من فرص التخصص، ومن ثم استغلال الموارد بصورة أفضل وإقامة علاقات تبادل أوسع، وقد تبعه في هذا المنحى دوركايم الذي يرى أن تقسيم العمل يصقل شخصية الفرد، ويجعله أكثر عطاءً وإبداعًا في مجال تخصصه.

وقد اهتم العالم في العصر الحاضر بدراسة تأثيرات النمو السكاني، ولايزال الانقسام قائما بعد، والاتجاهات متفاوتة بين التشاؤم والتفاؤل، وكان مؤتمر السكان والتنمية الذي أقيم تحت مظلة الأمم المتحدة في القاهرة في الفترة مابين ٥ - ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٤م تجسيدا لهذا الانقسام والرؤى المتباينة حول هذه القضية، إذ كانت وثيقته التي وضعتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر في نيويورك في أبريل من هذا العام محل انتقاد الكثيرين، وفي الوقت نفسه كان موضع حفاوة من آخرين دافعوا عنها بشدة وعدوها تعبيرًا عن الواقع وخلاصًا للبشرية من مستقبل مظلم ينتظرها إذا نفذت بنودها وتوصياتها بدقة وكفاءة.

وتستند وثيقة المؤتمر ومؤيدوها في دعوتهم ودفاعهم إلى إحصاءات توضح أن حجم الزيادة السكانية في العالم يصل إلى ٩٠ مليون نسمة سنويا، وأن الأمر استغرق ١٢٣ عامًا كي يزيد عدد سكان العالم من بليون إلى بليونين. بينما لم تستغرق الزيادات التالية سوى ٣٣عامًا و ١٤عامًا و ١٣عامًا على التوالي حتى وصل العدد إلى أكثر من خمسة بلايين نسمة، وتتوقع هذه الإحصاءات أن تستغرق الزيادة من البليون الخامس إلى البليون السادس ١١ عامًا فقط، ولذلك فانه لابد - من وجهة النظر المؤيدة - من اتخاذ إجراءات وتدابير تلتزمها دول العالم كافة للحد من هذا النمو السكاني، ومن ثم تحقيق الرفاهية وسبل العيش الكريمة لسكان الأرض التي سوف تضيق بهم في حال إغفال مخاطر الزيادة السكانية واستمرار المعدلات على ما هي عليه حاليًا.

وقد لاقت الإجراءات والسياسات والتدابير التي اقترحتها الوثيقة معارضة شديدة من دول كثيرة وعلماء متخصصين وصحفيين من توجهات مختلفة، وانبنى أساس هذه المعارضة على منافاة اقتراحات الوثيقة وتوصياتها للقيم الإنسانية على اختلاف مصادرها.

إن التمعن في وثيقة المؤتمر وتوصياته يقتضي الموازنة بين هذا المؤتمر ومؤتمر السكان الذي عقد ببوخارست قبل عشرين عامًا وبالتحديد في الفترة (١٩-٣٠ أغسطس ١٩٧٤م)، إذ أعلنت الأمم المتحدة ذلك العام كسنة السكان العالمية. وتأتي أهمية الموازنة من كونها تعطي صورة واضحة عن الظروف التي تحكم سير المؤتمرات الدولية والقرارات التي تفضي إليها. فقد انعقد مؤتمر بوخارست في ظل ظروف الحرب الباردة، والتجاذب الذي كان بين القوتين العظميين، وسياسات الاستقطاب التي كانتا تمارسانها على الدول الضعيفة والفقيرة، وظهر انعكاس هذه الظروف واضحًا في تصدي الاتحاد السوفيتي السابق لخطة تنظيم الأسرة وتحديد النسل وتخفيض معدل النمو السكاني التي تقدمت بها الأمم المتحدة، وأيدتها الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية، بالرغم من اللغة الهادئة التي صيغت بها تلك المسودة موازنة بوثيقة مؤتمر القاهرة، وركز مؤتمر بوخارست على أهمية التعاون الدولي، وضرورة الاهتمام بتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي من أجل إيجاد ظروف تساعد على تحقيق تحسن فعال في نوعية حياة الإنسان الذي يجب ألا ينظر إليه كمستهلك فقط، وإنما كمنتج أيضا، وطالب المؤتمر كذلك الدول وخصوصًا الغنية بتبني سياسات أكثر ترشيدًا، حتى لايواجه البعض الحرمان بسبب إسراف البعض الآخر. وكانت معارضة الاتحاد السوفيتي التي عبر عنها مندوبها تقوم على أساس أن (الإمبريالية) هي المسؤولة عن الفقر في العالم الثالث وليست مشكلة السكان.وكذلك اتهمت الصين الاتحاد السوفيتي والدول الغربية بنهب ثروات الشعوب الفقيرة، ودلل المندوب الصيني على عدم مسؤولية الزيادة السكانية عن الفقر بتوضيح أن نسبة النمو الاقتصادي والاجتماعي في بلاده فاقت نسبة الزيادة السكانية، كما رفضت دول العالم الثالث القول بإن الزيادة السكانية هي السبب الرئيس في فقرها وعجزها عن التقدم الاقتصادي.

إن المتأمل في المؤتمرين يجد تباينًا واضحًا، إذ التزم كثير من المعارضين السابقين الصمت، على الرغم من أن مؤتمر القاهرة كرس المفاهيم السابقة التي كانت محل اعتراضهم قبل عشرين عامًا، بل إن الأسلوب الذي صيغت به وثيقة هذا المؤتمر وتوصياته كان أكثر سفورًا، وجاء معبرًا بوضوح عن قيم ثقافية أحادية النظرة تتجاهل بوضوح قيم الآخرين ومنطلقاتهم. وهذا ما يثير تساؤلات عن مدى وجود من يحاول فرض رؤاه وقيمه على الآخرين وتذويب هوياتهم.

وإذا كان المؤتمر قد اتخذ لغة الأرقام سبيلا للإقناع

ونصيحة الشيطان للإنسان

بدعوته إلى الحد من النمو السكاني من أجل الحفاظ على ثروات الأرض من النضوب باتباع الوسائل والإجراءات التي اقترحها، فإن هذه اللغة نفسها تدحض دعاواه، وتوضح حقائق كثيرة غُيِّبت عن عمد لأنها تكشف عن المهددات الحقيقية للموارد والخلل الحادث في توزيعها من جراء الهيمنة التي تمارس على الدول الفقيرة التي تقصدها أساسًا وثيقة المؤتمر وتوصياته.

وتبين الأرقام أن ٢٠٪ من سكان العالم يتحكمون في ٨٠٪ من الموارد الصناعية والطبيعية كالزراعة ومصادرها من المياه وغيرها، ومع ذلك يتم قذف كثير من فائض الإنتاج في البحار أو المحيطات أو يتم احراقه من أجل التحكم في الأسعار والإمعان في السيطرة، ولعل هذا يوضح أسباب الفقر الذي يعيشه كثير من سكان العالم على الرغم من أن الإنتاج العالمي تضاعف في نصف القرن الحالي سبع مرات، في حين لم يتضاعف عدد السكان سوى مرة واحدة. كما أن نصيب الدول الغنية من الناتج الصناعي العالمي يصل إلى ٨٠٪، إضافة إلى أنها تتحكم في ٨٤٪ من حجم النشاط التجاري العالمي، وفي ٧٤٪ من الطاقة، ويبلغ متوسط دخل الفرد في الدول المتقدمة ٢٠ ضعفًا لمتوسط مثيله في دول الجنوب، وهناك من يرى أن ما يستهلكه أمريكي واحد من الغذاء يكفي لإطعام ٣٠ هنديا، بل إن سكان الولايات المتحدة الأمريكية الذي يقدر بـ ٥٪ من سكان العالم نصيبهم من الدخل العالمي يبلغ أكثر من ٢٢٪، وهم يستهلكون ٢٥٪ من الطاقة، ويلوثون البيئة بما مقداره ٢٢٪ من إجمالي غاز ثاني أكسيد الكربون، في حين أن نصيب الهند التي تعد الدولة الثانية بعد الصين من حيث عدد السكان والتي تمثل ١٦٪ من سكان العالم هو ١٪ من الدخل العالمي، و تستهلك ٣٪ من الطاقة، وتلويثها للبيئة بغاز ثاني أكسيد الكربون لايتعدى ٣٪.

وتكشف الأرقام كذلك خطأ الربط بين الزيادة السكانية والتلوث الذي لحق بالبيئة، إذ إن ٩٠٪ من النفايات الخطرة مصدرها الدول الصناعية، كما أن ٧٤٪ من غاز ثاني أكسيد الكربون المتسبب في ارتفاع درجة حرارة الغلاف الغازي من الدول ذاتها، إضافة إلى أن تآكل طبقة الأوزون ناتج من مركبات الكلورفلوركربون التي تعد دول الشمال الغني مصدرها الرئيس، إن لم يكن الوحيد.

وفيما يتعلق بالعلاقة الإيجابية بين انخفاض معدلات الزيادة السكانية والتقدم الاقتصادي التي روَّج لها المؤتمر ومؤيدوه نجد أن الواقع لا يقر ذلك، فالدول الأوربية لم تحقق نهضتها الصناعية إلا في ظل وجود معدلات زيادة سكانية مرتفعة وفرت لها الأيدي العاملة الرخيصة والمتخصصين من خلال الأعداد الكبيرة التي تلتحق بالجامعات والمعاهد وتتخرج منها كل عام وبشكل مستمر، إلى جانب إتاحة أسواق تصرف فيها منتجاتها، مما شجع على إقامة المشروعات الضخمة، ومن ثم تحقيق التقدم الاقتصادي. وقد رفض العالم الفرنسي ألفريد صوفي في المؤتمر العالمي للسكان الذي عقد في روما عام ١٩٥٤م الربط بين التقدم الاقتصادي وانخفاض النمو السكاني، إذ رأى أن ذلك يعني ببساطة أن تكون فرنسا أكثر الدول تقدمًا، بما أنها الأولى في تطبيق سياسات أدت إلى جعلها أقل الدول في معدلات الزيادة السكانية، حيث لم تحصل فرنسا على هذه النتيجة التي كانت ترجوها، مما حدا بها إلى التراجع عن هذه السياسات وتشجيع النمو السكاني بإقرار مكافآت تحفز على ذلك. وهناك دول صناعية كفرنسا طبقت سياسات الحد من الزيادة السكانية تعاني حاليًا من ارتفاع نسبة الشيخوخة بها، إذ من المتوقع أن ترتفع بها نسبة الذين تتجاوز أعمارهم ٦٥ سنة إلى ١٨٫٤٪ من عدد السكان في العام ٢٠٢٥م، وتصل نسبتهم حاليًا في الصين إلى خُمس عدد السكان، وهؤلاء بلا شك في حاجة إلى توفير الخدمات والرعاية الاجتماعية إلى جانب رواتب التقاعد، مما يمثل عبئًا اقتصاديا. إضافة إلى ما يلاقيه هؤلاء من معاناة في ظل انعدام الروابط الأسرية القوية التي تميز المجتمعات ذات القيم التي تعلي من قدر الإنسان، وتحترم إنسانيته، وبخاصة في مثل هذه السن. وفي ظل هذا الواقع ارتفعت أصوات عديدة في الغرب تُحذِّر من الهجرة المتوقعة الوافدة من الدول الفقيرة التي ستأتي لسد العجز في الأيدي العاملة بها، ويأتي على رأس هؤلاء المستشار الألماني السابق هيلموت شميث، ولقد كان مدير المركز القومي للدراسات السكانية في باريس كلود شيزنيز صريحًا للغاية إذ حذر من أن أوربا يتهددها خطر «الأسلمة» و«الأفرقة»، إشارة إلى تزايد عدد المسلمين والأفارقة، فالمسلمون - وفق تقرير مكتب الدراسات السكانية في واشنطن - سيمثلون ٢٥٪ من سكان العالم في العام ٢٠٢٥م، وهذا ماحدا بالبعض إلى القول بإن المسلمين هم المستهدفون من سياسات الحد من النمو السكاني.

إن النظرة المنصفة إلى أوضاع الدول الفقيرة تؤكد أن كثيرًا من مشكلاتها ناتجة من السياسات الجائرة التي تتبعها الدول الغنية حيالها، ويكفي في هذا المجال ذكر أن خدمات الديون تصل إلى ٢٠٠ مليار دولار سنويا، وإن كان هذا لاينفي مسؤولية الدول الفقيرة التي لم تحسن توظيف هذه الأموال.

وقد جاء مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية تكريسًا للهيمنة التي تخضع لها دول العالم الثالث، والتي أفصح عنها ربط المنح والمساعدات التي تقدم لها بضرورة التزام قرارات المؤتمر وتوصياته .ولم يقف الأمر هذه المرة عند ممارسة الهيمنة الاقتصادية، بل كانت وثيقة المؤتمر تعبيرًا عن قيم ثقافية معينة، يُراد فرضها على العالم كافة من خلال تمريرها من بوابة الأمم المتحدة عبر مناقشات تأخذ مظهرًا ديمقراطيًا زائفًا، غير أن هذه المحاولة الخادعة لم تخفَ على علماء المسلمين الذين تنبهوا إلى المخاطر التي يمكن أن تفضي إليها وثيقة المؤتمر، وقد جاء بيان هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية مفندًا للدعاوى التي تضمنتها الوثيقة، وموضحًا الآثار الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن الانسياق وراء الشعارات المضللة التي رفعها المؤيدون لها. وقد كان لموقف علماء المملكة أثره الإيجابي الواضح في الرأي العام الإسلامي من خلال تنويره وتنبيهه إلى الجوانب الخفية المتعلقة بالمؤتمر، إلى جانب كسر الرؤية الأحادية التي أراد مؤيدو المؤتمر أن تسود الرأي العام، ويجيء هذا الأثر انطلاقًا من الثقة التي تحظى بها المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، لما تضطلع به من دور حيوي في المنافحة عن القيم الإسلامية الرفيعة بالتعبير الصادق المنبثق عن وجهة نظر الإسلام.

ومؤتمر السكان والتنمية بمضامينه وطروحاته - بعد الاعتراف ببعض الإيجابيات التي تضمنتها بعض بنوده - يمثل منعطفًا خطيرًا في مسيرة البشرية، ذلك أنه ينادي برسم مستقبل الإنسان وفق تصورات مادية ضيقة، تستند إلى علاقات جدلية غير حاسمة بين الإنسان والأرض، دون أن تقيم وزنا للقيم الإنسانية المتحضرة.

وقد كان من المؤمل أن يكون هذا المؤتمر - الذي جعل من الإنسان ومستقبله في الأرض محورًا لمداولاته وأعماله - فرصة لبحث الأسباب الحقيقية والجوهرية لمشكلات الإنسان، واعتماد حلول واقعية لها لاتصادم طبيعة هذا الإنسان وفطرته، ولكن جاءت وثيقة المؤتمر مخيبة للآمال، بتجاوز كل المشكلات وتصوير الزيادة السكانية على أنها التحدي الذي يواجه الإنسان. ولم يخطئ المؤتمر في التشخيص فحسب، وإنما أخطأ في المعالجات أيضًا التي جاءت منافية لفطرة الإنسان، لكونها مروجة للإباحية والانحلال، إذ دعا المؤتمر إلى رفع الحد الأدنى من الزواج، مع إتاحة الفرصة للإنسان لإشباع رغباته الجنسية، من خلال علاقات غير مشروعة دون المستوى الإنساني، بل وأقل من الحيوانية، وتوفير ما أسموه بمتطلبات (الإجهاض الآمن) و(المعلومات الضرورية) للمراهقين لحمايتهم من حالات الحمل غير المرغوب فيه، ومن الأمراض المنقولة عن طريق العلاقات الجنسية غير المشروعة، واعترف المؤتمر بأشكال الاقتران الشاذة، علمًا بأن هذه الفقرات مستقاة من نص الوثيقة الأصلي بلغته الإنجليزية، وذلك تفاديا لما أثير حول أخطاء الترجمة إلى العربية.

وهكذا تتضح خطورة المفاهيم التي حملتها وثيقة مؤتمر السكان والتنمية التي في مجملها إفراز لحضارة الغرب المادية التي تعاني من انعدام القيم وانتشار الأدواء العضوية والاجتماعية. وما موقفنا نحن المسلمين تجاه ما جاء في وثيقة المؤتمر من تشجيع على نشر الإباحية والشذوذ والإجهاض، إلا كموقفنا من نصيحة الشيطان للإنسان.

ولي عودة - إن شاء الله - لنتائج المؤتمر وتوصياته.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الصولتية: أولى المدارس في أم القرى



المدرسة الصولتية تمثل صورة من صور التعليم التي وجدت في هذا البلد الكريم قبل ١٢٥ عاماً، ورغم محدودية الإمكانات التي قامت عليها نظراً لاعتمادها على مساعدات المحسنين إلا أنها تعد نموذجاً ناجحاً موازنة بوضع التعليم في ذلك العهد الذي لم يعرف التعليم النظامي بشكله الحالي. وهذا الاستطلاع المصور عن «الصولتية» - التي لاتزال قائمة حتى اليوم - يبين قصة نشأتها ومراحلها.

وفي العدد القادم إن شاء الله نتناول التعليم في المملكة العربية السعودية من خلال ملف شامل يوضح مسيرته بعد أن توحدت الجزيرة على يد الملك الباني عبدالعزيز - رحمه الله -، ويتضمن هذا الملف لقاءات مع معالي وزير المعارف ومساعديه د.عبدالعزيز الثنيان ود.عبدالله المعيلي، وإحصاءات ومعلومات وآراء وافية حول هذا الموضوع. ص٨

كيف تتخلص من التجاعيد؟



كثير من النساء والرجال الذين في مقتبل العمر وفي مرحلة الشباب والحيوية يبدون أكبر من سنهم الحقيقي، وهذا ما يعرف بالشيخوخة المبكرة التي من آثارها التجاعيد التي تكسو الوجه والأطراف.

هذه التجاعيد لها أسباب كثيرة تختلف من شخص لآخر، ولكن السؤال: ألا يوجد سبيل لتجنبها والتخلص منها بدون تكاليف باهظة ترهق ميزانية الأسرة؟ ص٨٩

المشكلات العالمية المعاصرة



تتعدد المشكلات العالمية المعاصرة وتتنوع تنوعًا كبيرًا يجعلها لاتخضع للحصر، ولكن مشكلة الغذاء تظل الأولى، لذلك تكثر الحلول المطروحة لها من قبل العلماء والمختصين، فهناك من يرى في المكننة الزراعية حلاً، وبعضهم يميل إلى تنظيم النسل، وآخرون يدعون إلى اتباع أساليب تضمن وصول الغذاء للجوعى، كتاب إينوز بمتسيف «المشكلات العالمية لعصرنا الحاضر» يلقي الضوء على هذه المشكلة وغيرها من مشاكل العالم «القرية» ويطرح حلولاً لها تعبر عن وجهة نظره التي قد توافقه عليها أو تعارضه. ص٩٣

أدب وفكر

تراث وتاريخ

إعلام

علوم

لغات

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

من كتاب العدد

فهد العلي العريفي



- مواليد مدينة حائل سنة ١٣٤٨هـ.
- عمل مديراً للعلاقات العامة، ورئيسًا لتحرير مجلة وزارة الداخلية، ثم عمل في التجارة، وقبل أحد عشر عامًا أصبح مديرًا عامًا لمؤسسة اليمامة الصحفية ولايزال.

من مؤلفاته:
- من وراء الحدود (من أدب الرحلات)، كتاب عن منطقة حائل (سلسلة اعرف بلدك).
- له اهتمامات بالتراث، ويزاول الكتابة في المجلات والصحف المختلفة.
- عضو في بعض النوادي والجمعيات الوطنية وبعض النوادي الرياضية كنادي الهلال - الجبلين - والطائي.

د. صالح الوهيبي



- نال البكالوريوس في التربية واللغة العربية من كلية التربية بجامعة الملك سعود عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- نال الماجستير في علم النفس التربوي من جامعة إنديانا في ولاية إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية من قسم لغات الشرق الأدنى وآدابها في جامعة إنديانا عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
- يدرِّس النحو والصرف في الوقت الحاضر، وهو معنيّ بالقراءات القرآنية إذ كانت موضوع رسالته للدكتوراه.
- نشر مجموعة من البحوث المتخصصة والمقالات الثقافية.
- شارك في تأليف مقررات اللغة العربية للمرحلة المتوسطة بتكليف من وزارة المعارف في الرياض.
- أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية في كلية الآداب - جامعة الملك سعود في الرياض.

د. محمود جبر الربداوي



- مواليد سورية ١٩٣٢م.
- دكتوراه في النقد ١٩٦٨م.
- عمل أستاذاً بجامعة دمشق، ورئيسًا لقسم اللغة العربية ووكيلاً لكلية الآداب بها (١٩٦٨ - ١٩٨٤م).
- عمل مديراً للدورة العالمية للسانيات لعدة سنوات.
- درَّس في جامعات عربية أخرى كالجزائر والجامعة اللبنانية، وأشرف على ما يزيد عن خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه.
- عضو اتحاد الكتاب العرب، وعضو في لجنة «المصطلحات والتعريب» في مجلس التعليم العالي في سوريا.
- يعمل حاليًا أستاذاً في كلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض.
- من مؤلفاته: «الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام»، «دراسات في اللغة والأدب والحضارة»، «الفن والصنعة في مذهب أبي تمام»، «المتخيّر من كتب النقد العربي»، «التيارات والمذاهب الفنية في الأدب العباسي» (جزءان)، «مبادئ النقد»، «اللغة العربية لغير المختصين».. وغيرها.

د. إبراهيم عادل الأدغم



- نمساوي الجنسية، عربي الأصل.
- حاصل على درجة الماجستير، نساء وولادة عام ١٩٨٧م.
- حاصل على دبلوم جلدية وتناسلية عام ١٩٨٩م
- حاصل على دكتوراه جلدية وتناسلية عام ١٩٨٩م.
- حاصل على زمالة الأمراض الجلدية والتناسلية بفيينا عام ١٩٨٩م.
- عضو الجمعية الأمريكية للأمراض الجلدية.
- يعمل استشاريا للأمراض الجلدية والتناسلية.

الصولتية

أولى المدارس في أم القرى

استطلاع بقلم : محمد علي الجفري - تصوير : باسل برمدا

«صولت النساء» امرأة من كَلْكُتَّا بالهند، تحملت العبء الأكبر في بناء مدرسة دينية عظمى سميت «بالصولتية»، على اسم هذه المرأة الثرية الكريمة البارّة الحاجة «صولت النساء»، وبعض أهل مكة ينطقون اسم المدرسة «الصولطية» ولكن الصحيح - كما جاء في مذكرات الشيخ حسن مشاط المدرس والدارس فيها - هو «الصولتية».

البارزون الذين درسوا في الصولتية كثيرون، غير أن من أبرزهم الشريف الحسين بن علي، والعلامة الشيخ حسن مشاط، والشاعر الكبير الأستاذ أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعر الملك عبد العزيز آل سعود - رحمهم الله.

وقد لا يتيسّر لقارئ العربية إجابات على أسئلة مهمة حول بداية النشأة الأولى للمدرسة، إذ يذكر الأستاذ محمد سليم رحمه الله حفيد مؤسس «الصولتية» أن الأوراق التي تتعلق بالتأسيس لايمكن نشرها في مجلة عربية لأنها باللغة الأوردية. فالمدرسة ليست مكيّة محضة، ولاقومية عربية، ولكنها ترتقي عن القومية والإقليمية، فلا تنظر إلى جنسية طلابها. فهي مدرسة للمسلمين في مكة المكرمة - حرسها الله -

لايوجد جواب حاضر على هذا السؤال، ولكننا نقول باطمئنان إنه كان في مكة - حرسها الله - كتاتيب في نهاية القرن الثاني عشر الهجري، وكان هناك المسجد الحرام. لقد كان الناس في فقر بِوَادٍ غير ذي زرع. وما كانت هناك أدوات للدراسة، ولا كتب إلا عن طريق النسخ باليد. وذلك يعني أن دخول المطابع إلى الحجاز قد تأخر كثيراً. وكان أهل مكة يشتغلون بالطوافة وخدمة الحجيج وما إلى ذلك،



الشيخ محمد سعيد رحمه الله

(١٢٩٠ - ١٣٥٧هـ)



المبنى الذي أسس فيه الشيخ رحمة الله الهندي المدرسة الصولتية، وعلى الرغم من ضيق الواجهة إلا أنه متسع من الداخل ويتوسطه فناء صغير. تشغل إدارة المدرسة حاليا الطابق الأرضي بينما لم يعد الطابق العلوي صالحا للاستخدام لقدم المبنى الذي سيكون قد مضت عليه ١٢٥ عاما في شهر رجب المقبل.

وينفر منهم طائفة لتلقي العلم في المسجد الحرام حتى جاء رحمة الله العثماني إلى أم القرى هاربًا من الهند.

قصة رحمة الله قصة تضغط زر التسجيل، تكشف أنوار الاجتذاب الرباني، تستبق في أولويات العرض التاريخي، تأخذ بألباب القراء.

قل ما شئت عن رحمة الله هذا الذي وصل إلى مكة ــ حرسها الله ـ فقيرا، رثّ الهيئة.

لقد هرب من الهند في باخرة وهو بصورة مخلوق لا يعبأ به أحد، مدفوع بالأبواب، وظهر في اليمن، ثم وصل إلى مكة، وحضر إحدى الحلقات العلمية في المسجد الحرام. وكان أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة يسهب في فضائل المذهب الشافعي، وبعد أن انتهى من درسه سأل رحمةُ الله سؤالاً في الموضوع، فأجابه السيد الدحلان، فسأل مرة أخرى، وناقش شيئا ما. وبين السؤال والجواب تكشّف للسيد الدحلان أنه أمام عالم وليس أمام طالب علم! فسأل رحمة الله: من أنت؟! فحكى له كيف أنه كان رجلاً موسرًا في الهند قد أنعم الله عليه بالثروة والعلم والعقل، وأنه ظهر في الهند نصراني يتحدى المسلمين ويناظرهم، اسمه فاندر. وحكى للسيد دحلان المصير الذي آل إليه كل من يعارض المستعمر البريطاني، فقد تصدى رحمة الله لفاندر وناظره وهزمه حتى افتخر به المسلمون؛ فإذا بالسلطات البريطانية تقف إلى جانب المبشر فاندر، وصادرت أملاك رحمة الله، فاختفى عن الأنظار، فرصدت بريطانيا ألف روبية لمن يأتي به، حتى اضطر إلى الهجرة من بلاده خائفًا. وإذا به في المسجد الحرام.



المبنى الذي تأسست

والمبنى الحالي (أقصى اليمين) وبينهما إحدى عمائر الأوقاف التابعة

فأمسك السيد دحلان بيده وعيناه تدمعان، وكانت الشمس قد أشرقت، فأخذه إلى منزله. واستضافه.

لاتسل عن فرحة السيد دحلان مفتي الشافعية بصاحبه. وإذا بوالي مكة يستفسر من أهل مكة عن رجل اسمه رحمة الله يحتاج إليه الخليفة العثماني بعد ظهور نصراني اسمه فاندر في القسطنطينية، يلقي بالشبهات عن الإسلام ويتحدى المسلمين ويرمي بحجارة الزندقة والعلمانية والهرطقة والجرأة على الله ورسوله.

فقال السيد دحلان: على الخبير وقعت. هذا هو رحمة الله بشحمه ولحمه عندنا، وقد أعطيناه إجازة لتدريس الفقه. (ربما الفقه الحنفي، فالمذهب الحنفي هو مذهب الهنود).

أرسل والي مكة الشيخ رحمة الله إلى القسطنطينية، وما إن علم فاندر به حتى اختفى ثم هرب من البلاد، خشية الفضيحة على رؤوس الأشهاد.

الصولتية
أم المدارس في أم القرى

قصة تأسيس المدرسة

ولما عاد رحمة الله إلى مكة بعد إعزاز السلطان العثماني وإكباره وإكرامه له، افتتح حلقة بالمسجد الحرام، وانضم إلى الحلقة رجل متزوج من ابنة «صولت النساء»، وقد أخبر طالب العلم هذا الشيخ رحمة الله عن اعتزام كنّته «صولت النساء» بناء رباط للمجاورين بمكة المكرمة. فقال الشيخ رحمة الله: الأربطة بمكة كثيرة، ولكن ما تحتاج إليه مكة هو مدرسة منظمة لتدريس الدين للمجاورين والمستوطنين.

عرض الرجل الأمر على «صولت النساء»، فوافقت وبذلت ما لديها من مال. واشترى الشيخ رحمة الله قطعة أرض بالخندريسة بمحلة الباب بمكة، وبدأ يبنيها بالمال الذي تبرعت بمعظمه الحاجة الكريمة «صولت النساء»، وقد سمى الشيخ رحمة الله المدرسة باسمها.

وهكذا ارتفع اسم «صولت النساء» على أسماء كثير من الرجال.

ولو كان النساء كمثل هذي
لفضِّلت النساء على الرجال

وأصبح لأبناء مكة المكرمة من وافدين ومواطنين مدرسة لتدريس أبنائهم منذ شعبان عام ١٢٩١هـ، وهي المدرسة الصولتية التي درس فيها العلامة الشيخ حسن مشّاط، والعلامة الشيخ عبد الله عبد الغني خيـ[illegible] والعلامة الشيخ أحمد الكلداري والسيد محمد علوي مالكي، وغيرهم من العلماء.

دروس الصولتية

قال الشيخ حسن مشّاط يصف دروس الصولتية:

«في أول النهار تفتتح المدرسة أبوابها ويجلس الناظر - أي المدير - في غرفته الخاصة مبكرًا قبل كل أحد، ويأتي الطلبة إلى غرفة التدريس، فكان المعلم الأول شيخنا الشيخ عبد الرحمن دهان يبدأ الدرس للأساتذة؛ أي للطلبة الذين تفوقوا حتى صاروا أساتذة، فيقرؤون على شيخهم الدرس الأول وهم عيسى روّاس والشيخ سالم شفي والشيخ أحمد ناضرين والشيخ أحمد قاري، و هؤلاء بعد الفراغ من هذا الدرس يودعون الشيخ ويعقدون حلقات الدروس في مجالس العلم...».

أبرز المدرسين والدارسين

في هذه المدرسة درس السيد أبو بكر بن سالم البار، وهذا الرجل درّس أولاً في مدرسة الفلاح، ثم سافر إلى حضر موت ثم عاد مدرسًا بالمسجد الحرام ثم درّس في الصولتية.

وفي هذه المدرسة «الصولتية» طلب العلم السيد محمد طاهر الدباغ، حيث قرأ في المنطق على الشيخ مشتاق الهندي وأجازه، ثم توظف بمدرسة الفلاح عام ١٣٣٠هـ وقد كان من أكبر شخصيات مكة المكرمة في العهدين الهاشمي والسعودي. وفيها درس العلامة المؤرخ المسند الشهير الشيخ عبد الله بن محمد غازي الهندي المكي. ولد بمكة في سنة ١٢٩١ هجرية، وتوفيت والدته وهو صغير، فرباه والده وأحسن تربيته، وعيَّن لتعليمه أستاذًا، فقرأ القرآن الكريم عليه وحفظه وقرأ به في التراويح في المسجد الحرام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم بعد ذلك قرأ من الكتب الفارسية وشيئًا من مبادئ الصرف والنحو، ثم ذهب به والده إلى المدرسة الصولتية. « فقرأ على مدرسها الشيخ عبد السبحان بن الشيخ حامد علي الصرف والنحو

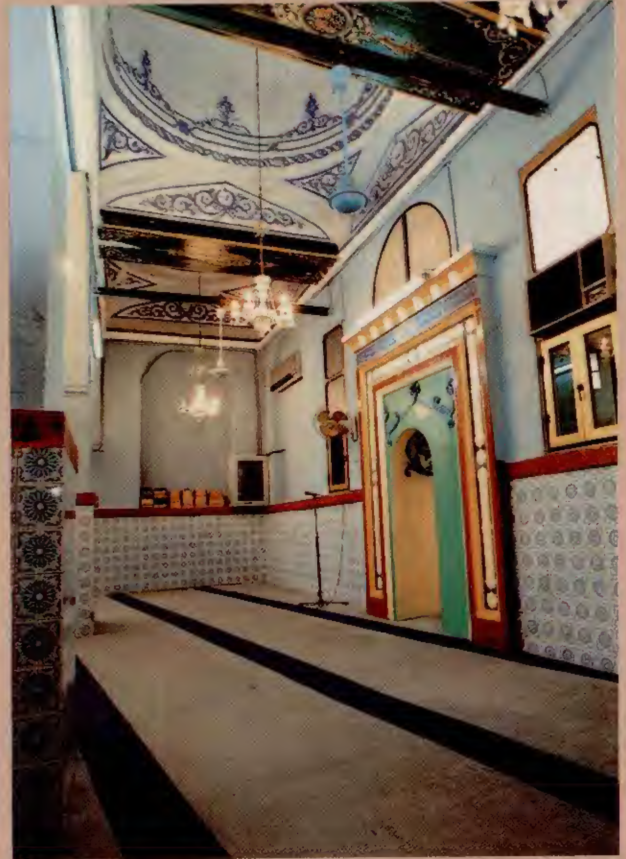


القباب الثلاث الجميلة التي تعلو مسجد المدرسة، وقد شيدت على الطراز المعماري الإسلامي الذي كان سائدا في الهند إبان الحكم الإسلامي، ويبدو واضحا في الصورة الزقاق المسمى باسم المدرسة «زقاق الصولتية» الذي أصبح ينفذ إلى شارع رئيسي مؤدٍ إلى المسجد الحرام بعد أن تمت توسعة الشارع منذ سنوات.



زخارف نباتية وكتابية تعلو باب المسجد بقيت كما هي منذ إنشائه في ١٣٠٢هـ، ولم يتغير سوى لون الطلاء. الكتابات حررها محمد أفضل هروي سنة الإنشاء، وهي أبيات نظمها الشاعر أحمد النظيف:

على أيمن الدانين بالسفح من كُدا ... مقام كريم للمصلّي تجددا
دعائمه شُيّدت على البر والتُّقى ... وأرجاؤه للدين والعلم والهدى
أحاطت به الأنوار من كل جانب ... وطاب لأهل العلم والرشد موردا
بناه الهمام البحر ذو الفضل والندى ... ولا غرو قد أضحى إمامًا مجدِّدا
فلله ما أبداه ذا الحبر في الورى ... من النفع في نشر العلوم وشيّدا
له الفوز ما قال النظيف مؤرِّخًا ... بها فاد أنشأ رحمة الله مسجدا



مسجد الصولتية يتميز سقفه من الداخل بالزخارف الرائعة



شُيِّدَ المحراب بعد بناء المسجد بعامين، وهذان البيتان من الشعر يعلوان المحراب،
الصدر فارسي والعجز عربي:
بسكه خوش منظرست اين مسجد (في الحقيقة منظر هذا المسجد جميل)/ ما رأى العين مثله الثاني
كَشت تاريخ خانه رحمت (جاء تاريخه بيت الرحمة) / رحمة الله قُلْ على الباني.



يهو المبنى الحالي للمدرسة الذي بدأ التدريس فيه سنة ١٣٤٥هـ، و«البلاط الإنجليزي» الذي يفترش أرضيته كان مشهوراً لكونه الأول من نوعه في مكة آنذاك.

وعلى العلامة الشيخ حضرت نور الأفغاني العقائد والمعاني والبيان وأصول الفقه والتفسير والحساب والفرائض وغير ذلك».

في الطريق إليها

والآن هيا بنا نزور المدرسة الصولتية بمكة المحمية. عندما وصلت إلى حارة الشُبيكة بمكة المكرمة وجدت أني أسير في شارع أعرفه جيدًا. وقفت في مكتبة واشتريت منها كتاب «بلوغ المرام». سألت صاحب المكتبة عن الصولتية فأشار نحو الحرم، الشارع يؤدي إلى المسجد الحرام. اتجهت صوب المدرسة التي قال الشاعر فيها إنها «أم المدارس». لاتزال أم المدارس غير معروفة لدى إدارة الهاتف، فعندما طرقت الرقم الهاتفي لاستعلامات جدة أجابني موظف الهاتف بالتحية. فقلت أريد رقم المدرسة الصولتية.

فقال: مدرسة إيه؟

قلت: الصولتية.. بالصاد

- : نعم

- : الصولتية

فبحث قليلا الصولتية بالصاد.. ثم قال: هذه غير موجودة.. المدرسة جديدة فيما أظن؟!

قلت: بل هي أقدم مدرسة في مكة. عمرها مائة عام، الصحيح أن عمرها مائة وخمسة وعشرون عامًا في رجب ١٤١٥هـ. وإذ به يقول بعد هنيهة: الرقم ..... كذا.

في حارة الشُبيكه بمكة سألت أربعة أشخاص، فلم يعرفها سوى أكبرهم سنا. الثلاثة الآخرون حركوا رؤوسهم بالنفي. وعندما وصلت إلى «زقاق الصولتية» المسمى باسم المدرسة شعرت برهبة حقيقية، كان الوقت ليلاً. تركت اسمي ووعدت بالمراجعة غدًا، عندما يعود مدير المدرسة الذي كان في جدة تلك الليلة.

في الصباح وجدت ماجدًا.

ذلك هو ماجد سعيد رحمة الله مدير المدرسة الصولتية الحالي حفيد الشيخ سليم رحمة الله. إنه في داخل المبنى الذي أنشأه الشيخ رحمة الله الهندي بأموال من السيدة «صولت النساء» وبعض المحسنين.

المدرسة من الداخل

هذه هي المدرسة الصولتية التي لا تتقاضى رسومًا من طلبتها بل تعطيهم مساعدات في بعض الأحيان.

الأرضية حجرية الرصف، الصالة واسعة، الجالسون على الأرض ينعمون بسقف عال ــ رغم الديكور الحديث ـ بلون الحليب.

الشيخ ماجد بلحيته الفاحمة يتحدث بالأوردية معزيًا أحد زواره ـ من الهنود الذي كان يقبع حزينًا أمامه ـ على وفاة قريب له.

سألت الشيخ ماجد رحمة الله عن مشايخ الصولتية فقال بلهجة مكاوية أصيلة: إنهم قد انتقلوا إلى الدار الباقية، لكن تلاميذ الشيخ المرحوم حسن مشّاط لازال بعضهم يدرّس بالمدرسة، ومنهم الشيخ عبد

الصولتية

أم المدارس في أم القرى

الهادي محمد عمر والشيخ أيوب أبكر. وقد وقفت أسمع للشيخ أبكر وهو يدرّس في كتاب «تاريخ الأدب العربي» ويتفنن في شرح كلمة «أما بعد».

قال: هناك خمسة أقوال فيها:



السقف العالي الذي تمتاز به العمارة القديمة استفادت منه المكتبة حيث تمددت الأرفف رأسيًا واستوعبت جدران المكتبة الأربعة جميع الكتب وحل مؤقتا مشكلة ضيق المكان.



أحد العاملين في المكتبة يكتب جالسًا على الأرض، مدير المدرسة نفسه يدير شؤونها ويستقبل زوارها جلوسا على الأرض محافظا على عادة أسلافه، وكذلك الحال بالنسبة للطلاب.

فقد قيل إن أول من قالها داود عليه السلام.

وقيل يعرب بن يشجب بن قحطان.

وقيل قس بن ساعدة الإيادي.

وقيل سحبان بن وائل.

ولم أستمع إلى الاسم الخامس بحكم الضرورة الوقتية. ثم اتجهت إلى القسم العالي، هناك الشيخ محمد سعيد يدرّس المنطق. ومع أن المدرسة كلها ضالتي فقد أقعدني جمال الدرس، ففي حال الافتقاد توجد جاذبية عجيبة عند حال الوجدان. لقد افتقدت حياتنا المنطق العادي فضلاً عن العالي، فوجدت نفسي مسمّرا. أمام «الضرورة التي لا انفكاك عنها»، ضرورة عودة المنطق إلى منطق التعامل. وإذن فقد كان الدرس الذي يتلقاه طلبة القسم العالي في الصولتية يحتاج إليه المحرومون في كثير من الجامعات والمجتمعات.

الناس الموجودون وعددهم ثمانمائة من طلاب وأساتذة ومساعدين يجلسون على الأرض، دون مقاعد. السر في ذلك ـ كما قال لي الشيخ ماجد ـ أنه لايتصور طالب علم يقرأ «البخاري» وهو جالس على كرسي!

إن دراسة حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام لا يناسبها إلا الجلوس على الأرض كما هي الحال في حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي والأزهر وغيرها من مساجد الله في الأرض.

تبعد المدرسة الصولتية عن المسجد الحرام مسافة تساوي ثلاثة أشواط من السعي، لكن المبنى التعليمي الحالي لم يعد ذلك المبنى القديم الذي أنشئ عام ١٢٩٠هـ، وإنها هما متقاربان ويفصل بينهما زقاق.

وفي المبنى غرف مكتوب على أبوابها أسماء الأخيار الذين تكفلوا بنائها. وهي الآن فصول دراسية يتجاور فيها الطلاب، وخصوصًا في إحدى الغرف الواسعة حيث يدرس طلاب ثلاثة فصول مختلفة في ثلاث حلقات كما لو كانوا في مسجد من المساجد الجامعة.

الرهبة ـ بطبيعة الحال ـ لا تفارق الزائر. وقد زار الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ المدرسة الصولتية وقال عنها إنها هي «الجامع الأزهر في بلادي».

ويتخرج الطالب في الصولتية لينضم إلى إحدى الجامعات، ويكون مستواه أعلى من مستوى خريج الثانوية العامة، إلا إنهم لا يدرسون اللغة الإنجليزية ولا الكيمياء ولا الفيزياء، ويقتصر تدريس المواد العلمية على الحساب والجبر والهندسة.

ويدرس في المدرسة الصولتية نحو ١٨ جنسية. وهي تعتمد على إيرادات الأوقاف وتبرعات المحسنين، منذ أن توقفت المعونات





أحد الفصول الدراسية بعد أن أعيد طلاؤها خلال العطلة المدرسية الأخيرة. ومنذ سنوات قلائل استغني عن النوافذ التقليدية ذات الرواشين الخشبية الجميلة لصعوبة ترميمها ووضعت بدلا منها نوافذ حديثة بالزجاج والألنيوم.



أحد الرواشين الداخلية وقد أزيلت منذ سنوات



إحدى الردهات الداخلية للمدرسة

التي كانت تصل إليها من الهند.

وتقع المدرسة تحت جبل الخفاير بالقرب من جبل الكعبة.

مكتبة الصولتية

وفي المدرسة مكتبة كبيرة فيها نحو عشرة آلاف كتاب، وفيها مئات الكتب الدراسية، إلى جانب المخطوطات. وبما أن الكتب دراسية فإنها تتضمن نحو مائتي نسخة من صحيح البخاري ومثلها من صحيح مسلم وبقية كتب الحديث النبوي الشريف، وشروحها. كما تتضمن مئات النسخ من التفاسير القرآنية كابن كثير والجلالين.

أما وجود نسخ مخطوطة فذلك لأنها موجودة بالمكتبة من قبل دخول المطابع إلى الحجاز. ومع كتب الأمهات الحديثية والتفسيرية، فإن المكتبة تضم أيضًا نسخًا من الشروح والمؤلفات التابعة لمختلف علوم الشريعة واللغة. والمكتبة ليست مفتوحة للعامة بل هي خاصة بطلبة المدرسة.

ويلحق بالمدرسة مسجد صغير جميل محرابه يكاد يحتضنك من جماله وروعته وأسراره وأنواره.

وكان هناك قسم للبنات في

الصولتية
أم المدارس في أم القرى


واجهة المبنى الحالي للمدرسة، البناء لا يزال قائماً بشموخ لكن الرواشين الجميلة لم تعد باقية إلا في الذاكرة

المدرسة استمر عدة سنوات، ورد ذكره في كتاب بعنوان «المدرسة الصولتية» طبع قبل عشرين عاماً. ثم أُقفِل هذا القسم فيما بعد.

وعندما خرجنا من «الصولتية» سرنا على بلاط إنجليزي أبيض وأحمر وأسود. وقال الشيخ ماجد رحمة الله «إن البهو كان أعجوبة في مكة قبل أكثر من نصف قرن، فقد كان الناس يأتون من كل مكان ليتفرجوا على البلاط الإنجليزي في أم المدارس».

وإذا كانت حكومتنا الرشيدة تقوم اليوم بإتاحة كافة الإمكانات المادية والبشرية التي تتطلبها إقامة قاعدة تعليمية وتربوية راسخة تستوعب المواطن والمقيم، فإن مساعدات المحسنين كان لها دور في تأسيس هذه المدرسة، ولكن لا شك أن الدور الأول كان للحاجة «صولت النساء» رحمها الله التي بذلت مالها من أجل العلم وطلابه، مما يبرز مكانة المرأة المسلمة ودورها في خدمة مجتمعها.. فالأم..

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

وقد هيأ الله الخير على يدي الأم العظمى خديجة الكبرى عليها رضوان الله. التي آزرت وواست الرسول صلى الله عليه وسلم، وهيأ الله الخير على يدي زبيدة زوجة هارون الرشيد رحمها الله، وعلى يدي خاتون هانم التي جددت قنوات عين زبيدة، وعلى يدي صولت النساء، هذه التي يدور حديثنا هنا عن مأثرة من مآثرها، يرحمها الله.

وليس لدينا إحصاء عن عدد الطلبة والطالبات الذين تخرجوا في الصولتية منذ عهود الأجداد. لكنك ستعجب عندما تعلم أن مدرسة الفلاح التي أنشئت بعدها في مكة ـ حرسها الله ـ بثلاثة عقود من السنين والتي لها الشهرة الذائعة والصيت العظيم قد بدأت بمدرسين من خريجي الصولتية، ومنهم مديرها



أبناء القسم العالي في صورة تذكارية تعود إلى عام ١٣٧٨هـ، ويبدو في منتصف الجالسين الشيخ محمد سليم مدير المدرسة من ١٣٥٧ حتى ١٣٩٧هـ



فرقة الكشافة بالمدرسة الصولتية عام ١٣٦٤هـ

من تاريخ الصولتية

* تقوم المدرسة الصولتية بواجبها في خدمة العلم والمعرفة منذ افتتاحها في عام١٢٩١هـ ، أي منذ ١٢٤ عامًا ، دون انقطاع . وقد تعاقب على إدارة شؤونها حفدة المؤسس ، وكلهم ممن تعلّم وعلّم فيها .

* تولى الشيخ محمد سعيد إدارة شؤون المدرسة بعد وفاة مؤسسها (من ١٣٠٨ إلى ١٣٥٧هـ) وهو حفيد شقيق المؤسس ، ثم خلفه في إدارتها ابنه الشيخ محمد سليم (١٣٥٧ - ١٣٩٧هـ) ، تلاه في ذلك ابنه الشيخ مسعود (١٣٩٧ - ١٤١٢هـ) ، ومنذ عام ١٤١٢هـ يتولى إدارة المدرسة الشيخ ماجد سعيد . ويتلقى الآن أبناؤه وأبناء إخوته العلم في المدرسة نفسها ، وهم يمثلون الجيل السابع في تاريخ المدرسة .

* بدأ الشيخ رحمة الله في تكوين المدرسة وإنشاء أول مبنى خاص بها في رمضان ١٢٩٠هـ بعد شراء قطعة الأرض التي تبرعت «صولت النساء» بثمنها . وفي ١٢ شعبان ١٢٩٠هـ افتتحت المدرسة في مبناها الخاص في احتفال حضره علماء مكة وأعيانها ، وانتقل إليها الطلاب والمدرسون من دار السقيفة عند مطلع جبل هندي بحارة الشامية ، وهي دار أحد الأثرياء الهنود المهاجرين انتقلت إليها الدراسة بعد أن كانت - في البدء - في محيط الحرم بباب الزيادة . ومع ذلك فقد اختار الشيخ رحمة الله محرم ١٢٩٢هـ ليكون تاريخ البداية الفعلية للمدرسة الصولتية .

* كان أول درسين تلقاهما الطلاب في مبنى المدرسة الخاص في القرآن والحديث ، وكان درس القرآن على يد الشيخ المصري إبراهيم سعد ، وكان درس الحديث في صحيح البخاري على يد الشيخ رحمة الله نفسه .

* وُضِعَ حجر الأساس للمبنى الحالي للمدرسة في عام ١٣٢٩هـ ، على بعد خطوات من المبنى الأول ، وكلاهما لايزال قائما في موقعه الحالي في حارة الباب . وبدأت الدراسة في المبنى الحالي في ١٣٤٥هـ ، وحالت الحرب العالمية الأولى بآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والظروف السياسية الإقليمية التي مرت بها المنطقة آنذاك دون الانتهاء من البناء في الوقت المقرر .

* بنى الشيخ رحمة الله مسجد المدرسة في سنة ١٣٠٢هـ من حجارة مكتبة الحرم المكي ، بعد أن هدمتها الحكومة العثمانية لقربها من بئر زمزم ومضايقة موقعها الحجاج . وقد باع الشيخ داره لإتمام بناء المسجد والقسم الداخلي للمدرسة الذي كان يوفر المسكن والمأكل للطلاب الفقراء والوافدين دون مقابل .

* زار الملك عبد العزيز - يرحمه الله - المدرسة الصولتية في ٢٨/ ٦/ ١٣٤٤هـ ، ورافقه في تلك الزيارة الشيخ محمد عثمان الشاوي والشيخ يوسف ياسين والشيخ محمد نصيف وبعض علماء نجد ، وشارك علماء مكة وأعيانها أعضاء المدرسة الاحتفال بهذه الزيارة التاريخية .

* أسهمت الصولتية في إنشاء مدارس الفلاح ؛ إذ استفاد الشيخ محمد علي زينل - مؤسس الفلاح - من تجربة الصولتية من خلال زياراته لها واتصالاته بمديرها الشيخ محمد سعيد ، ودرّس في الفلاح صفوة أبناء الصولتية ونخبة مدرسيها من أبرزهم : أحمد ناضرين وعيسى رواس ومحمد يحيى أمان ، رحمهم الله جميعا .

* يصف أعلام مكة المكرمة العارفين بفضل الصولتية - وخاصة فضلها عليهم - أنفسهم - بأن الواحد منهم « حفيد الصولتية » ، لكونهم تلقوا العلم على أيدي العلماء والشيوخ الذين درسوا في الصولتية وتخرجوا فيها . ومن «حفدة الصولتية» هؤلاء الشيخ علوي عباس المالكي والشيخ إسحاق عزوز يرحمهما الله .

* يعدّ مؤرخو الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية الصولتية أقدم مدرسة نظامية ، لا في مكة المكرمة أو الحجاز وحده ، بل في المملكة العربية السعودية ، وعدّها بعضهم المدرسة الأولى في الجزيرة العربية .



الشيخ ماجد سعيد رحمة الله المدير الحالي للمدرسة يتدارس القرآن مع بعض منسوبيها داخل المسجد

- أي مدير الفلاح - الشهير السيد إسحق عزوز يرحمه الله .

أم المدارس

أم المدارس لا برحت عظيمة
بالنور يبزغ من سناك وينشر
قد خلد التاريخ عنك مآثرًا
يزهو بها العلمُ الصحيحُ ويفخر
قد كنت أول معهد باهت به
أم القرى وهفا إليه الأكثر
وتثقفت فيك الرجال على التقى
والشرق في فوضى الهوى يتدهور
فامضي إلى الأهداف واسعة الخطى
فلأنت أحرى بالثناء وأجدر
أبيات قالها الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي يرحمه الله في المدرسة الصولتية

المراجع

- أعلام الحجاز، لمحمد علي مغربي .
- شذرات الذهب ، لأحمد بن إبراهيم الغزاوي .
- الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير صلى الله عليه وسلم وعلى آله ذوي الفضل الشهير وصحبه ذوي القدر الكبير (مخطوط) ، لأبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي .
- مجلة الأحكام الشرعية ، لأحمد بن عبد الله القاري . دراسة وتحقيق د . عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان و د . محمد إبراهيم أحمد علي .
- المدرسة الصولتية وجهاد قرن من الزمان ، لمسعود سليم رحمة الله . المنهل ، ع ٤٦٧ ، ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٠٩هـ .
- المدرسة الصولتية ، لأحمد زكي حجازي .
- المدرسة الصولتية لأحمد السقا .
- المناظرة الكبرى ، تحقيق وتعليق د . محمد عبد القادر خليل .
- مذكرات اسحاق عزوز ، نشرتها صحيفة الندوة في صفر ١٤١٤هـ .

طائرات عام (٢٠٠٠) من البلاستيك

م. صفوان ريحاوي

لو قيل لأحدنا أن طائرة المستقبل ـ أو على الأقل أجزاء كثيرة منها ـ سيجري صبُّها في قوالب و"خياطتها" و "لصقها" و"طبخها" لتملكه العجب. ذلك لأن هذه التقنيات ـ حسب علمنا ـ مستعملة بشكل أساس في صناعة البلاستيك والأنسجة الاصطناعية أكثر منها في أعمال المعادن، ناهيك عن صناعة الطائرات. لكننا على مايبدو نعيش عصر العجائب، إذ لم يعد الأمر مقتصراً على تغيير المواد وتطوير أساليب الصنع وطرق الحساب فقط، بل وحتى على تبديل العادات التي شببنا عليها. والنتيجة التي يستشفها علماء الدراسات المستقبلية هي أن المسافر بواسطة الجو سيضع حياته مستقبلاً رهينة بين يدي "مواد" لاتشيع في نفسه الثقة اليوم ولاحتى لاستخدامها في صناعة سيارته.

منشأ المواد

أما عن منشأ هذه المواد فغالباً ماكان يحيط به الغُموض وتلفه الإثارة. كان هذا ماحدث ـ مثلاً ـ بالنسبة للألياف المصنوعة من عنصر البور. فقد سرت همسات عن أن الاتحاد السوفييتي السابق قد اكتشف وقوداً سرياً فتح المجال لإمكانات كبيرة أمام صواريخه. وقد استاء المهندسون الأمريكيون من تخلفهم عن السوفييت ـ وتعرضوا للّوم ولاشك ـ ووجدوا أنفسهم مرغمين على بذل الجهود لسد هذه الثغرة. وكان تساؤلهم الأول: ماالذي تحتويه أنواع الوقود المعروفة؟ إذا قلنا الكربون فما الذي يمكن أن يحل بشكل جيد محل هذاالعنصر؟

استناداً إلى الجدول الدوري للعناصر ظهر أن البور يحمل صفات كثيرة مشابهة لتلك التي يتصف بها الكربون. ألا يمكن أن يكون السر كامناً هنا؟ كلا، لم يكن البور هو المطلوب، لكن ذلك لم يمنع الكيميائيين الأمريكيين على كل حال من إيجاد استعمالات أخرى لهذا العنصر، فقد ظهر أن البور، الذي لم يكن معروفاً كثيراً في ذلك الحين، يتصف بمقاومة جيدة ومن هنا ظهرت فكرة صناعة الألياف منه على غرار ألياف الكربون عالية المقاومة التي كانت موجودة آنذاك.

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لم تتعرض المواد التي تصنع منها الطائرات إلى تطور واضح، وذلك لأن الصعوبات المختلفة الكبيرة والتكاليف المرتفعة أبعدت كل الاحتمالات الممكنة جانباً باستثناء بعض الاستخدامات البسيطة لعنصر التيتان. ومع أن التيتان حل ـ على نطاق متواضع ـ محل الفولاذ إلا أن هذا التغيير لم يكن واسعاً أو حاسماً.

المواد التركيبية

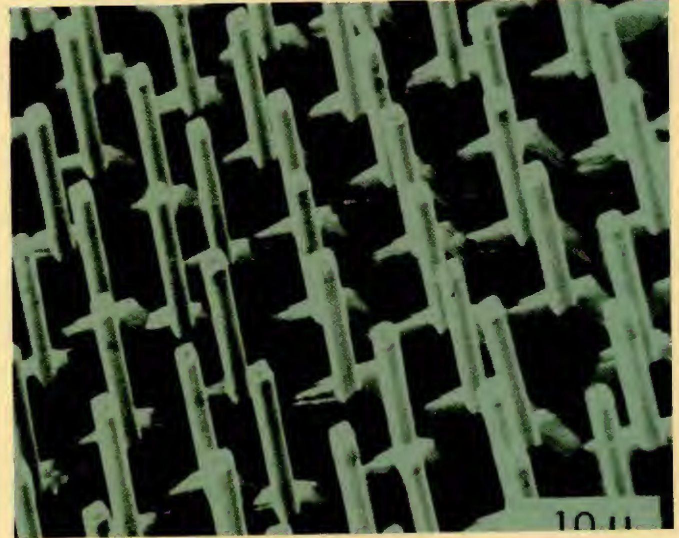
ومع حلول الخمسينيات بدأ الحديث يدور حول مواد دعيت آنذاك ـ ومازالت التسمية سارية حتى اليوم ـ بالمواد التركيبية، ومن الواضح أنها اصطناعية. وفي البداية لم يكن لهذه المواد مواصفات براقة، لذا بقي استخدامها محدوداً في صناعة التجهيزات الثانوية المتممة خصوصًا في صناعة الرادارات، حيث لم تكن هناك ضرورة واضحة لاستعمال المعادن، خاصة وأن كلفتها كانت عالية، ولكن، ماأن استطاع المهندسون طرح مركبات ذات



مواصفات ميكانيكية مقبولة حتى اتسعت مجالات استعمالها، ومن المتوقع أن ينتشر أكثر في المستقبل. ومع أن هذه المواد في الوقت الراهن لاتدخل كثيراً في بنية الطائرات التجارية إلا أن التوقعات تؤكد أن استخدامها سيتحقق، بخاصة إذا علمنا أن المراوح التي زوّد بها الجيل الأخير من طائرات الهيليكوبتر قد صنعت من تلك المواد التركيبية.



طائرة المستقبل. هل ستتصور أنها ستكون من البلاستيك؟



التوجيه الجيد للألياف يساعد على تشكيل مواد صلبة.

وعندما نطرح اليوم تساؤلاتنا عن المواد التي ستصنع منها الطائرات عام ٢٠٠١ يأتينا جواب حذر إلى حد ما: "من الواضح أنه سيكون هناك تطور في تشكيل خلائط الألنيوم والتيتان تماماً كما أن أنواع الفولاذ الذي نستخدمه اليوم ليست هي نفسها التي استعملت عام ١٩١٠م. لقد كان حد المرونة للفولاذ المستخدم في ذلك الحين حوالى ٤٠ كيلو غرام/ مم٢ أما اليوم فإننا نستخدم أنواعاً من الفولاذ حد مرونتها أكبر بحوالى أربع مرات. لكن المواد التركيبية هي التي ستمثل أكبر تحول متوقع في الأعوام القادمة. ومع أن التطور في هذا المجال يجري بشكل بطيء نسبياً، إلا أنه من الخطأ، ومن السابق لأوانه أن نتحدث عن المواد التي ستستعمل بعد عشرين عاماً. فقد تكون هي ذاتها التي نختبرها اليوم في المخابر ولربما أضيف إليها ما سنطوره خلال الأعوام العشرة القادمة، إذ إن الأمر يحتاج من ١٠ إلى ١٥ سنة حتى يتم انتقال المادة من المخبر إلى مستوى الاستعمال الواسع".

والغريب في الأمر أن استخدام هذه المواد التركيبية يتزايد على الرغم من سعرها المرتفع حالياً، ومن إخلالها بجميع عاداتنا "الصناعية"،



الاستخدامات الحالية للمواد التركيبية المختلفة في طائرة الهيليكوبتر الأمريكية من طراز "بل" Bell.

ومن صعوبة تشغيلها في الوقت الراهن. ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب... أولاً لأنها أخف وزناً من الخلائط المعدنية، وبتعبير آخر فإن حد انقطاعها بالنسبة لكثافتها يمثل رقماً أعلى من مثيله في المعادن (في حالة القطع الكبيرة). وثانياً لأنها أكثر مرونة خاصة عندما يدور الحديث حول القطع الرقيقة التي تمثل القسم الأعظم من بنية الطائرات الحالية، مثل كساء هيكل الطائرة ودفة التحكم حيث يمكن تأمين مقاومة جيدة ضد "الالتواء" باستخدام المواد التركيبية، وبتعبير آخر فإن معامل مرونتها مرتفع جداً بالنسبة لكثافتها الصغيرة.

معامل المرونة

ولكن، مامعامل المرونة؟ عندما نضغط على نابض فإنه يتشوه بتأثير القوة الضاغطة، ولكن ما إن نتركه حتى يعود إلى وضعيته الأولى، ويتحدد هذا التشوه بما ندعوه "معامل المرونة" فكلما كان أعلى كانت "قابلية المادة للتشوه أقل.

وكي نوضح مرونة المواد التركيبية أكثر لابد لنا من إلقاء نظرة على الذرات التي تتشكل منها، فما الذي يجعل جسماً صلباً يتميز بتماسك وترابط معين، وماالذي يجعل مادة ما تتصف بمواصفات ميكانيكية محددة؟ إنها ببساطة الرابطة بين ذرات هذا الجسم أو تلك المادة. ففي الذرة تتحقق الرابطة كنتيجة لتبادل الإلكترونات بين الذرات المتجاورة، لكن الجزء الثقيل في الذرة هو النواة. إذن يمكننا كي نحقق المطلوب أن



طائرات عام (٢٠٠٠) من البلاستيك

نبحث عن مواد ذات مواصفات ميكانيكية عالية انطلاقاً من ذرات خفيفة، حيث تكون النُوى خفيفة الوزن لكن عدد الإلكترونات حولها كبير قدر المستطاع. ولو عدنا إلى الجدول الدوري للعناصر لوجدنا أنه يبدأ من أخفّ نواة "الهيدروجين" ويتدرج حتى أثقلها "اليورانيوم" أما عدد ذرات الروابط فهو تابع للعمود في هذا الجدول. فمن بين الإلكترونات الـ ٩٢ لذرة اليورانيوم يشارك عدد قليل منها فقط في تشكيل الروابط، وعمليا فإن عدد هذه الذرات لايتجاوز الأربع كثيراً.

"إذن فإن الخيار في المركبات الكيميائية الصالحة لمادة خفيفة عالية المقاومة ليس بلاحدود، فهو يقع في أعلى ووسط الجدول الدوري للعناصر، ولعله من قبيل المصادفة أن يكون إلى جانب الكربون والبور. وهناك على الأرجح ستظهر الاقتراحات الأولية لصناعة مثل هذه المواد، ولكن علينا أن لانتقيد حرفياً بما قلناه، إذ ظهر أن بإمكان الأزوت أن يكون أساساً لمواد عالية المقاومة جداً".

بهذا الشكل، واعتماداً على قوى الروابط بين الذرات يمكننا نظرياً حساب المقاومات "الخارقة" للمعادن والمواد، أجل "خارقة" وإن كان هناك تناقض غريب في هذا المجال، منه على سبيل المثال أن الحديد يجب أن يتصف بمقاومة للانقطاع بحدود ٢٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ كغ/مم٢ لكننا لانعرف حتى الآن صناعة مثل هذا الحديد. فأنواع الفولاذ الأكثر استعمالاً في الوقت الحاضر ذات مقاومة في حدود ٤٠ أو ٥٠ كغ/مم٢ وأحياناً ٢٠٠ كيلو غرام لكنها لاتصل إطلاقاً إلى ٢ طن. فلماذا هذه الهوة السحيقة بين المقاومة النظرية والتطبيقية؟

ذلك لأن المادة الصلبة تحتوي على عيوب، منها على سبيل المثال تشققات دقيقة، وهذه العيوب هي التي تحدد مواصفات المعدن من حيث مرونته وقابليته للتغير والتشكل، ولهذا السبب فإنه لاينكسر لدى صبه في القوالب، أو عند إعطائه أشكالاً مختلفة. وكمثال آخر نذكر الزجاج، فمقاومته النظرية هي بحدود ٦٠٠ كغ/مم٢ أما التطبيقية فأقل بمئة مرة، وذلك لأنه أيضاً يحتوي على عيوب أخرى صغيرة. وبما أنه لايتصف بإمكانية التشوه المرن لذلك فإنه ينكسر عند تعرضه لحمولة كبيرة نسبياً.

الزجاج

وعلى العكس فإن الألياف الزجاجية دقيقة جداً لذا فهي لاتحتوي تقريباً على أية عيوب، وإذا قمنا بلصقها مع بعضها بعضاً بواسطة الراتنج فإننا نحصل على مادة "مقاومة" كتلك المستخدمة في صناعة أسقف بعض السيارات. إن الألياف الزجاجية المصنعة بهذا الشكل تقترب بمقاومتها من المقاومة النظرية.

بالتأكيد قد يظهر هناك عيب في أحد الألياف وقد ينكسر ولكن بما أن القطعة تحتوي على عدد كبير من الألياف المتلاصقة والمترابطة بمادة مرنة فإن الانكسار لاينتقل إلى الألياف المتجاورة، وهكذا نجد أنه قد أصبح بين أيدينا مادة عجيبة، فهي مقاومة جداً من ناحية ومرنة للغاية من ناحية أخرى. فماذا يريد المهندسون غير ذلك؟

في الواقع إن بإمكاننا اختراع أي شيء تقريباً، لكن هذا موجود فعلاً في الطبيعة عبر الألياف المترابطة بمادة مرنة والتي تتشكل منها العظام والأخشاب.

الألياف

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا تفضل الألياف على العناصر الكتلية؟ الجواب هو لأنه بإمكاننا أن نصنع أليافاً لاتحتوي على عيوب تقريباً، الأمر الذي لايمكن تحقيقه في صناعة القطع الكبيرة. إن التنويع بين الألياف والمادة اللاصقة، التي يمكن أن تكون معدنية بدلاً من راتنجية، يسمح لنا بالحصول على مواد تركيبية مختلفة حسب الطلب.

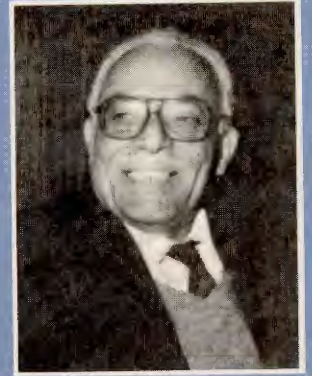
إذن، فإن اعتمادنا في المستقبل سيكون على الألياف المصنوعة من الكربون أو البور، وإذا تم توجيه جميع الألياف بنفس الاتجاه فإن صلابة القطعة ستكون كبيرة جداً باتجاه الألياف، لكنها على العكس ستكون ضعيفة جداً في الاتجاه العمودي، ومن هنا تظهر إمكانية توجيه الألياف باتجاهات مختلفة سواء للحصول على مقاومة عظمى في أكبر عدد ممكن من الاتجاهات، أو في اتجاهات محددة فقط وذلك حسب العمل الذي تقوم به النقطة المصنوعة من هذه الألياف.

ومن الواضح أن هذا الأمر سيكون مفيداً جداً في صناعة الطائرات، فالمواد التركيبية تفتح الطريق أمام تقنية الحصول على قطع متينة ومرنة خاصة عند صناعة الأجنحة. فإذا كان المطلوب أن يكون الجناح قاسياً باتجاه امتداده فإننا سنوجه الألياف الكربونية بهذا الاتجاه. وعلى العكس إذا أردناه مرناً في الاتجاه العمودي فإننا سنضع في هذا الاتجاه أليافاً أخرى من الزجاج.

وهناك كذلك إمكانية أخرى بالنسبة لأجنحة الطائرات متعلقة بدراسة تمفصلها (تصنيعها) وحركتها في اتجاهات محددة ذات صلابات مختلفة، فعلى سبيل المثال يمكن وضع عدد من الألياف الصلبة طولياً ضمن مادة لاصقة مطاطية فنحصل بهذا الشكل على قطعة قاسية جداً ضد الانحناء لكنها مرنة جداً عند النقل. وهذه الصفات مفيدة جداً من أجل تصنيع قاعدة مروحة الهيليكوبتر مثلاً.

وبعد، فإن قوانين الحياة ستفرض نفسها... لأن التقنيات الأكثر ملاءمة والأكثر اقتصادية من ناحية الكلفة والأمان سوف تسيطر في نهاية الأمر على ماعداها... فهل ستحقق المواد التركيبية ذلك؟.

اليهود في ظل الإسلام



د. حسن ظاظا

الحضارة: مادة وروح وفكر ووجدان، تشبه في هذا الإنسانَ الذي يصنعها تمام الشبه، وتَوَازُن هذه العناصر الأربعة، فيها - كما في الإنسان - سرّ الازدهار والنشاط والنجاح والاستمرار. وإذا أصيب عنصر منها بالضمور، أو الموت، ضعفت هذه الحضارة، وقلّ تأثيرها في التاريخ، وقصُر أجلها. أما إذا انتهت السيادة إلى عنصر واحد منها، فأخضع العناصر الأخرى، وهيمن عليها، وفرض عليها الطاعة والإذعان لا قيد وشرط، كان هذا حكمًا مسبقًا بموتها وانهيارها. وأمامنا مثل قريب في الماركسية، التي وصفها واضعُها، كارل ماركس، بأنها المادّية الجدلية في فلسفة التاريخ. فوقع في هذه المغالطة الغليظة ما يناهز نصف العالم تقريبا، ولجأت هذه الماركسية إلى الإرهاب، حتى تتقي الأسئلة المحرجة، وإلى الإعلام المضللّ لكي تضمن النجاح في الاستفتاءات والانتخابات، وإلى إشعال الثورات والحروب الطاحنة هنا وهناك، لتتخذ منها سببا لاستنزاف عرق العاملين، ودماء المحاربين، من غير حساب. وفجأة صحا الناس منها كما يستيقظون من كابوس مخيف، باستثناء بعض الحالمين أو المغلوبين على أمرهم. وفي أوربا العصور الوسطى كان الناس يعيشون عبيدًا للكنيسة النصرانية، وكانت الآخرة هي محور الحياة، بما يتبع هذا من الخوف والموت وأهوال العذاب. وتولت محاكم التفتيش الكاثوليكية تقديم مختلف النماذج لأهوال هذا العذاب الأخروي، هنا في الدنيا!. وانتفضت تلك المجتمعات في وجه كنيستها، فظهرت الفِرَقُ والمذاهب المتحاربة المتصارعة: الكاثوليك، البروتستنت من أتباع لوثر، والبروتستنت الكلفنيين، والزونجليين، والبيوريتانيين، والإنجيليين، والكويكر، والمعمدانيين، والكاثار، إلى جانب الأرثوذكس المصريين والأحباش واليونان والأرمن والروس، والنساطرة، وهي مذاهب لاتكاد تتفق على أصل واحد، لأن العصور الوسطى المسيحية قد حرّمت على الناس كل شيء إلاّ الاشتغال بالعبادة، والعمل الشاق من أجل رفاهية البابوات والكرادلة والأساقفة والرهبان. وعندما قام جيل الفلاسفة في عصر النهضة الأوربية أعطى السيادة للفكر وحده، ونبذ الغيبيات الدينية، كما احتقر الاهتمام بالماديات، ولم يحترم ما يختلج في قلوب البشر من وجدانيات. ثم جاءت الثورة الفرنسية فتركت في أيامها الأولى الرعية بلا راعٍ، فانصرف الناس إلى شهواتهم الحيوانية، وأفرطوا في استغلال الحرّية، فشاع فيهم السكر والزنا وسلب الممتلكات أو تخريبها، ورأت الثورة الشيوعية في أوائل هذا القرن ما هو أبشع، لأنها حرّمت على الناس اقتصاد المال، فكان مَن بقي لديه شيء منه في نهاية يومه خاف أن تصادره الحكومة لبعض ما تخترعه من وسائل امتصاص ما في جيوب الناس، فكانوا يفضلون أن يسكروا به أو يلعبوا الميسر، أو يقضوا ليلهم في المواخير.. والخلاصة أن توازن أركان الحضارة شرط ضروري لقيام أية حضارة، وحمايتها من الانهيار.

وإذا سبرنا تاريخ الحضارة الإسلامية، ووزنّا مراحله بهذا الميزان تبين لنا أن الإسلام أنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام مستوفيا لتلك العناصر والأركان جميعا، فكان بين ذلك قوامًا، وكان من نتيجة ذلك أنه انتشر بسرعة أشبه بالمعجزة، لا بين المساكين والمتخلفين، بل على أنقاض امبراطوريات وممالك قادت الحضارة البشرية آلافًا من السنين، في العراق وإيران والهند والصين، وما كان يخضع لسلطانها من جزائر البحار والمحيطات، وفي امبراطورية الروم وما كان يتبعها من شعوب في آسيا الصغرى وأرمينيا وسورية ولبنان وفلسطين، وفي وادي النيل بمصر والسودان، ثم في شمال إفريقية، وزحف إلى موريتانيا والسنغال ونيجيريا، وامتد شرقا إلى الحبشة، وأكمل الدائرة - في حياة الرسول - عليه صلوات الله - في اليمن وحضرموت وعُمان والخليج. حقيقة تاريخية مذهلة دفعت المفكر، الفرنسي «روجيه جارودي» إلى أن يصف هذه الظاهرة الفريدة بأنها لم تكن فتحًا سياسيًا وعسكريا، بل كانت «ثورة ثقافية» أقبل عليها الناس بالحماس والرضا والقبول واليقين، باستثناء من أبوا واستكبروا وارتبطت مصالحهم المباشرة بما

كان قبل الإسلام من نظم متهالكة، إلى أن جرفهم الإسلام مع هذه النظم البالية. وكان ذلك سببًا في اعتناق هذا المفكر القَلِق للإسلام، بعد أن سبق خضوعه للبروتستنتية ثم الكاثوليكية ثم فلسفة المتشككين منذ عصر النهضة، حيث تخصص في الفلسفة، وأصبح أستاذًا لها ومؤلفًا فيها، ثم انحاز إلى الشيوعية الماركسية، وصار نائبًا في البرلمان الفرنسي في جناح الشيوعيين، وعضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، وأخيرا - بعد دراسة عميقة - رضي بالإسلام دينا، وهو يعيش فيه الآن سعيدا مطمئنا. وفي حديث بيني وبينه قال بتعليق لاذع: الحمد لله الذي عرفت بفضله الإسلام معرفة سبقت معرفتي بالمسلمين الآن، ولو أني عرفتهم قبل معرفة جوهر الإسلام، لكان إقبالي عليه أقلّ سهولة!

وفي بداية تلك الدعوة المحمدية، كان نشاط الإسلام في أقطار يعيش فيها الكثير من اليهود، وفي هذه الجولة العاجلة نريد أن نعرف كيف تلقى اليهود انتقال السيادة إلى الإسلام في الأوطان التي كانوا يسكنونها.

ونبدأ بشبه الجزيرة العربية نفسها، لنجد تجمعات يهودية كثيفة في اليمن. وكان اليمن قبل هذا وثنيا مثل الشعوب القديمة كلها، ثم حكمته الحبشة بنصرانيتها فأدخلته في المسيحية، وكان اليمن كلما تطلع إلى الاستقلال أرسلت الحبشة جيوشها، ومعهم البطارقة والقمامصة والمطارنة والرهبان والصلبان، يهددون بلعنة المسيح كل يمني تحدثه نفسه بعصيان النجاشي، وأصبحت كاتدرائية العذراء مريم في صنعاء مركزًا للدعوة إلى الإذعان للحكم الحبشي، إلى أن قام في اليمن يوسف ذو نواس، فلاحظ أن مواطنه اليمني يتحرّج من قتال الجندي الحبشي، لأنه مسيحي مثله، وأخوه في الدين. فأعلن في قومه أن شريعة موسى هي أيضا من عند الله، وأن المسيحية تؤمن بها، وتقدسها، وتستمد منها الكثير من أحكامها، فتهود يوسف ذو نواس وفرض اليهودية - ديانة رسمية لبلاده - على جميع السكان، وهدد من يحيد عن أمره بالقتل إحراقًا بالنار وحفر أخدودًا أشعل فيه الحطب، وكان يلقي فيه من بقي على إيمانه بالمسيح عليه السلام، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُتِل أصحاب الأخدود النار ذاتِ الوقود. إذ هُمْ عليها قُعُود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شُهود﴾ (البروج ٤ -٧). وما يدعيه يهود اليمن - وأكثرهم هاجر إلى إسرائيل وأصبح صهيونيا متطرفًا - من أنهم من سلالة سليمان بن داود من بلقيس ملكة سبأ؛ أسطورة من نسج الخيال، وملكة سبأ - التي كانت في زيارة قصيرة جدا إلى سليمان لإقرار السلام بين المملكتين - لم تحمل من سليمان، لا نكاحًا ولا سفاحًا. فيهود اليمن متهوّدون لأسباب سياسية وحربية بأمر أحد

يدعي يهود اليمن - كذبًا - أنهم من سلالة سليمان عليه السلام

ملوكهم . وفي شمال غرب الجزيرة العربية كانت هناك تجمعات يهودية تقاطروا عليها هربًا من تنكيل الرومان، وربما من تعسف كهنة الدين اليهودي في أورشليم القدس، الذين كانوا يقتلون ويصلبون لأوهى خلاف معهم، حتى قرروا ذلك في حق عيسى بن مريم عليه السلام لولا المعجزة التي كرّمه بها ربه، فرفعه إلى السماء، وأفرغوا هم حقدهم وغلّ قلوبهم في آخر شُبّة لهم. والذي جذبهم إلى تلك الأماكن قربها من مسرح الأحداث في فلسطين، وعدم قيام ممالك قوية في تلك الجهات تمارس الرقابة على نشاطهم، فاستقروا في الجبال القائمة في أرض مَدْيَن (شمال المدينة) ثم انتشروا في خيبر وفدك وتيماء والمدينة المنوّرة، وادّعوا - كعادة اليهود - أنهم من سلالة هارون أخي موسى! وعاشوا مَوَالي للعرب من الأوس والخزرج، يسمعون عن دعوة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وهو بعد في مكة، ولعلهم سمعوا بذلك من جالية منهم كانت تسكن الطائف، وتعمل في زراعة العنب، وصناعة الخمر، والمتاجرة بها في أسواق العرب. وأحسوا بقرب الدعوة الإسلامية من توحيدهم وشريعتهم، فتحمسوا لهذه الدعوة، وحثّوا العرب على اتباعها إلى أن كانت الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، فأوجسوا خيفة من الدين الجديد، وناصبوه العداء، وكان بنو قريظة وبنو النضير وبنو قَيْنُقاع في طليعة المتآمرين على حياة الرسول وأصحابه، والمرجفين بالإشاعات الخبيثة الدنيئة عن نساء عشيرته وصحابته، حتى انتهى الأمر إلى نضال للبقاء أو الفناء بين يهود المدينة والمسلمين، بعد أن ظل محصورًا في البداية في مناظرات ومجادلات بين المسلمين وأهل «المدراس»، أي كهنة اليهود الذين يقرأون كتبهم في هذا المعبد - المدرسة.

ومع انتصار الإسلام في كل مكان، تقاطر اليهود على هذه الدولة الفتية السمحة المتوازنة، وأول ما يبلغنا ذلك عن رجل من علمائهم، اسمه بُستنائي، أشار إليه الطبري وغيره من مؤرخي الإسلام الأقدمين، وأنه كان أول مسؤول رسمي عن يهود الدولة الإسلامية في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب واهتم اليهود بسيرة بُستنائي هذا في كتبهم، فقالوا إنه ولد في إيران المجوسية. وكان أبوه يهوديا يطلب العلم على شيخ من علماء التلمود عندهم، هو الربّي حُفْني، ونال هذا الطالب حظوة في عيني شيخه فأحسن تخريجه، وزوّجه ابنته، ثم مات. وانبثقت موجة من اضطهاد اليهود في إيران، وكان من بين الضحايا هذا العالم الشاب زوج ابنة التلمودي حُفْني، وكانت الزوجة حاملاً بأول جنين من زوجها. واضطرت إلى الهرب من القتل، فأتاها المخاض في الطريق، ولم تجد مكانًا تضع فيه حملها أشد أمنًا من بستان لكسرى، وهناك جاء الغلام، فسمته أمه بستنائي، حفاظا على هذه الذكرى. ثم

مضت به إلى العراق وسورية وبلاد العرب وبلاد الروم، فأتقن العربية والآرامية واليونانية إلى جانب الفارسية، وماتت أمه، وهدأت ثائرة الفرس ضد اليهود فعاد إلى إيران، واستخدمه كسرى مترجمًا له. وجاء مبعوث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - واسمه في النصوص العبرية سعيد - يحمل رسالة منه عليه الصلاة والسلام إلى كسرى، يدعوه فيها إلى الإسلام. فأخذها بستنائي وترجمها لكسرى، فسأله الامبراطور: وأنت، ما رأيك؟ فرد بستنائي بأن دعوة هذا النبي إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والوثنية تطابق دعوة موسى عليه السلام، ولابدّ أن يكون رسولا من الله صادقًا أمينًا، إلى الأمم التي لم يُبعث إليها موسى. ونصح كسرى بترك المجوسية واتباع النبي العربي. فتمكن الغضب من الامبراطور، ومزّق الرسالة وداسها بقدمه، وقال لحاملها: لولا أنني منحتك الأمان لمزقتك مثل تلك الرسالة، ولو رأيت صاحبها لفعلت به ما فعلته بها! ثم طرده، وأمر بوضع بستنائي في السجن متهما إياه بالتآمر مع العرب ضد الفرس، وهي عقدة تحوصلت في نفوس المجوس منذ يوم «ذي قار».

وعرف في سجنه شابًا مجوسيًا من أبناء عظماء المرازبة في إيران. وكانت تزوره في السجن فتاة من أجمل الصبايا الفارسيات، عرف من صاحبه أنها أميرة في قصر كسرى، وأنه أحبّها وأحبته، فطلب يدها من كسرى، فرفض وزج به في الحبس. وذات ليلة جاءت الأميرة فرشت حرس السجن، وسمحوا للحبيب بالهروب معها إلى حيث يبغيان. ثم خافا أن يفشي بستنائي السرّ، فأمروه بالهروب في الليلة نفسها. وخطر بباله النبي العربي، فيمم وجهه شطر بلاد العرب، حتى إذا كان في بواديهم سأل عن النبي عليه الصلاة والسلام، فقيل له إن الله اختاره إلى جواره، فسأل عمّن خلفه على المسلمين، فقال أحدهم: أبو بكر، ولكنه توفي أيضا. وقال: فمن يخلفه الآن قيل عمر بن الخطاب، فسار حتى وصل إليه في المدينة، فقصّ عليه قصة الرسالة النبوية إلى كسرى وقال الراوية اليهودي إنه شجعه على فتح إيران، لأن الفساد والظلم والرشوة والإباحية قد تفشت في تلك البلاد، وأصبح أهلها يحلمون بمن يخلصهم من هذا الوبال. وقال سيدنا عمر: وماذا يهمك وأنت يهودي، لاعربي ولا إيراني؟ قال: حقدي على قتله أبي، وما عرفته من أمي من اضطهاد وتشريد، وما عوملت به من كسرى، الذي أخلصت له النصيحة، فرماني في السجن. قال عمر: لابد أن تكون لك عندي حاجة أيضا. فأجابه: سمعت أنك منعت يهود الطائف من الخروج منها للتجارة. قال عمر: لأنهم يبيعون الخمر في أحياء العرب وهي عندنا حرام. قال بستنائي: فخذ عهدهم ألا يبيعوا خمرًا، ولا تضيّق عليهم في سعيهم لرزقهم. قال عمر: لك هذا، فأجاب

الفاروق هو أول من عين رئيسًا يهوديًا في حكومة غير يهودية

بستنائي شاكرًا وكرر على أمير المؤمنين سهولة فتح إيران، بل عرض عليه أن يرافق الجيش الفاتح فيرشده إلى مسالك البلاد. فأرسله مع الجيش، وأوصى قواده - احتياطًا - أن يأخذوا حذرهم، فإن أوقعهم في كمين مثلاً، بدأوا به! وانتهى الفتح بنصر جيوش المسلمين، ودخول عامة الفرس في الإسلام ماعدا اليهود. فأصدر سيدنا عمر بن الخطاب مرسوما بتعيينه رئيسا للجالية اليهودية كلها في الدولة الإسلامية، ولقبه الرسمي (رأس الجالوت)، وتكرر هذا في كتب التاريخ اليهودي كلها على أنه أول قرار رسمي من رئيس حكومة غير يهودية بتعيين رئيس يهودي معترف بسلطته، وهو أمر لم يحدث في العالم من قبل، ففي عهد البابليين والفرس واليونان والرومان كان اليهود يلُوذون في سرِّية تامة بشيخ من شيوخهم يثقون به، ولا تعلم الدولة التي يعيشون فيها عنه شيئًا، ولا تعترف بحق اليهود في إدارة شؤونهم بأنفسهم. وهكذا وجدوا أنفسهم في ذمة المسلمين، أحرارًا في دينهم وإقامة شعائرهم والاحتفال بأعيادهم وتعليم لغتهم لأبنائهم والتأليف بها أو بلغة البلد الذي يعيشون فيه - أي العربية - حسب اختيارهم، وكانت الجزية التي يدفعونها بدلاً عن حمايتهم وأمنهم، لأنهم أعفوا من واجب الجهاد في سبيل الله، المفروض على المسلمين.

ونشير هنا إلى أن أهمية تعيين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لبستنائي أميرًا على يهود الدولة الإسلامية كانت مثارًا لحكايات وأساطير كثيرة لدى المؤرخين اليهود حتى في العصر الحديث. فزعم المؤرخان اليهوديان ماكس مرجوليس وألكسندر ماركس في كتابهما «تاريخ الشعب اليهودي» أن الخليفة زوّج بستنائي من أميرة من سبايا الأسرة الامبراطورية الكسروية اسمها «إزْدُنْداد» فنقلها من المجوسية إلى اليهودية، ثم تزوج يهوديات أخريات، فشب من أبنائهن نزاع ضد أبناء إزدنداد على الوراثة، واحتجوا بأن هذه المرأة كانت من الرقيق، ولم تكن سليلة شعب الله المختار، ولكن فقهاء اليهود أفتوا بأنها أُعتقت وتهوّدت قبل زواجها؛ وكذلك كثرت القصص والمسرحيات الصهيونية المستوحاة من سيرة هذا الحاخام الرسمي الأول في التاريخ، منذ مملكة سليمان وداود، وفي كثير منها فرص سانحة للسخرية من الفرس والعرب، ومن الإسلام على الخصوص.

ويتحدث المؤرخون اليهود أيضا عن مرسوم إسلامي صادر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بتعيين «مار إسحق» حاخامًا أكبر للكوفة، ورئيسا لليهود في البلاد الإسلامية. واستمر هذا المنصب يتسلسل بعد ذلك عبر الأجيال تحت ألقاب مشابهة «رأس الجالوت» و «رأس المثيبة» أو «النسيء» أي الأمير، أو «النجيد» أي المكرَّم. الخ، ونلاحظ أن علاقة اليهود بالإسلام أثارت

اهتمامهم وسرورهم في أول ظهور الدين الحنيف، والرسول عليه الصلاة والسلام يناضل كفار مكة من أجل التوحيد، ولكنهم ينقلبون عليه بمجرد هجرته إلى جوارهم في المدينة، فراح شيوخهم يجادلونه ويحاولون إثارة الشبهات حول دعوته، كما راح سفهاؤهم - رجالاً ونساءً - ينالون من سمعته ونبوته وأهل بيته وصحابته - شعرًا ونثرًا - ، ثم يتآمرون على قتله أكثر من مرة، منحازين إلى أعدائه، وكانوا من أشد الناس عداوة له ولدينه، بشهادة القرآن الكريم . لكن بعد تصفية هذا الحساب ، بالموعظة الحسنة حينًا ، والقوة أحيانًا، وبعد جلاء أكثرهم عن المدينة، اختفى كل ظل من الكراهية لهم، حتى وصلنا إلى بستنائي ومار إسحق. وانصرف كثير منهم إلى التجارة أو إلى الكهانة الدينية. وإلى الهندسة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم. يمارسون ذلك في ظل الأمن والحرية والكرامة التي لم يعرفوها ولا آباؤهم من قبل، منذ مملكتهم في عهد سليمان عليه السلام، حتى استولى على بعضهم الصلف والغرور، فتعالى على الناس وعاملهم بخشونة وعجرفة. وأذكر على سبيل المثال هذا الهجاء لطبيب يهودي من العصر العباسي:

لنا صديقٌ يهوديٌّ حَمَاقتُهُ
إذا تكلم، تبدو فيه مِنْ فيهِ
يتيهُ، والكلْبُ أرقى منه منزلةً
كأنَّهُ بَعْدُ لم يخْرُجْ من التيه

وهذا الشعر لم يقله مسلم، بل طبيب نصراني من معاصريه وأبناء مهنته هو ابن التلميذ الطبيب!

ويغطي العصران الأموي والعباسي مرحلة من أزهى مراحل الفكر اليهودي هي عصر «الجأونيم» والمفرد من هذه الكلمة العبرية (جَأون) معناها العلاّمة المتبحر، والمعظَّم، والأفخم. فقد انتهت عصور التلمودِ وطبقات رواته مع ظهور الإسلام، وبدأت هذه المرحلة من المدققين والمفسرين والشرّاح في ظل الإسلام، واقتفاءً لعلماء المسلمين، واقتداءً بهم. وكان لهؤلاء (الجأونيم) مركزان بالعراق - معقل الدولة العباسية - أولهما في (سورة) بالقرب من بغداد، والثاني في (عانة) بشمال العراق، واسمها القديم (فُمْبديثَا)، ولكل منهما شيخ ينتخبه اليهود أنفسهم، ويمتد نفوذهم إلى كل الدولة الإسلامية وما وراءها من التجمعات اليهودية في كل بلاد العالم، يطيعهم اليهود في مصر وشمال إفريقية والأندلس، وإيران وبلاد الروم وغيرهم، ويستفتونهم في دقائق دينهم، وكانت لفتاواهم قوة المدراش والتلمود. وكانت كل فتوى تنتهي بعبارة لاتتغير: هذا هو الحكم الشرعي، ويحرم الخروج عنه يمينًا أو يسارًا. وكانت سلطة الجأوان ، شيخ هذه الأكاديمية أو تلك ، معترفًا بها من الخليفة العباسي، يقول مؤرخو اليهود إنه كان «نصف اعتراف» ولايقولون لماذا هذه المناصفة ! ربما لأن رئيس كل

السبب الأول في سقوط الأندلس عدم دعوة الإسبان إلى الإسلام

من هاتين الأكاديميتين كان تابعًا لسلطة الحاخام الأكبر رئيس الطائفة (رأس الجالوت) الذي كان يستمد سلطته والاعتراف الكامل به من الخليفة شخصيًا. وكان لكل جأون راتب كبير يأتي من زكاة اليهود للمعبد، ومن تبرعات الأثرياء. ومع الزمن انحصر هذا المنصب في أسر قليلة تتوارثه . وكثيرا ما كانت تنشب المنافسات على النفوذ بين الجأون والحاخام الأكبر «رأس الجالوت» كما حدث في القرن الثالث الهجري بين الجأون سعديا سعيد بن يوسف الفيومي رئيس أكاديمية (سورة)، والحاخام الأكبر للخلافة العباسية داود بن زكّاي. فعندما أخرج سعديا كتابه في التوحيد اليهودي باللغة العربية، وعنوانه: «كتابات الأمانات والاعتقادات» لمح الحاخام زكّاي فيه أثرًا من منطق المعتزلة المسلمين، فاعترض عليه، وأصر المؤلف على آرائه، فاتهمه رأس الجالوت بمخالفة الشريعة الموسوية تملقا للمسلمين ، فتجمهر عوامّ اليهود ضد سعديا، ورجموا داره بالحجارة، ونادوا بسقوطه، فاستقال من منصبه ، وبقي في بيته بضع سنين يترجم أسفار (العهد القديم) من العبرية إلى العربية، ويضع عليها شرحًا مختصرًا وآخر مطوّلاً بالعربية، وصلتنا منه أجزاء لا بأس بها، ويظن الباحثون أن العثور على كل أعمال سعديا الفيومي مايزال ممكنا لو تمّ التفتيش عنها في اليمن، لأن يهود اليمن كانوا يؤمنون بعلم سعديا وينسخون كل كتبه - وهي كثيرة - ويحتفظون بها لدراستها أو لمجرد التبرّك بها. وانتهت محنة هذا الجأون بعودته إلى أكاديمية سورة من جديد، وخلفه في المنصب - بعد موته - الجأون شموئيل بن حُفْني (١٠٠٣م-١٠١٣م). أما أكاديمية (عانة) فقد اشتهرت من الجأونيم الذين تولوها. شريرًا (٩٦٨م - ٩٩٨م) وخلفه ابنه هَايْ جأون (٩٩٨م - ١٠٣٨م)، واشتهر هذا الأخير برسالة كتبها إلى التجمعات اليهودية في الغرب لتنظم لها وظائف إفتاء وفي الوقت نفسه قامت الأقلية اليهودية الباقية في فلسطين باختيار (جأون) من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الحادي عشر، ولكن هذه الأكاديمية الفلسطينية كانت أكثر انغماسًا في السياسة إلى أن عصفت بها الحروب الصليبية.

وإذا كان ظهور الفرق الإسلامية من شيعة وخوارج ومعتزلة وأشاعرة وأهل سنة وفلاسفة وزنادقة قد أثر في مناهج الجأونيم وإنتاجهم، فإن الأمر مختلف عندما انتقل هذا النشاط إلى المغرب والأندلس. فالمسلمون هناك كانوا - ومايزالون جميعًا - أهل سنة ومالكية. ويبدو أن العرب - بعد أن استقروا في إسبانيا - أهملوا إلى حد كبير الهدف الأسمى من الإسلام وهو نشر دعوته في الشعوب التي يختلطون بها، فبقيت عامة الإسبان بعيدة عن نور الإسلام، تعمل في الحرف والفنون والعلوم، وتتكلم بلغاتها ولهجاتها، وتدفع الجزية إلى الحكام العرب، وتقوم بخدمتهم في بناء

قصورهم ومساجدهم وقناطرهم وأسواقهم، وتقوم نساؤهم بالغناء والرقص والعزف والترفيه، لا يوجههم داعية غيور إلى اعتناق الإسلام والتمسك به، فكان هذا - في رأي كثير من الباحثين - السبب الأول في هزيمة العرب، وضياع الأندلس. وكاد الأمر أن يحدث مثيله في مصر بعد حكم عمرو بن العاص، فانصرف حكام مصر إلى الترف والتمتع بالخصب والثراء، واعتبروا أن مصر بلد فتح صُلحًا، وسكانها من القبط أهل كتاب، فلهم الحق في البقاء على دينهم المسيحي، واستعمال لغتهم القبطية، وبناء ما شاءوا من الأديرة والكنائس والمدارس. ولكن الأمر تغير في عهد المأمون العباسي، عندما قام راهب مصري من البرلس في شمال الدلتا فدعا إلى الانفصال عن الخلافة الإسلامية، وإقامة دولة مسيحية مستقلة في مصر. وواضح أن «الراهب قُزمان» الذي قاد هذه الحركة قد أقبل عليها من غير أية دراسة أو فهم لأحوال الدولة الإسلامية، وهي في أوج عزّها ورسوخها وقوّتها. وكان بدء الصراع بطبيعة الحال الامتناع عن دفع الجزية. وكان المسلمون في مصر هم الحامية العربية هناك ومن لحق بهم من عشائرهم وقبائلهم تحت ضغط ظروف الحياة، ثم مَن شرح الله صدره من المصريين لتقبّل الإسلام، وقليل ما هم. عندئذ جمع المأمون مستشاريه فأفتوا بأن عهد الدولة مع المصريين بعد فتحها صُلحًا قد نقضه الناس هناك، فلا يُقبل منهم بعد ذلك صلح، والواجب قتالهم حتى يُسلموا جميعا. وأرسل المأمون جيشًا كثيفًا بقيادة عبدالله بن طاهر، لايقبل صلحًا ولاجزية ، بل الإسلام، أو القتل . وانتهى الأمر بإسلام المصريين، ما عدا تجمعات لجأت إلى أقصى الجنوب من الصعيد، أو إلى أديرة الرهبان في الصحراء، ورأى القائد عبد الله بن طاهر أن مواصلاته قد طالت جدا، وأن البقية التي لم تدخل في الإسلام قليلة وأنها تجنح إلى السلم، ولم تنغمس في الفتنة، فاكتفى الخليفة بذلك، وتم إسلام مصر في عهده، و الأمر في إسبانيا لم يكن كذلك، إذ سرعان ما قامت فيها خلافة أموية لا تقرّ بالسيادة لبني العباس في المشرق، وجرى خلفاء الأمويين في الأندلس على تقاليد أسرتهم التي حولت خلافة المسلمين إلى ملك متوارث، اهتموا فيه بالمظاهر التي نافسوا بها أباطرة الروم في بيزنطة، إلى أن أزال العباسيون ملكهم. وفي الأندلس أرادوا أن يتشبهوا ببغداد، وكانت أسباب تحقيق هذه الرغبة متحققة في متناول أيديهم، فالبلد آمن، كثير الخيرات والمياه والأنهار، وجباله موارد لا تنفد لحجارة البناء، والعمال أذكياء مطيعون، وهكذا أصبحت قرطبة وطليطلة وغرناطة وأشبيلية وبرشلونة وبلنسيه ومدريد وسرقسطة مراكز حضارية تنافس بغداد ودمشق والقاهرة والبصرة والكوفة والموصل والريّ ونيسابور نشاطًا وإبداعًا. وكانت رحلة الفكر

كانت أوربا في عهد قوتها تتصدى لليهود فإذا تزعزعت كفت عن ذلك

الإسلامي من الشرق إلى الغرب دليلاً على وحدة الأمة حول الفكر العربي، بالرغم من اختلاف النظم السياسية والاقتصادية في تلك البلدان. وعلى طول هذه المسيرة كان اليهود، هم وغيرهم من الملل الأخرى كالسريان النصارى والعراقيين الصابئة، ينهلون من بحرها ما شاءوا آمنين مطمئنين. ويردّني هذا إلى فكرة ذكرها الكاتب اليهودي الفرنسي «أندريه شوراقي» في دراسة قصيرة له عن الفكر اليهودي في ظل الحضارة الإسلامية خلاصتها أن الدولة الإسلامية كانت دائما بعيدة عن التعصب الديني والعنصري، طالما كانت قوية مالكة لزمام أمورها آخذة بأسباب حضارتها، ولايظهر فيها التعصب والتشدد إلاّ مع الخوف على كيانها، بعكس الأمم الأخرى في الشرق والغرب كالفرس واليونان والرومان وطغاة الأوروبيين في العصور الوسطى المسيحية وقياصرة الروس في العصر الحديث وزعماء الشيوعية من بعدهم كالألمان في ذروة القوة النازية الهتلرية، وكذلك في إيطاليا تحت حكم موسوليني. إذ كانت هذه الدول لا تنكّل باليهود إلاّ وهي قوية راسخة، فإذا تزعزعت كفّت عن التصدي للأقليات، وفي مقدمتهم اليهود. وهي شهادة يعتز بها العرب والمسلمون من رجل يهوديّ سطرها وهو في أوج صهيونيته وفي الصف الأول من زعاماتهم، لدرجة أنه هاجر إلى فلسطين بعد هزيمة العرب أمام إسرائيل عام ١٩٦٧م، وعين نائبًا لمحافظ القدس الصهيوني «تيدي كولك» ليحكم القطاع العربي والإسلامي من المدينة، بحكم أنه من مواليد الجزائر، وأنه يعرف اللغة العربية والدين الإسلامي. وحدثت المعجزة لهذا الرجل عندما رأى بنفسه ألوان الوحشية التي يمارسها الصهاينة تحت عينيه في القدس العربية. فترك فلسطين كلها، وترك جنسيته الإسرائيلية، وعاد إلى باريس يندد بما رآه بنفسه من «الأساليب الهتلرية الظالمة الغاشمة» التي تمارسها الصهيونية على العرب والمسلمين بلا حياء. ثم فجأة تقوقع يترجم التوراة ثم القرآن آخذًا لنفسه حرية غير منهجية يخالفه فيها اليهود والنصارى والمسلمون، وأعتقد - لأنني أعرفه شخصيا كزميل في الدراسة - أنه يتوارى وراء صوفية متحيرة متخبطة، خوفًا من أن يقتله أحد الغيورين على صهيونية سبقها الزمن .

كان لابد من هذه الوقفة حتى نتصور مبلغ الحرية التي كان يحظى بها اليهود في ظل الإسلام، لدرجة أن جامع قرطبة ما كان يمانع في حضور اليهود وغيرهم من أبناء الملل الأخرى دروس النحو واللغة والأدب والمنطق والفلسفة، ولايُمنعون إلا عن دروس القرآن والحديث لأنها من أخص خصائص المسلمين، ولا يمكن أن يخوض فيها إلا المطهّرون. وكان اليهود في العراق قد عرفوا مناهج المسلمين في وضع قواعد لغتهم نحوها وصرفها، فألّف سعديا الفيومي كتابا باللغة العربية في قواعد اللغة العبرية.

الجذور تقاوم الغزو

د. خير الدين عبد الرحمن

ليس ثمة ماهو أسهل وأخطر من إطلاق تساؤل قد يبدو بريئًا في ظاهره، ولكنه يحمل التشكيك المقصود في ثناياه، بحيث تتوالد علامات الاستفهام وتتكاثر مثل الفطر، ثم لاتلبث أن تتجذر شكوكًا تثير الحيرة والتردد بين الناس، فتدفعهم في التيه، بحيث تصير هذه الشكوك ستار دخان كثيف يلف الحقيقة، لتضيع هذه الحقيقة في خضم قضايا يشتد الخلاف بشأنها ويتشعب وينتشر، مما تزخر بها الحياة الإنسانية المعاصرة. ﴿وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٤).

منذ أن اطَّلَعَتْ جوليا ديمترينا جلنيكا، بالمصادفة على وثائق خطة يهودية للهيمنة على أوربا أولاً، ثم على شمال أمريكا، وصولاً إلى الهيمنة على العالم كله، أرعبتها السطور القليلة التي قرأتها، وهي تقلب صفحات هذه الخطة، في غرفة داخلية بمقر المحفل الماسوني الفرنسي في باريس، لدى زيارتها أحد قادة ذلك المحفل في العام ١٨٩٢م، فسرقت بعض أوراق تلك الخطة، وتبين يومها أن ممثلي صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين - أعلى مراتب الماسونية - قد اعتمدوها ووقعوا على وثائقها.

هرتزل يعترف

وتم نشر ما تسرب من تلك الوثائق في روسيا، ثم في بريطانيا، ثم في دول أخرى، وفي إثر ذلك انطلقت حملة يهودية محمومة وظّفت آلاف الأقلام على امتداد العالم، تنكر صحة تلك الوثائق، وتتهم ناشريها بالتزوير والاختلاق. بعد نحو عشر سنوات، اعترف ثيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة، بأنه «قد سرقت بعض الوثائق من قدس الأقداس، وما كان يجب لها أن تنشر الآن». جاء اعتراف هرتزل في بيان رسمي صدر عن اللجنة الصهيونية في العام ١٩٠١م، ولم يجد الباحثون وثائق صهيونية خطيرة ينطبق وصف هرتزل عليها سوى وثائق تلك الخطة التي اشتهرت باسم «بروتوكولات حكماء صهيون». استمرت المماحكات تتجدد بشأن هذه الوثائق حتى يومنا هذا، على الرغم من اعتراف هرتزل، وعلى الرغم من مرور أكثر من مئة سنة على تسرب تلك الوثائق ونشرها. ذلك أنه كلما لفت نظر كاتب أو مفكر مدى التطابق، بين ما يتلاحق تطبيقه على الأرض في بلاد كثيرة، وما كانت تلك الخطة قد تضمنته من أهداف، وحددت وسائل تحقيقه، تتجدد الحملة المحمومة لتؤكد مجددًا أن وثائق تلك الخطة مزورة وبلاأساس. وتتخذ تلك الحملة أشكالاً مختلفة، وأساليب متعددة، فلاتتوانى، مثلا، عن التهوين من شأن اليهود، والقول بأن عددهم ومدى نفوذهم لا يسمحان بمجرد التفكير في قدرتهم على تدمير قوى العالم وقيمه السائدة والتحكم في شؤونه.

الأحداث تكشف الغموض

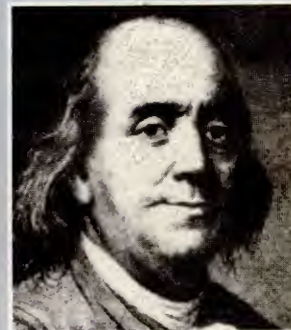
تلاحقت تحولات وأحداث جسام عصفت بالعالم، وتبدلت علاقات وأوضاع بدا يومًا أنها

كانت ستستقر قرونًا، وقامت ثورة بلشفية قضت على روسيا القيصرية ثم مدت تأثيرها سريعًا في شرقي أوربا ثم إلى الغرب، وعلى امتداد الصين إلى الشرق، لتقيم معسكرًا كاد يسيطر على معظم أنحاء العالم. ونشبت حربان عالميتان في النصف الأول من القرن العشرين سقطت معهما امبراطوريات ودول وعقائد وقيم وأساليب حياة. وقامت مدارس عالمية التأثير والنفوذ في الاقتصاد والسياسة والفكر والفنون، تعاقبت هيمنتها وتغيراتها، واحدة إثر أخرى. واشتد لهاث العالم في خضم هذه التحولات العاصفة، وكلما وجد مفكر أو قائد أو صاحب رأي تفسيرًا لبعض غموض تلك الأحداث والتحولات الهائلة، في ضوء ما تضمنته «بروتوكولات حكماء صهيون» من خطوط عريضة أو تفاصيل، تجددت حملة الإنكار، وانتصب سيف التكذيب والقمع والإرهاب في وجه من يجرؤ على ذلك التفسير. آلاف من الحالات واجهت هذا السيف، نسوق مثلاً عليها الكاتب البريطاني دوجلاس ريد DOUG-LAS REED الذي تحدث عن تجربته وملاحظاته في كتابه «لكي لاتندم» LEST WE REGRET الصادر في العام ١٩٤٣م، عن دار النشر JONATHAN CAPE، فأوضح أنه كان صديقًا حميمًا لليهود، ونصيرًا للصهيونية بلا تحفظ، إلى أن اكتشف الدور اليهودي الطاغي في إشعال الحربين العالميتين، وفي قيام الثورة البلشفية في روسيا وقيادتها، وفي تدمير القيم والبنى المسيحية، وفي تخريب الأخلاق والعلاقات الاجتماعية والبنى الاقتصادية والحياة الفكرية الأوربية، وفي السيطرة المحكمة على وسائل الإعلام ومراكز الحكم والإدارة في أوربا وشمال أمريكا، فأعاد النظر في كثير من الظواهر والأحداث والتحولات على أساس احتمال كونها تطبيقًا للخطة الجهنمية اليهودية، وإذا بالوثائق والوقائع تجزم بأنها كانت فعلاً كذلك.

هل يخضع العالم للصوت الواحد؟

أصاب هذا الكاتب نفس ما أصاب الذين سبقوه أو تلوه، ولعل آخرهم البروفسور توني مارتن أستاذ مادة تاريخ الأمريكيين السود في كلية ديلسلي الجامعية الأمريكية المرموقة. فبعد إحدى وعشرين سنة أمضاها محاطًا بالتقدير الكبير والاحترام الشديد في تلك الكلية، تعرض مؤخرًا إلى حملة تشهير واضطهاد وقمع أنهكته تمامًا. كانت «جريمة» هذا الأستاذ اللامع أنه أدرج كتابًا اسمه «العلاقة السرية بين السود واليهود» ضمن قائمة طويلة من مراجع نصح طلابه بالرجوع إليها في أبحاثهم. فذلك الكتاب يثبت بالوقائع الدامغة، أن اليهود هم الذين نظموا تجارة الرقيق الكبرى في التاريخ الإنساني، التي


تيودور هرتزل


بنجامين فرانكلين

اقتلعت ملايين الأفارقة من بلادهم وشحنتهم لتبيعهم أرقاء في الولايات المتحدة الأمريكية، إثر بدء الاستيطان الأوربي هناك.

بالقمع وتكرار الكذب يراد للعالم أن يخضع للصوت الواحد، وأن يقبل تزوير هذا الصوت للتاريخ، وتدميره للعقائد والأديان والقيم. لعل هذا ما كان في ذهن الكاتب أرثر سليسنجر إذ كتب يقول: «هؤلاء الذين يكذبون، كم هم ضروريون لكي يكون التاريخ حقيقيًا» (!!).

تستعيد الذاكرة هذا وسواه، إذ تكرر أقلام عربية اليوم ما يتردد في أوربا، بنشاط حاليًا، من تجديد إنكار صحة «بروتوكولات حكماء صهيون»، والإصرار على الادعاء أنها مختلقة ومزورة، في وجه عودة الاهتمام بتلك البروتوكولات، وتداول أوساط أوربية كثيرة لها، وتفسير العديد من الظواهر والوقائع والتحولات باعتبارها تنفيذًا لما تضمنته الخطة اليهودية المبينة في هذه البروتوكولات.

إن قيمة خطة متكاملة شاملة مثل تلك التي تفصِّلها «بروتوكولات حكماء صهيون» تتحدد في سياق مطابقة الوقائع والنتائج الواضحة على الأرض لما جاء في الخطة من أهداف، وفي سياق انتشار الوسائل التي اعتمدتها تلك الخطة وحددتها بدقة، أكثر مما تحددها مماحكات لفظية حول ما إذا كانت هذه الخطة صحيحة أم موضوعة ومختلقة. ولنا عودة مفصلة ومنفصلة إلى التطابق المذهل بين تفصيلات تلك الخطة ـ أهدافًا ووسائل ـ وما تلاحق من تغيرات وتحولات ووقائع على كل صعيد في عالم القرن العشرين.

العرب ومهاجمة «نظرية المؤامرة»

ظاهرة أخرى تماثل ترديد أقلام عربية لمقولة أن «بروتوكولات حكماء صهيون» مفتراة ومزورة، هي الإكثار من مهاجمة «نظرية المؤامرة»، والإلحاح في الدعوة إلى الكف عن ادعاء وجود تآمر خارجي علينا.

الجذور تقاوم الغزو

لسنا هنا في صدد الدفاع عما استشرى في حياتنا العربية من استعمال دائم وسهل لمشجب التآمر الخارجي تفسيرًا وتبريرًا للعديد من الإخفاقات والهزائم وجوانب القصور. إن من العبث أن نتجاهل عوامل الخلل الذاتية، فندمن التستر عليها، متلذذين بخدر إلقاء المسؤولية على الآخرين، ذلك أننا ندرك بوعي أن الخلل كامن في الذات، وأن الخلاص يبدأ بها ومنها، وندرك أكثر أن التذرع بتآمر الآخرين يعطل عملية المراجعة المطلوبة بإلحاح، ويعرقل النقد الذاتي المتكامل، مع عمل جاد لتصحيح المسار وتلافي أسباب القصور والخلل. لكن المغالاة في التهوين من أمر التآمر الخارجي - إلى حد نفي وجوده أصلاً - تشكل دعمًا أكيدًا لذلك التآمر، بل إحدى وسائله ونتائجه.

ولسنا بحاجة إلى وقفة عند ظاهرة ثالثة تدعو إلى نبذ الأهداف العامة باعتبارها أوهامًا، واستبدال القيم الجمعية باعتبارها من إرث التخلف ومسبباته. كأنما الارتداد عن تلك الأهداف والتخلي عن هذه القيم هما علاج الهزائم والإخفاق، بينما هي في واقع الأمر العنصر السليم الوحيد في معادلة تعاطينا مع العالم.

بل إن الأمر قد بلغ حد الدعوة علنًا، مثلاً، على صفحات صحف عربية إلى إطلاق حرية النشاط الماسوني عندنا، على الرغم من أن العالم بأسره يعرف مدى خطر الماسونية، باعتبارها أداة يهودية عالمية لتدمير قوى المسيحية والإسلام، ولتخريب قيم الشعوب وعقائدها، والهيمنة على حياتها وشؤونها. إننا نوقن بأن مثل هذه الدعوات، وما هو أكبر منها، لا وزن لها أمام التحديد الإلهي الحاسم للعدو: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ (المائدة: ٨٢). لكن هذا اليقين لا يُلغي الحاجة إلى الحذر من تفشي الانحراف وتكاثر الاختراقات.

إننا نعيش في عالم تزداد علاقاته الخفية تشابكًا وتعقيدًا في مجالات الحياة المعاصرة كافة. تدخل تأثيرات هذه العلاقات طاغية بلا استئذان إلى كل بيت، وإلى كل نفس، محاولة - بوسائل مختلفة - إحداث تغيير جذري في أنماط التفكير والسلوك والقيم والتعامل الفردي والجمعي. إن تأثير إعلان صغير تعرضه شاشة التلفزيون، أو أغنية يرددها الصغار، ربما يتجاوز ما تمارسه وسائل التوجيه والتربية التقليدية من أسرة ومدرسة ومحيط مجتمعي مباشر. ولم نعد بحاجة إلى براهين على أن الشبكات الكونية المنظمة ذات الفعالية الطاغية تمارس عملية إعادة تشكيل عقل الإنسان وسلوكه، دون إرادته، في عملية مسخ تطال المجتمعات الإنسانية بأسرها، بدرجة أو بأخرى، عبر موجات تأثيرها في أنماط التفكير والسلوك والعلاقات الاجتماعية والمأكل والملبس.

(فبركة) الرأي العام

لقد باتت عملية (فبركة) الرأي العام مهنة رائجة تتولاها أجهزة محترفة، يحتشد الخبراء فيها متنافسين على إنجاز أقصى تأثير ممكن. ولقد بات العالم مفتوحًا إثر ثورة المعلوماتية التي أسقطت كل الحدود والحواجز، بما ضاعف من فاعلية تلك الأجهزة مئات المرات في السنوات الأخيرة. لم تعد سرًا الجهة الأكثر هيمنة على تلك الأجهزة، وكذلك على الاحتكارات الضخمة والشركات المتعددة الجنسية، التي تفرض قوانين السوق السائدة تجسيدًا عصريًا لعبادة العجل الذهبي.

بيّنت وثيقة داخلية وضعها خبراء البنك الدولي في مطلع العام ١٩٩٢م - متضمنة أضخم مائة قوة اقتصادية في العالم من دول وشركات - أن حجم مبيعات العديد من الشركات العملاقة، كُلاً على حدة، يفوق الناتج القومي الإجمالي للغالبية الساحقة من دول العالم، كلاً على انفراد. فقد بلغت مبيعات «جنرال موتورز» مثلا،للعام ١٩٩١م مبلغ ١٢٧ مليار دولار، وهو أكبر من الناتج القومي الإجمالي لمائة وسبعين دولة في العالم كل على حدة، بما فيها الدول العربية والإسلامية كافة، ومعظم الدول الأوربية. وبلغ الناتج القومي الإجمالي لفنلندا في ذلك العام ١١٠ مليارات دولار، وللدنمارك ١٠٥ مليارات دولار، وللنرويج ٩٢ مليارًا، وللسعودية - التي جاءت في المركز الخامس والعشرين في تلك القائمة - ٩٠ مليار دولار، ولأندونيسيا ذات المائة والثمانين مليون نسمة ٨٨ مليار دولار، ولجنوب إفريقيا صاحبة مناجم الألماس والذهب الهائلة والصناعات المتطورة ٨٦ مليار دولار. ولم يقتصر الأمر على شركة جنرال موتورز، فقد بلغ حجم مبيعات شركة فورد للسيارات في ذلك العام ٩٧ مليار دولار، وبلغ حجم مبيعات شركة إكسون الأميركية للبترول ٨٧ مليار دولار، وبلغ حجم مبيعات شركة رويال داتش - شل للبترول ٨٥ مليار دولار، وبلغ حجم مبيعات شركة تويوتا اليابانية ٦٠ مليار دولار، وشركة جنرال إلكتريك ٥٥ مليار دولار، تليها شركات موبيل وهيتاشي وبريتش بتروليوم وآي.آر.آي وديملر بنز وفيليب موريس للسجائر وفيات وكرايسلر ونيسان وسيمينز.

لقد فاقت مبيعات كل من تلك الشركات إجمالي الناتج القومي لدول مثل فنزويلا

المغالاة في التهوين من أمر التآمر الخارجي، يشكل دعمًا لذلك التآمر، ووسيلة له

والبرتغال واليونان والأرجنتين وبولندا وتركيا، ناهيك عن هونغ كونغ وتايلند والجزائر والكويت والإمارات العربية المتحدة ومصر والمغرب. فإذا كانت هذه هي موازين القوة في عصر بات الاقتصاد فيه سيد الموقف عالميًا، فأي ضابط يحكم تأثيرات شركات عملاقة يختلف سلوكها عن سلوك الدول المحكوم باعتبارات عديدة لاتخضع الشركات لها؟ وإذا كنا ندرك ماللإعلام والاتصال من تأثير هائل في عصرنا، إذ يؤدي دورًا رئيسًا في صياغة العقول والأفكار والسلوك، فكيف نتجاهل أن نسبة مشاهدي شبكات التلفزة العالمية عندما تفوق كثيرًا نسبة مشاهدي المحطات المحلية التي تخضع لرقابة وضوابط حكومية، وأن نسبة مستمعي الإذاعات الموجهة من الولايات المتحدة أو بريطانيا أو فرنسا، أكبر بكثير من نسبة مستمعي الإذاعات المحلية. بل أي ضابط يحكم أشرطة الفيديو التي تتسرب وتنتشر فتغزو البيوت في غفلة من الرقابة الأسرية والرسمية؟ علمًا بأن هذه التأثيرات لاتقل خطورة عن ظاهرة ربما أسهم بعضها في نشرها، وهي ظاهرة تزايد متعاطي المخدرات من الصغار واليافعين في مجتمعات عربية عديدة.

ليس السؤال هو ماإذا كانت «بروتوكولات حكماء صهيون» صحيحة أم موضوعة، فالأمر يحسمه التمعن فيما ينتشر في معظم أنحاء العالم مما تحدثت تلك البروتوكولات عن ضرورة تحقيقه. وليس السؤال هو ماإذا كان المحفل الماسوني الأعلى قد قرر تدمير روسيا القيصرية عبر الثورة البلشفية ولو اقتضى الأمر التضحية بمليون يهودي روسي لتحقيق ذلك الهدف، وأن اليهود الخمسة من أعضاء ذلك المحفل: إسحاق موتيمر وشستر وليفي ورون وشيف قد رصدوا مبلغ مليار دولار لبلوغ ذلك الهدف. ولاالسؤال هو ماإذا كان المحفل نفسه قد طوّر الجهود الهادفة إلى تزييف القيم المسيحية وتخريب مؤسساتها لتكريس القيم المادية والفردية ونشر الفوضى الخلقية، فهذه أسئلة مضى وقت توجيهها والجدل بشأنها، إذ أجابت الوقائع والحقائق الصارخة عليها منذ زمن.

أحفاد الأمريكان خدام لليهود

حذر بنيامين فرانكلين، في المؤتمر الدستوري الأمريكي في فيلادلفيا سنة ١٧٨٧م، من التهاون في أمر النشاط اليهودي في الولايات المتحدة، وذكّر بالانحطاط الأخلاقي، والتخريب الاقتصادي والاجتماعي، والنفوذ السياسي والابتزاز، الذي يمارسونه في بلاد كثيرة. خاطب فرانكلين المؤتمر في ختام كلمته الطويلة قائلاً:

لقد بات العالم مفتوحًا إثر انتشار أجهزة المعلومات التى أسقطت كل الحدود والحواجز

«إذا لم تخرجوهم أيها السادة بنص الدستور ففي غضون أقل من مائتي سنة سوف يتكتلون هنا في الولايات المتحدة، وينهبون ثروات الدولة، ويعبثون بالحكومة. سوف يعرق أحفادنا في المزارع والحقول لينعم اليهود بنتاج عرقهم ويعدون الأموال في قصورهم. سوف تصبح البلاد لعبة بأيدي اليهود في غضون أقل من مائتي سنة. إن لم تخرجوهم أيها السادة بنص دستوري، فسوف يلعنكم أحفادكم بعد مائتي سنة وأنتم في قبوركم». وإذ بات هذا الخطاب ـ الذي تحققت كل توقعاته ـ من الوثائق التي تعتبرها منظمات يهودية كثيرة أشد خطرًا عليها من أي شيء آخر، فإن الوعي بنتائج تلك التوقعات الماثلة للعيان لايمكن قمعه إلى الأبد. وإذا كان هذا هو الحال في الولايات المتحدة، فالأولى بنا أن نعي ما يتلاحق فينا وحولنا من نتائج، بدلاً من الإغراق في تساؤلات حول ما إذا كانت مسبباتها موجودة أم لا؟

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاتَعْمَى الأَبْصَارُ وَلكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦).

لقد كان سقوط المعسكر الشيوعي في أوربا من التحولات الجذرية التي تحدث في العالم مرة كل قرن أو حتى عدة قرون. وكان تقدم العرب والمسلمين إلى موقع القوة العظمى آنذاك أمرًا تبرره معطيات راسخة، لولا تضافر عوامل كثيرة، ذاتية وخارجية، أبرزها الفرقة، والتقصير، والأنانية الضيقة، والخضوع لقيم المجتمع الاستهلاكي على كل صعيد، والغربة الناجمة عن التيه بين مراكز حضارية متضاربة، ابتعادًا من جوهر الذات الحضارية لأمتنا الذي يمثله الإسلام أولاً وآخرًا، وبهذا لم تضع فرصة نادرة فحسب، وإنما انهارت بعض مقومات قوتنا ونهضتنا أيضًا. وإذا كانت المراجعة ضرورية لوقف انهيارات أخرى ومحاولة النهوض من جديد، فإن المطلوب أيضًا مع هذه المراجعة أن ننفض غبار التشكيك والتزييف عن بدهيات هي المنطلق، من قبيل: من نحن؟ من العدو؟ ماذا نريد؟ ماالتحديات التي تواجهنا؟ كيف ننجز أهدافنا الجمعية؟ فالتحديد الواضح للإجابات، بعيدًا من الغي والغواية ومرارة الانزلاقات الطارئة، حق لايقبل انتقاصًا أو تهاونًا لأجيالنا القادمة، لكي تنجح فيما لم نستطع إنجازه، محصنة برؤية واضحة لاتشوهها تأثيرات طاغية لغزو وافد بلا جيوش هذه المرة.

التعبير القرآني: تتكشف

د. حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام

أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن الكريم على رسوله الخاتم إلى الناس كافة، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان هو المعجزة الخالدة التي قام بها التحدي للعرب، بل للعَالمين إنْسِهم وجنِّهم: ﴿قُلْ لَئِنِ اجتمعت الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بِمِثلِهِ ولو كان بَعضُهم لبعضٍ ظهيرا﴾ (الإسراء:٨٨).

وأدرك العرب الذين نزل القرآن بلسانهم أن إعجاز القرآن كائن في جانبه اللغوي، من حيث فصاحة أساليبه، وبلاغة تراكيبه، واستواء نظمه، وجلال بيانه، على نحو يُعجز وسْعهم، وهم أرباب الفصاحة وأساطين البيان، وأقدر الناس على الشعر والخطابة والأمثال والحكم وغيرها من فنون الكلام.

وبتتابع العصور، وكلما قطعت البشرية شوطا في مجال العلوم، كشف القرآن الكريم عن وجوه من الإعجاز إضافة إلى إعجازه البياني، واطَّلع الناس على دلائل علمية في الفلك والطب وغيرها تؤكد أن مُنْزِل القرآن هو خالق السماوات والأرض وما بينهما بالحق.

ويظل إدراك أسرار التعبير القرآني، وفهم مرامي التعبير والتصوير فيه هما مفتاح خزائنه، والسبيل إلى معرفة إعجازه أيًا كان الوجه الذي يراد معرفة الإعجاز فيه.

ويذهب بعض المتثبتين في العلم إلى «أن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثَّقلين جميعا إنسهم وجنِّهم متظاهرين ... وأن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز»(١).

وإلى هذا الإعجاز البياني انصرفت جهود الأئمة الأعلام في اللغة والبلاغة والتفسير، بغية الكشف عن أسرار التعبير القرآني واستبانة آفاق بلاغته والاهتداء إلى دلائل إعجازه.

ولم يتوقف عطاء القرآن عند عصر دون عصر، أو ذوق خلاف ذوق، فالرُّمَّاني (ت٣٨٤هـ) والباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، وعبد القاهر (ت:٤٧١)، والزمخشري (ت:٥٣٨هـ)،والرافعي (ت:١٣٥٦هـ)، وسيد قطب، ومحمد أبو موسى، وغيرهم ممن يتعلق هذا البحث باهتمامهم، فَتَحَ الله على كل واحد منهم من بركات العلم الشريف ما هداه إلى بعض أسرار التعبير المعجز.

وسيبقى القرآن يفيض على كل جيل من أضواء بيانه، ويتحدى الخلق بآيات إعجازه، ويدهش الألباب بعجائبه التي لا تنقضي إلى أن تقوم الساعة.

الصورة القرآنية

سلك القرآن الكريم سبيل التصوير لإبراز حالات النفس وانفعالات الوجدان ولتقريب حقائق الغيب، وللإقناع بالعقائد والأفكار. وكل ما تضمنه من تشبيه واستعارة وكناية وقصة ومثل يتحقق فيه الإعجاز الخالد الذي خضعت له بلاغة الفصحاء.

وفي هذا البحث سنقصر الحديث على عدد من مواضع التصوير القرآني في محاولة لِتَعَرُّفِ بعض أوجه الإعجاز فيه، نسأل الله

أسراره فلا تنقضي عجائبه

التوفيق والسداد، ونعوذ به من الزلل والخطأ.
في كتاب الله آية صارت علما في باب الاستعارة عند علماء البلاغة هي قوله عز وجل: ﴿وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكفرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل: ١١٢).
وأجمع ما قيل فيها هو ما جاء في فتح القدير للإمام الشوكاني، إذ يقول: «فأذاقها الله: أي أذاق أهلها لباس الجوع والخوف. سَمّى ذلك لباسا لأنه يظهر ما بهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال فهو كاللباس فاستُعير له اسمه. وأوقع عليهم الإذاقة، وأصلها الذوق بالفم، ثم استعيرت لمطلق الاتصال. مع إنبائها بشدة الإصابة لما فيها من اجتماع الإدراكين، إدراك اللمس والذوق.
رُوي أن ابن الراوندي الزنديق قال لابن الأعرابي إمام اللغة والأدب: هل يُذاق اللباس؟. فقال له ابن الأعرابي : لا بأس أيها النسناس، هب أن محمدا ما كان نبيا أما كان عربيا؟. كأنه طعن في الآية بأن المناسب أن يقال: فكساها الله لباس الجوع، أو فأذاقها طعم الجوع ....» (٢).
وتسمى هذه الاستعارة عند علماءالبيان استعارة مجردة، وهم يعدون المجردة أقل بلاغة من الاستعارة المرشحة، وهذا لا يُسلَّم لهم على إطلاقه إذ لكل سياق ما يناسبه، ولكل مقام ما يلائمه، والتجريد في موضعه أبلغ وأمكن من الترشيح (٣). والمعنى الذي تُفهِمه الآية هو أن هذه القرية التي كفرت بأنعم الله الكثيرة والعظيمة، المتمثلة في الأمن والطمأنينة والرزق الرغيد يأتيها من كل مكان، استحقت جزاء هذا الكفر الشنيع والجحود القبيح أن يصيبها الله بعذاب شديد موجع، يَبلغ من إحساس أهلها به أنهم يذوقونه، ويجدون أثره فيهم كما يُذاق الطعم المر باللسان، ليس هذا فحسب، بل إن هذا العذاب الذي تلك صفته شملهم شمولاً وغطاهم تغطية شأن اللباس السابغ الذي يستر لابسه. ولايتحقق هذا المعنى الشريف إلا بذلك التعبير المعجز.
ويتيح هذا التعبير للنفس أن تتخيل هذا العذاب الشديد الشامل الذي أحاط بتلك القرية الظالمة، وأن تتفجر فيها طاقات الإحساس بفظاعته من جهة مايسميه أهل المذاهب الحديثة في النقد الأدبي (تراسل الحواس) ومعناه: وصف مُدرَكات حَاسة بما تُوصَفُ به مدركات حَاسة أخرى. فتعطى المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغاما... الخ(٤).
ورحم الله الرافعي فقد قرر حَقًّا إذ قال:
«إن كل ما أحصاه العلم من أنواع البلاغة في القرآن الكريم، فإنما هو جملة ما في طبيعة هذه البلاغة مما يمكن أن يُقلَّب عليه الكلام في وجوه السياستين البيانية والمنطقية، بحيث يستحيل البتَّة أن يُوجد في كلام عربي نوع من ذلك وقد خلا هو منه» (٥).

الشعر الحديث والصور الشوهاء

على أن الشعر الحديث لما ولَج هذا الباب (تراسل الحواس) لم يأت فيه إلا بالغث المستبرد، والغامض المُتَكلَّف غالبا، فهم يمثلون لما أنتجته قرائحهم من صور تعتمد على تراسل الحواس بقول أحد شعراء العجم ما ترجمته: «إني أسمع قدوم الليل، وأرى في كل قنديل صوتا رتيبا ينساب إلى أذني...» (٦).
أو بقول أحد شعراء العرب:

أعِدْ على نفسي نشيدَ السكون
حُلوًا كمرِّ النسيمِ الأسودِ
واستبدل الأنات بالأدمع
واسمع عزيف اليأس في أضلعي
واستبقني بالله يا منشدي
فالليل سكران وأنفاسه
تلفح أجفاني، وأحلامي
تنساب حولي زفرة زفرة
حاملة أكفان أيامي
بالله هلاَّ نغمٌ قاتِمٌ
على بقايا الوتر الدامي (٧)

وسقوط هذه الصور الرديئة يرجع إلى غموضها وغرابتها، وهي أشد رداءة من صور عابها نقادنا الكبار، وقال في مثلها القاضي الجرجاني: «إذا سمعته فاسدد مسامعك، واستغش ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحوه، فإنه مما يصدئ القلب ويعميه، ويطمس البصيرة، ويكد القريحة» (٨).

ويمتلئ الشِّعر الحديث بصور شوهاء، خرجت عن المألوف، وجاءت بتشكيلات ممعنة في الغرابة، لا تقوم إلا على وهم منقطع الصلة بالفكر والشعور معا. ولاتجد هذه الصور ملاذًا تحتمي به غير الرمزية.

وكان رامبو الذي يتدثر الرمزيون والحداثيون بعباءته صادقا مع نفسه إذ قال: «رضت نفسي على خلق الأحلام الوهمية البسيطة، فكنت أرى - في جلاء - مسجدًا في مكان مصنع، وجوقة تضرب الدفوف، أفرادُها من


سيد قطب

الملائكة، وعربات صغيرة متحركة المقاعد تسير في طرق السماء، وحجرة استقبال في قاع بحيرة، فأجد في النهاية أن هذا التهويش الفكري اكتسب صفة التقديس» (٩).

ولنعد إلى الآية الكريمة نتأمل نسقها المُعجز. انظر إلى تنكير القرية، والإخبار عنها بلفظ كانت، وانظر إلى كلمتي (آمنة مطمئنة) وما توحيان به من الدَّعة والسعادة، وتأمل قوله تعالى: (يأتيها رزقها) ودلالته على أنها لم تكن تكد وتتعب، وتبحث عنه وتَنْصب، وانظر إلى الحال التي بينت هيئة هذا الرزق (رغدا) وإتباعه بقوله: (من كل مكان) للدلالة على الوفرة والكثرة، وتأمل موقع الفاء في قوله (فكفرت) ودلالتها على أن أهل القرية لم يطيقوا الصبر على هذه النعم، بل سرعان ما بطروها وكفروا بها، وكلمة (أنعم) بهذا الوزن الدال على الكثرة وإضافتها إلى لفظ الجلالة وما توحي به هذه الإضافة من أن صاحب الفضل فيها هو الله عز وجل وحده، ثم انظر إلى موقع الفاء في قوله (فأذاقها) ودلالتها على ترتب العقاب على المعصية، وإلى إيقاع الفعل على ضمير القرية وإيقاع الإذاقة على اللباس، وإضافة اللباس إلى الجوع وعطف الخوف عليه، وتأمل هذه المقابلة بين الحالتين: حالة الأمن والطمأنينة والرزق الرغيد الذي يأتي من كل مكان، وحالة الجوع والخوف الشديدين الشاملين، ثم انظر إلى قوله: (بما كانوا يصنعون) وما فيه من إلقاء اللوم عليهم وتقريعهم بأن ما حاق بهم كان سببه ما صنعوه من الكفر والجحود. كل ذلك في آية واحدة وصدق الله العظيم: ﴿ولَوْ كانَ مِنْ عندِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ (النساء: ٨٢)

التصوير باللفظ المفرد

من عجائب التعبير القرآني المعجز أن يستقل لفظ مفرد برسم صورة شاخصة، فهذا الضرب من التصوير لا يقوم على تشبيه أو مجاز، إن الصورة التي نتمثلها هنا يرسمها لفظ واحد بجَرْسِه وظله وإيحائه (١٠).

انظر مثلا إلى كلمة (اثَّاقَلْتم) في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا مَالَكُمْ إذا قيلَ لكم انفروا في سبيل الله اثَّاقَلْتم إلى الأرض﴾ (التوبة:٣٨)، تجدها تصور هيئة المتباطئين عن الجهاد الذين تشدهم الأرض إليها فيستجيبون لها، ولابد هنا أن نلاحظ ما توحي به كلمة الأرض من الدنو والنكوص، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، لذا جاء الإنكار في آخر الآية: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا مِن الآخرة فما مَتاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قَليلٌ﴾(التوبة:٣٨). وانظر إلى لفظ (لَيُبَطِّئَنَّ)(١١) ولفظ (أَنُلْزِمُكُمُوهَا)(١٢) ولفظ (كُبْكِبُوا)(١٣) كل في سياقه من التنزيل تجد أن كلا منها يرسم صورة شاخصة حية.


مصطفى صادق الرافعي

ومن الألفاظ المفردة التي تصور هيئة المارق من الإيمان، الخالع رِبقَةَ الإسلام كلمة (انسلخ) في قوله عز وجل: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾(الأعراف:١٧٥).

كما تصور كلمة (يترقب) هيئة الخائف المذعور، المتلفت في حذر، وتفتح نافذة نطل منها على هواجس نفسه وقلقه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقبُ﴾(القصص:١٨)

وأعجب من ذلك

إذا كان استقلال اللفظ الواحد برسم الصورة أمرًا عجيبا، فإن الأعجب منه أن يستخدم اللفظ الواحد لرسم صورتين مختلفتين في سياقين مختلفين.

فلفظ (تستطيع) ورد منصوبا في عدة مواضع من سورة الكهف في سياق قصة موسى والعبد الصالح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، في الآيات ٦٧، ٧٢، ٧٥: ﴿إِنَّكَ لَنْ تستطيعَ معي صبرًا﴾ (الكهف: ٦٧)، ﴿ألم أقلْ إنَّك لن تستطيع معي صبرًا﴾ (الكهف:٧٢)، ﴿ألم أقل لك إنَّك لن تستطيع معي صبرًا﴾ (الكهف:٧٥). ومجزوما: ﴿سأُنبِّئك بتأويل ما لم تَسْتَطِعْ عليه صبرًا﴾ (الكهف:٧٨)، وورد اللفظ بحذف التاء هكذا: ﴿ذلك تأويلُ ما لم تَسْطِعْ عليه صبرا﴾ (الكهف:٨٢). قال المفسرون: حذفت التاء هنا تخفيفا، لكنهم لم يذكروا لماذا اختص هذا الموضع بحذف التاء دون سواه.

السبب ـ والله أعلم ـ أن لفظ تستطيع في غير الموضع الأخير يدل على طلب الاستطاعة وتكلفها، وتجشم الصبر في السكوت عن السؤال عند رؤية ما يوجبه، ولقد عانى موسى ـ عليه السلام ـ وحاول التصبر على ما رآه من الأفعال العجيبة التي أتى بها العبد الصالح، لكنه لم يقدر، فاللفظ بتمامه (تستطيع) يصور تلك الحالة، فالسين والتاء للطلب كما يقول النحويون.

أما (تسطع) في الموضع الأخير من السياق، فقد جاء على هذه الهيئة بحذف التاء ليصور العجلة التي ألحت على موسى، فلم تجعله قادرًا على السكوت ودفعته إلى السؤال ليعرف سبب ما يفعله الخَضِر، فأسرعت هذه العجلة بإنهاء تلك الصحبة التي لم يصبر موسى على شرطها. ومن اليسير أن نلاحظ سرعة النطق وانزلاق اللسان في هذا الموضع بخلاف المواضع السابقة عليه.

وهذه المادة نفسها جاءت بالوجهين السابقين في موضع آخر ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوه وما اسْتَطَاعُوا له نَقْبًا﴾ (الكهف:٩٧).

قال المفسرون: حذفت التاء من الكلمة الأولى تخفيفا، والسبب في حذف التاء من الكلمة



رامبو

الأولى وبقائها في الثانية ـ والله أعلم ـ هو أن (اسطاعوا) تصور شيئا غير الذي تصوره (استطاعوا) فهيئة السد الذي أقامه ذو القرنين تجمع بين الارتفاع والصلابة والملاسة، وهذا الوصف يجعل السقوط بسرعة، أو(التزحلق) هو مصير من يروم الصعود عليه وتسلقه(يظهروه) فلفظ (اسطاعوا) يناسب هذه الهيئة.

أما نقب السد فالمتصور فيه أن القوم لم ينخذلوا عنه بسرعة، لأن الذي يحاول النقب يأخذ أُهْبَته، ويُحَضِّر عدته، ويتكلف إلى غايته ما وسعته الحيلة أن يتكلف، ولن ينصرف عن مراده بسرعة، فلفظ (استطاعوا) يناسب ذلك. ولا تظنن أن المُعوَّل عليه في استخراج هذه المعاني هو اللفظ المفرد بمعزل عن سياقه، فلابد لنا من النظر في موضع اللفظ من الكلام ومعرفة علاقته بما بعده وبما قبله، ولا يخفى أننا لانقف على دلالة (اسطاعوا) إلا بمعرفة وصف السد، ولا سبيل إلى معرفة هذا الوصف إلا من الكلام السابق عليه في قوله عز وجل: ﴿آتوني زُبَرَ الحَديد حتَّى إذا سَاوَى بين الصَّدَفَيْنِ قال انفُخُوا حتَّى إذا جَعَلَهُ نارًا قال آتُوني أُفْرِغْ عليه قِطْرًا﴾ (الكهف:٩٦)، فاللفظ إذا انفرد لم يجب به فضل البته، ولم يدخل في اعتداد بحال، كما قال الإمام عبد القاهر رحمه الله (١٤). والله تعالى أعلم.

المراجع :

(١) الشيخ محمود محمد شاكر، فصل في إعجاز القرآن كتبه في مقدمة كتاب: «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، ص ٢٤.
(٢) فتح القدير، ج ٣، ص (١٩٩).
(٣) راجع: التصوير البياني، للدكتور محمد أبو موسى، ص (٣١٤).
(٤) النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال، ص (٤٢٢ - ٤٢٣).
(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص (٢٥٧).
(٦) انظر: مذاهب النقد وقضاياه، للدكتورعبد الرحمن عثمان، ص (٣٧٢). والشاعر هو إدجار آلن بو.
(٧) النقد الأدبي الحديث، ص (٤٢٢)، والأبيات لأديب مظهر.
(٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، ص (٤١).
(٩) النقد الأدبي الحديث، ص (٣٧٩).
(١٠) راجع في ذلك: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص (٩١)
(١١) من قوله تعالى: ﴿فانفروا ثُبَاتٍ أو انفِرُوا جميعًا. وإنَّ منكم لَمَن لَيُبطِّئَنَّ...﴾ (النساء: ٧١، ٧٢).
(١٢) من قوله تعالى: ﴿قال يا قَومِ أرأيْتم إن كنتُ على بيِّنةٍ مِنْ ربي وآتاني رحمةً من عنده فَعُمِّيَتْ عليكم. أنُلزِمُكمُوها وأنتم لها كَارِهُون﴾ (هود:٢٨).
(١٣) من قوله تعالى: ﴿وقيل لهم أينَ ما كنتم تعبُدُون. من دون الله هل ينصُرونكُمْ أوْ يَنتَصِرون فكُبْكِبُوا فيها هُمْ والغَاوُون﴾، (الشعراء:٩٢ - ٩٤).
(١٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص (٤٠١).

مواقف في تاريخنا

بين عدل الخلفاء وعدالة المخالفين!

بقلم: فهد العريفي

نقسو أحياناً على أنفسنا وعلى ماضينا وعلى تاريخنا، عندما نتجاهل الصور المضيئة حين نستشهد بفضائل ومواقف وقدوات طيبة فنتجه للبحث عنها في (دفاتر) الأجانب وعند الآخرين في غرب العالم وشرقه، في كتبهم وسيرهم وتاريخهم ومواقفهم!! ونهمل مايزخر به تراثنا وتاريخنا المجيد من صور بديعة رائعة.

نتحدث عن فولتير وقوله: "قد أخالفك الرأي، ولكني على استعداد أن أقف معك لتقول كلمتك بحرية"!

ونتناسى قصة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ووقوفه بجانب القبطي عندما قال لعمرو بن العاص غاضباً: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟" وطلبه من القبطي أن يقتص من عمرو نفسه لأنه هو الذي شجع ابنه بتهاونه في أذية الشاكي!!

وننسى موقف عمر رضي الله عنه عندما وقف على المنبر وقال: "اسمعوا وأطيعوا" فوقف أعرابي وقال: لاسمع ولاطاعة فأنت تلبس ثوبين، والمسلمون يلبسون ثوباً واحداً وبعد أن استشهد بابنه عبدالله قال الأعرابي: الآن سمعاً وطاعة.

ونتجاهل قول الخليفة عندما أراد أحدهم منع أعرابي من الكلام: "دعه فإن لصاحب الحق مقالا"!!

ونهمل قصة نقاش امرأة في المدينة للخليفة بشأن الصداق وتراجعه عن رأيه وهو يثني على المرأة، وعلى رأيها ويشكر الله أن هداه إلى الرأي الأصواب.

ونتناسى موقفه مع الأعرابي عندما قال الخليفة: "إذا وجدتم مني خطأً فقوموني. فوقف أعرابي وقال: سنقومك بالسيف. ففرح الخليفة واستبشر، ولم تأخذه العزة بالإثم ويغضب لأن أحد (رعاياه) خاطبه بهذه العبارة القاسية، بل فرح بها لأنها دليل على حُكمه بالحق والعدل لابالقسوة والظلم.

ونتذكر انتحار وزير الطيران الياباني السابق عندما سقطت إحدى طائرات الخطوط اليابانية لأنه اعتبر نفسه مسئولاً مباشراً عن الحادث، لم يقل قضاءاً وقدراً، بل قال: إنه نتيجة لضعف اهتمامي وسوء إدارتي!!

وننسى قول الخليفة العظيم عمر: "والله لو ضاع عقال بعير في سواد العراق لوجدت نفسي مسئولاً عن ضياعه"!

ويبهرنا موقف رئيس الوزراء البريطاني الأسبق مع الملك إدوارد الخامس حين وقف في وجه طلباته البسيطة: تغيير السرير القديم، وتركيب هاتف، وإصلاح السيارة الوحيدة.

فيقول: الميزانية لاتسمح بالتبذير!

ونتناسى موقف الخليفة عمر بن عبدالعزيز حين كان يطفىء السراج عندما ينتهي من قراءة المعاملات المتعلقة بالخلافة ويجلس في الظلماء!

ويأمر بإنقاص المبلغ الهزيل المخصص له من بيت المال، لأن زوجه وفَّرت منه مبلغاً زهيداً واشترت به حلوى، فاعتبر أن ثمن الحلوى يزيد عن حاجته الضرورية!

ونتناسى موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج يوم مبايعته خليفة للمسلمين يحمل (البز) كعادته ليبيعه في أسواق المدينة، فيطلب منه الخليفة عمر ومعه عبدالرحمن بن عوف العودة إلى منزله فصاح متساءلاً: من أين يأكل أبنائي؟!

قال: يُقَرّر لك مايكفي حاجتك من بيت مال المسلمين، لأن وقتك بات ملكاً لهم.

ويتشدق البعض من المخدوعين بمقولة (ماركس): "من كلٍ حسب طاقته ولكلٍ حسب حاجته!".

ونتناسى قول الخليفة الرابع الإمام علي رضي الله عنه: "عجبت لمن يبيت جائعاً كيف لايخرج إلى الناس شاهراً سيفه"!.

ونتحدث عن موقف (إبراهام لنكولن) رئيس الولايات المتحدة الأسبق؛ وهو يخرج من دارته المتواضعة ويشارك المواطنين بدفع سيارة يعوقها الثلج، ويقول لصاحب السيارة بعد انتهاء المشكلة: أنا إبراهام لنكولن عندما تحتاجون إلى مساعدة اطرقوا عليّ الباب.

وينسون أو يتناسون موقف الخليفة عمر وهو قادم لفتح بيت المقدس ماشياً يقود راحلته وعليها خادمه حيث كان الدور للخادم فينال موقفه هذا عجب وإعجاب قادة الرومان وهم ينظرون إلى تواضعه وعظمته.

ونتحدث عن ملك السويد كيف يذهب وزوجه بلا حراس إلى المطعم ليأكل مع العامة، ويمشي في الشوارع بلا حراسة!!

ونتناسى القائد الروماني، وهو يمر بالخليفة عمر نائماً تحت شجرة في القدس، فيقول القائد: "عدلت، فأمنت فنمت"!!

وعندما نتحدث عن العدالة والمواقف الإنسانية نتذكر شريعة (حمورابي) ونظريات (جان جاك روسو)!! وبين أيدينا تعاليم الخليفة عمر لكل قائد وكل محارب يتجه للفتوحات الإسلامية: لاتقتلوا طفلاً، ولاشيخاً، ولا امرأة، ولاأسيراً، ولاتقطعوا شجرة، ولاتقتلوا أعزلاً أو محارباً طلب الأمان، ولاتشعلوا ناراً في بيت مسكون.

ونتناسى موقف الإمام علي بعد وقعة الجمل وقد ظفر بخصومه فسامح، وعفى، وأكرم، ورعى.

ونتحدث عن اهتمام الدول الخارجية بالضمان الاجتماعي وإقرارهم صرف ٧٥٪ للعاطل حتى يعمل، وننسى مواقف الخليفة عمر وهو يجوب الأحياء في المدينة يبحث عن الجائعين والمحتاجين فيجد عجوزاً تعلل ابناءها الجياع بطبخة من (الحصا) حتى يناموا! فيحمل على ظهره كيساً من الطحين، ويشعل لها النار ويقوم بإعداد الطعام للجياع وهو يبكي ويؤنب نفسه!

ونتحدث عن مادة في القوانين الموضوعة تقول: "إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته".

وننسى قصة الخليفة عمر عندما تسوّر سور منزل في المدينة فوجد الجرم ثابتاً على صاحبه.

لكن صاحب المنزل أقنعه بخطأ التصرف لأن الله أمر أن تُدخل البيوت من أبوابها، ونهى عن التجسس والتحسس، فانسحب الخليفة رضي الله عنه وقد غمره الخجل بعد أن أدرك الخطأ الذي وقع فيه!

وبعد:

فإن تاريخنا الإسلامي وتاريخنا العربي يحمل بين دفتيه الكثير من المواقف العظيمة والقصص الرائعة عن كل عمل مجيد، ولسنا بحاجة - عندما نريد الاستشهاد بموقف منير - أن نلجأ إلى مواقف الآخرين المخالفين للكثير من مبادئنا ومثلنا وعاداتنا، لنستشهد بأقوالهم ومواقفهم النادرة!! فالعبرة بمن يملك القدرة على العفو، ويملك القوة للاعتراف بالخطأ وهو في موقف القادر، أما من يطلق الحكم، والإرشادات، ويسن النظم وهو لايملك القدرة على التنفيذ فقد يعتور التنفيذ عوائق وعقبات لايقدر على تجاوزها.

والمشكلة لاتنحصر بنا نحن الذين تجاوزنا سن الكهولة، فقد أدركنا الكثير من حقائق تاريخنا العربي الإسلامي واقتنعنا به، ولكن المصيبة تنحصر في الشباب والجيل الحاضر واللاحق عندما يجد أخبار (فولتير) و (روسو) و (سارتر) و (فرويد) و(مونتسكيو) وأضرابهم تغمر صحافتنا بالتمجيد والذكر الحسن، "فيظن بأنهم القدوة الطيبة والصفوة الخيرة"، ويتوهَّم أن تاريخنا كان ولايزال عقيماً لم يلد من يستحق الإطراء والتمجيد" وأن القدوة النبيلة كانت ولاتزال وقفاً على أولئك الأغراب عنا وعن عقائدنا وعن عاداتنا وعن المواقف الكريمة التي تستحق التمجيد حتى يرسخ في عقول الصغار وأفكار الكبار مدى الحياة نبل تاريخنا وسماحة مواقفنا، فيقوم الخلف بإحياء سيرة السلف في العدل والسماحة والعفو عند المقدرة، وتقدير العقل والحكمة، وطيب التعامل، وعندها يدرك العربي بأنه لايحتاج إلى (عكاز) الآخرين ليتوكأ عليه في مسيرة حياته.

شاعر غلواء



شعر: زكي قنصل

غلواءُ إنْ سألوكِ يوماً مَنْ أنا ... قُولي لهمْ هوَ شاعري هوَ شاعري

لولا عُيُوني لم يكنْ أسطورةً ... في الحُبِّ، أو أحدوثةً للسَّامرِ

لم أنتزعْهُ عَنْوةً بل ساقَني ... قدرٌ يخطُّ غدي ويرسمُ حاضري

الحبُّ وحَّدنا، فليلاهُ أنا ... في دفترِ العُشَّاقِ، وهو «العامري»

مِنْ قبلِ أنْ ألقاهُ كانَ يُحبُّني ... وأحبُّهُ وأحلُّهُ في ناظري

ألْفٌ مضتْ وأنا أهيمُ وراءه ... - من غيرِ أنْ أدري - بقلبٍ حائرِ

تحلو الحياةُ لمن يُحبُّ جمالَها ... وتمدُّ راحتَها لكفِّ الصابرِ

هوَ مِنْ ذرى بكرٍ، وجدّي تغلبٌ ... ويحَ الفؤادِ من الأسيرِ الآسرِ؟

أنا مَن نَثَرتُ الزَّهرَ في طُرُقاته ... فإذا ضحكتْ فذاكَ فضلُ النَّاثرِ

أنا من أحَلْتُ اليأسَ في عَبَراته ... أملاً كحاشيةِ الرَّبيعِ الناضرِ

يُحيي بِزَوْرَتِه بقيَّةَ نازحٍ ... فأقولُ يا أهلاً بأكرمِ زائرِ

منها المعاني المترفاتُ، وليس لي ... منهنّ غيرُ لباسهنّ الفاخرِ

منها شذا شعري، فإن خَلَبَ النُّهى ... شعري، فذلكَ من شذاها العاطرِ

ماذا إذا أعلنتُ زهدي في الضُّحى ... وطويتُهُ عند المساءِ الباكرِ؟

لَوْلا هَوَاهَا لم تَطِرْ لي شُهرةٌ ... ويُرَدِّدُ اسمي في قُرى وحواضرِ

كم عبقريٍّ ماتَ مغموراً وكم ... راجَتْ بضاعةُ واغلٍ مُتَشاعرِ

الشعرُ عاطفةٌ ولفظٌ بارعٌ ... ويدٌ تصوغُ القولَ عِقْدَ جواهرِ

غلواءُ إنْ يقطعْ طريقي عاذلٌ ... أقطعْ سفاسفَهُ بمُدْيَةِ عاذرِ

وأقُلْ له أحْبِبْ كحبّي مرَّةً ... وإذا استطعتَ فبعدَ ذلكَ هاترِ

إنّا التقينا اليومَ سابعَ دورةٍ ... وسنلتقي سبعاً بقدرةِ قادرِ

ما «عشتروتُ» وما نضارةُ حسنها ... إني أجلُّكِ عَنْ جَمَالٍ فاترِ

سبحانَ من ألقى مصيري في يدٍ ... نقشَتْهُ في لوحِ الزمانِ الدائرِ

غلواءُ أدْرَكَنا الخريفُ، فلا أسىً ... إنّا بلغناهُ بقلبٍ طاهرِ

الموتُ جسرٌ للحياة، فلا يَخَفْ ... - من ماتَ - غاشيةَ الترابِ الداثرِ

مهما تباعَدْنا فسوفَ نظلُّ في ... كَنَفِ الهَوى روضاً يهشُّ بطائرِ

جئْنا إلى الدنيا بدمعةِ واجفٍ ... فلْنَذْهَبَنْ منها ببسمةِ شاكرِ!

* من القصائد التي خص بها الشاعر الراحل - رحمه الله - «الفيصل» قبل وفاته.

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر:

الجَمْعَ بَيْنَ كتابَيّ الرُشاطِيّ وابْنِ الأثيرِ في الأنسابِ

للبلبيسي إسماعيل بن إبراهيم الحنفي (٧٢٨/٢ ٨٠هـ)

(١)



حمد الجاسر

البلبيسي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكناني البلبيسي(١) الأصل القاهري الحنفي القاضي، ترجمه السخاوي في "الضوء اللامع"(٢) وذكر أنه ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين وسبع مئة، وذكر طرفًا من حياته العلمية وماتولاه من أعمال، ووصفه بالصلابة والنزاهة والعفة والتشدد في الأحكام وفي الشهود، وذكر أن ابن حجر ترجمه في شيوخه، وأرخ وفاته سنة اثنتين وثمان مئة، وقال السخاوي عنه: كان كثير النظم، جيد الوزن، إلا أنه لم يكن بالماهر في عمله، وأورد من شعره:

لاتحسبن الشعر فضلا بارعا
ما الشعر إلا محنة وخبال
فالهجو قذف والرثاء نياحة
والعتب ضغن والمديح سؤال

وأشار إلى أن المقريزي ترجمه في كتاب "العقود الفريدة" مطولاً، وأورد مما اختاره من ديوانه:

تقللت من وزنَيْ قريضٍ ودرهمٍ
وقد نفدت من بين مالي الذخائر
وهاأنا عن أهل القريض بمعزل
فلست بوزان وماأنا شاعر

والبلبيسي ذو عناية بعلم النسب، وله في ذلك كتابان أحدهما "القبس" وهو مختصر كتاب الرشاطي على ماذكر صاحب "كشف الظنون"(٣).

وقد ورد ذكر هذا الكتاب في مؤلَف آخر للبلبيسي هو موضوع حديث اليوم، جمع فيه بين كتابي الرشاطي و"اللُّباب" لابن الأثير.

ولعل من المناسب إيراد كلمة موجزة عن كتاب الرشاطي، وهو "اقتباس الأنوار، والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الأخبار" والرُّشَاطي هو: أبو محمد عبدالله بن علي بن عبدالله بن خلف اللخمي الأندلسي (٤٦٦/٥٤٢هـ) ونسبته هذه أوضحها في كتابه رسم (الرشاطي) فقال(٤): (هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها، وذلك أن أحَدَ أجدادي كَانَتْ به شامة كبيرة، هي التي تعرف بالوردة، وتسميها العجم (روشة) وكان له في صغره خادم عجميَّة، تحضنه وتكفله، فكانت عندما تحدثه وتلاعبه تقول له: (رشطانة) وكثر ذلك منها حتى غلب عليه، وقيل له: الرشاطي، وهذه الشِّينُ ليست بخالصة، (بَلْ) بين الشين والزاي والجيم، فهي تكتب بذلك، غير أن الذي توارثناه كَتْبُهَا بالشِّين، وأنا عبدالله بن علي بن عبدالله بن علي بن أحمد بن عمر اللَّخمي، ثم الرشاطي، مولدي بأُورْيُولَة إحدى مدن تُدْمِيْر، وقد ذكرتها في حرف الهمزة، ولدت صبيحة يوم السبت لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربع مئة، وكتب هذا في شوال سنة سبع وعشرين وخمس مئة، نشأت بالمَرِيَّة، نقلت إليها من ستة أعوام، وأنا الآن بها بأهلي وولدي، عنيت في شبيبتي بقراءة الأدب، ثم ملت إلى طلب الحديث، وأخذت عن الفقيه الحافظ قاضي القضاة أبي علي حسين بن محمد بن ميسرة الصدفي، وعن الإمام الحافظ أبي علي الحسن بن

الجَمْع بَيْنَ كتابَي الرُشَاطِيّ وابْن الأثِير في الأنسابِ

للبلبيسي إسماعيل بن إبراهيم الحنفي (٧٢٨/٨٠٢هـ)

محمد الغساني - رحمهما الله - وهما أجلُّ من كان بعصرهما في هذا الشأن، وأخذت عن جماعة غيرهما، واستجزت من علم اللغة بالمكاتبة، فجمعت كثيراً ولله الحمد، الهادي للإسلام، الموفق لخدمة حديث محمد نبيه عليه أفضل التحية وأفضل السلام. انتهى، وقد توفي في المريَّة شهيدا حين تغلب عليها النصارى، يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة. انتهى.

والرشاطي من أئمة العلماء في فنون كثيرة، وصفه الحافظ الذهبي بأنه كان ضابطاً، مُحَدِّثًا متفننا، إماماً، مفيداً، ذاكرًا للرجال، حافظًا للتاريخ والأنساب، فقيها بارعا.

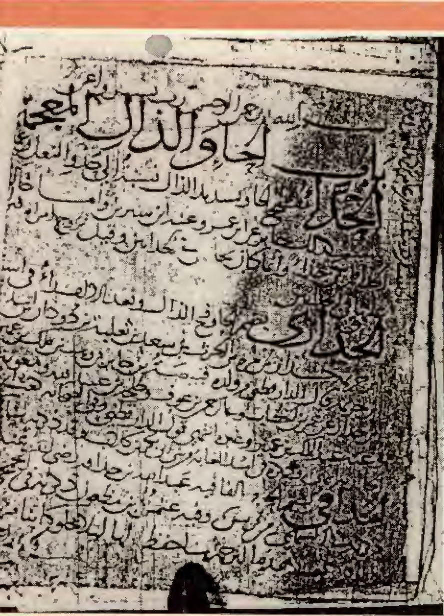
وقد رجع الرشاطي في كتابه إلى أمهات كتب الأنساب والأدب والتاريخ وغيرها، فهو ينقل عن ابن الكلبي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة صاحب "المعارف" وابن حبيب، والأصفهاني صاحب "الأغاني"، وخليفة بن خياط، والزبير بن بكار، والآمدي صاحب "المختلف والمؤتلف"، وابن دريد في "الاشتقاق"، وعبدالغني بن سعيد، وابن ماكولا، وأبي علي القالي، وابن خرداذبة، والمسعودي، وابن الفرضي وغيرهم. كما ينقل عن كتاب "التيجان" لعلي بن حرب العراقي.

ولعل من أهم الكتب التي عَوَّل عليها الرشاطي كتابين، يُعَدَّان من أصول كتب أنساب العرب لمؤلفَيْن عاشا في الجزيرة، ودونا معلوماتهما عن علماء من أهلها، وهما كتابا "الإكليل" للهمداني و "التعليقات والنوادر" لأبي علي الهَجري، حيث صار كتاب الرشاطي هذا من الأصول التي يمكن الرجوع إليها في تحقيق الكتابين المذكورين.

وكتاب الرشاطي "اقتباس الأنوار" وصفه ابن الأبار بأنه لم يُسْبَقْ إلى مثله، واستعمله الناس(٥)، وقال عنه ابن خلِّكان(٦): أخذه الناس عنه وأحسن فيه وجمع ومااقصر، وقال عنه صاحب "بغية الملتمس" كتاب غريب، كثير الفوائد وجامع. انتهى، ويوجد من كتاب الرشاطي قطع ليست متصلة في مكتبات المغرب، عُني أستاذنا المحقق الدكتور محمد بن شريفة محافظ الخزانة العامة في الرباط بجمعها، ولكن يوجد له مختصران، أجلهما لعبدالحق الإشبيلي، والثاني لأحد علماء فاس سيأتي الكلام عنهما.

أما ابن الأثير فهو: علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، عز الدين الإمام (٥٥٥/٦٣٠هـ) ولد في إحدى قرى الموصل، وعُني بالتاريخ والأنساب، وهو صاحب كتاب "الكامل في التاريخ العام" انتهى فيه إلى سنة تسع وعشرين وست مئة، وكتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة". أثنى ابن خلِّكان على ابن الأثير وقال عنه فيما نقل صاحب "شذرات الذهب"(٨) في ذكر سنة(٦٣٠هـ): كان بيته في الموصل مجمعَ الفضلاء، اجتمعت به في حلب فوجدته مكمل الفضائل والتواضع وكرم الأخلاق وترددت إليه، وقد اختصر كتاب "الأنساب" لأبي سعد السمعاني وهذبه، وزاد فيه أشياء، وذكر في مقدمته بأنه حين أمعن مطالعة هذا الكتاب وأراد كتابته رآه قد أطال، واستقصى حتى خرج عن حد الأنساب، وصار بالتواريخ أشبه. وقال: ومع ذلك ففيه أوهام نبهت على ماانتهيت إليه معرفتي منها فشرعت في اختصار الكتاب، والتنبيه على مافيه من غلط وسهو، فلايظن ظانٌّ أن ذلك نقص في الكتاب أو في المصنف، كلا والله، وإنما السيِّدُ من عُـدَّتْ سقطاته، فهي الدنيا لايكمل فيها شيء، وكيف يكمل تصنيف، والله تعالى يقول عن القرآن العزيز: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء:٨٢) وقد طبع كتاب ابن الأثير واسمه "اللباب في تهذيب الأنساب" للمرة الأولى سنة ١٣٥٧هـ في مصر بعناية حسام الدين القدسي في ثلاثة أجزاء.

ومن المعروف أن كتابي "الأنساب" للسمعاني، و"اقتباس الأنوار" للرشاطي، يُعَدَّان من أصول هذا العلم، شمولاً وصحة وتقدما، وقد تصدى البلبيسي للجمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير في كتاب يبدو أنه هو الذي سماه صاحب "تاج العروس" "مجمع الأنساب" وَعَدَّه من مصادره التي رجع إليها قائلا(٩): (و"مجمع الأنساب" لأبي الفداء إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي الحنفي، جمع فيه بين كتابي الرشاطي وابن الأثير) وهذا الكتاب الذي جمع فيه البلبيسي الكتابين، هو موضوع الحديث، قال في مقدمته: (وبعد فإني لما اختصرت كتاب أبي محمد الرشاطي، واستعنت على ضبط بعض الأسماء وأكثر الأنساب بكتاب "اللباب" لأبي الحسن بن الأثير الجَزري - رحمهما الله - وجدتهما قد اجتمعا على تراجم، وانفرد كل منهما بأُخَر، وإذا اجتمعا على ترجمة تارة يتفقان على من سُمِّيَ فيها، وتارة يختلفان، فيذكر هذا واحداً فأكثر، ويذكر هذا رجلاً آخر، ويزيد هذا وينقص هذا، وكلٌّ من الكتابين يُحتاجُ إليه، ويُعَوَّلُ في هذا الفن عليه، فأحببت أن أجمع بينهما ليستغني الناظر في هذا الكتاب عن النظر في كتابين كبير حجمهما) انتهى.

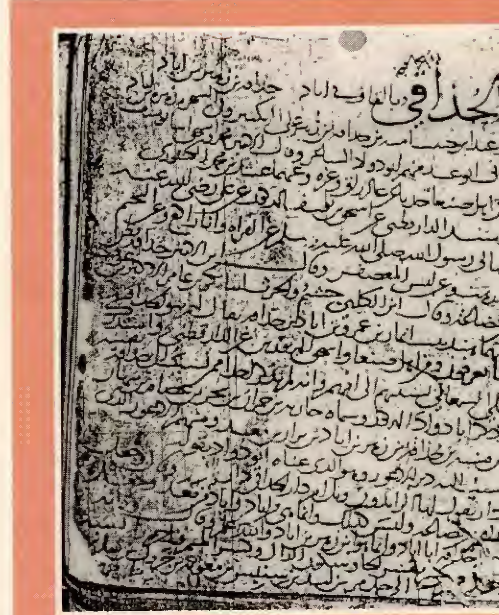


الصفحة الأولى من الجزء الثاني

وذكره السخاوي(١٠) قائلاً: واختصر الأنساب

للرشاطي مع زيادات من ابن الأثير وغيره، ولكن وقع عند بعض المعنيين بالمخطوطات خَلْطٌ بين كتاب البلبيسي هذا وكتاب له آخر اسمه "القبس" سيأتي ذكره، ومن أولئك صديقنا الأستاذ المحقق الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني - رحمه الله تعالى - حيث سماه في مقدمة كتاب "الأنساب" للسمعاني "القبس" ومثل هذا وقع للدكتور لطفي عبدالبديع في "فهرس المخطوطات المصورة"(١١) في معهد المخطوطات.

والواقع أن كتاب "القبس" هو مختصر آخر لكتاب الرشاطي، كما ذكر ذلك صاحب "كشف الظنون" إذ قال عن "اقتباس الأنوار" للرشاطي: لخَّصه مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي المتوفى سنة ٨٠٢هـ،



وأضاف إليه زيادات ابن الأثير على أنساب السمعاني وسماه "القبس" أوله: الحمد لله الذي خلق صنف البشر.. الخ.

وأما الكتابُ الذي جمع فيه البلبيسي بين الكتابين المذكورين فأوله: الحمد لله المحيط علمه بتفرق الأنساب الفارق في كتابه بين القبائل والشعاب.

ويزيد هذا إيضاحًا أنه ورد ذكر "القبس" في هذا الكتاب في مواضع صرح فيها بالاسم (القبس) وفي مواضع أخرى عبر عنه بـ "المختصر".

١- ففي رسم (البلوي) بعد ذكر حلحلة بن البراء بن عَميرة بن وبرة... ورفع أبو عمر نسبه، وقال: الأنصاري من بني عمرو بن عوف، وهو وَهْمٌ بيَّنَ ابنُ الكلبي أنه بالحلف، إلى أن قال: ذكرته في "القبس" في (البلوي).

٢- وفي رسم (البجلي) قال: (هذا موضع هذه النسبة، وليس هو موضع المنسوب فإنه مشهور بالسلمي، ذكره الرشاطي والسمعاني، وتبعهما ابن الأثير، ذكروه هنا فتبعتهم هنا، وذكرته في "المختصر" هناك والله أعلم).

٣- وفي رسم (القُرَشي) قاف مضمومة وراء مفتوحة وشين مُعْجَمَة في كتابه: تُبَيِّضُ هذه الترجمة من "المختصر" إن شاء الله.

٤- وفي (المرهبي): (يكمل من مختصر الرشاطي في هذا الباب).

٥- وفي (المقري): (ثم يكتب المقري - بفتح الميم - ينقل من (المختصر) من البلدان ثم يكتب المقعد) ويعني بكلمة (من البلدان) أن النسبة في كتاب الرشاطي للبلدان ترد آخر الباب بعد انتهاء النسبة إلى القبائل.

٦- وفي (المليحي): (تكتب هذه الترجمة إلى آخرها من (المختصر) ثم يكتب: واستدرك ابن الأثير هذه الترجمة على السمعاني).

٧- وفي (النجاشي): (يكمل من "المختصر" إن شاء الله).

وهذا الكتاب الذي جمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير وسماه فيما يظهر من كلام صاحب "تاج العروس" "مجمع الأنساب" يوجد من مخطوطاته فيما أعلم مسوَّدة المؤلف، وهي مصورة عن نسخة في مكتبة رئيس الكتاب في اسطنبول، صَوَّر لي عنها نسخة، حاولت نقل مافيها عن الهجري مما نقله البلبيسي عن أنساب الرشاطي، وقد وصفت مصورة "معهد المخطوطات" في فهرس الكتب المصورة وصفا لايطابق الحقيقة ونصه(١٢): (٤٥٠ - مختصر أنساب الرشاطي، لإسماعيل بن إبراهيم البلبيسي... وأضاف إليه زيادات ابن الأثير على أنساب السمعاني وسماه "القبس" أوله: الحمد لله الذي خلق صنف البشر، نسخة بخط المؤلف تشتمل على ثلاثة أجزاء) ثم وصف الثلاثة، وأضاف: (ومنه نسخة أخرى كتبت بخط مغربي حديث في القرن التاسع - دار الكتب المصرية ٧١٦٥ح - ٩٧ ق بها نقص من الآخر) انتهى. والواقع أن الأجزاء الثلاثة التي بخط المؤلف هي من كتاب "مجمع الأنساب".

أما النسخة الأخرى المصورة في دار الكتب، فهي كتاب آخر مختصر كتاب الرشاطي ومؤلفه متأخر عن عهد البلبيسي بأكثر من قرنين من الزمان، وسيأتي الحديث عنه في موضع آخر.

والغريب أن مؤلف هذا الفهرس استدل على وصف النسخة التي بين يديه بقول صاحب "كشف الظنون" - ولم يذكر هذا - ولم يكلف نفسه عناء مطالعة النسخة، ليشاهد الاختلاف بين ماذكر صاحب "الكشف" ومافي هذه النسخة التي بين يديه، وتقدم نص مافيها، ثم وصفُه الكتاب الذي في دار الكتب بأنه من مخطوطات القرن التاسع لاينطبق على الحقيقة، فكل من طالع النسخة أدرك أنها من مخطوطات القرن الثاني عشر فما بعده، وترتيب الحروف فيها على طريقة المغاربة بينما البلبيسي مشرقي، وقد رتب كتابه هذا على ترتيب الحروف عند المشارقة.

وللحديث صلة.

الحواشي:

(١) ضبط ياقوت الاسم (بِلْبِيْس) بكسر الباءين وسكون اللام - نقلا عن نصر الإسكندري، وأنه قال: العامة تقول بُلَبِيس، ثم ذكر أنها في مصر على طريق الشام من الفسطاط، وأن سكانها بنو عبس، وأنها فتحت في سنة ١٨ أو ١٩، على يد عمرو بن العاص، وبلبيس معروفة في مصر.

(٢) - ٢٨٦/٢ -.

(٣) رسم "اقتباس الأنوار" - ص ١٣٤ - ط. وكالة المعارف التركية سنة ١٣٦٠هـ.

(٤) مختصر الإشبيلي لكتاب الرشاطي.

(٥) "المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي" - ٢١٨ -.

(٦) "وفيات الأعيان" - ١٠٧/٣ - تحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٧) - ٣٣٦ -. (٨) - ١٣٧/٥ -.

(٩) "تاج العروس" - ج١ ص٧ - الطبعة الكويتية.

(١٠) "الضوء اللامع" - ٢٨٦/٢ -.

(١١) القسم الأول - ص ٢٣٤ -.

(١٢) "فهرس كتب معهد المخطوطات المصورة" الذي وضعه الدكتور لطفي عبدالبديع، القسم الأول، ص ٢٣٤.

قصة قصيدة

رثاء الهذلي أولاده الخمسة

د. محمود الربداوي

قال أبو ذؤيب الهذلي

أمِنَ المنون وريبها تتوجّعُ — والدهر ليس بمُعتِب من يجزعُ؟
قالت أميمة: ما لجسمك شاحبًا — منذُ ابتذلت، ومثلُ مالك ينفعُ
فأجبتها: أما لجسمي إنه — أودى بَنيَّ من البلاد فودّعوا
أودى بَنيَّ، فأودعوني غُصّةً — بعد الرقاد وعَبرة لاتُقلِعُ
سبقوا هَويَّ وأعنَقُوا لهَواهم — فتُخُرِّمُوا، ولكلّ جنبٍ مَصرَعُ
فغَبَرْتُ بعدهم بعيشٍ ناصبٍ — وإخال أني لاحقٌ مستتبِعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهمُ — فإذا المنيّة أقبلتْ لاتُدفَعُ
وإذا المنيةُ انشبتْ أظفارها — ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لاتنفعُ
فالعين بعدهمُ كأن حِداقها — سُملتْ بشوكٍ فهي عورٌ تدمعُ
والنفس راغبة إذا رغَّبْتَها — وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ
ولئن بهمْ فجَع الزمان وريبه — إني بأهل مودتي لَمُفَجَّعُ
كم من جميعِ الشمل ملتئم القوى — كانوا بعيشٍ قبلنا فتصدّعوا

قائل هذه القصيدة أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد) أحد الشعراء المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسن إسلامه، وُصف بأنه شاعر فحل، كان فصيحًا كثير الغريب متمكنًا في الشعر. سئل حسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال: أحيًا أم رجلاً؟ قالوا: حيًا، قال: أشعر الناس حيًا هُذَيْل، وأشعر هذيل، غير مدافع، أبو ذؤيب. وهو أحد الشعراء المرزَّئين الذين ثُكِلوا بأولادهم كالخنساء وابن الرومي.

ويقول النقاد القدامى: تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه الخمسة الذين تُوفوا في عام واحد، وقصيدته هذه مشهورة في تاريخ الأدب العربي بين قصائد الرثاء التي طارت شهرتها في أوساط هواة الشعر العربي ودارسيه لا لأنها قصيدة رثاء فقط، وإنما لأنها مفعمة بمشاعر الرثاء العميقة، كيف لاتكون عميقة والشاعر قد ثكل أولاده الخمسة دفعة واحدة، فلذا جاءت القصيدة حافلةً بالعاطفة التي كأنها ضوعفتْ خمس مرات.

وأبو ذؤيب أحد شعراء قبيلة هذيل - كما أسلفنا - هذه القبيلة التي اشتهرت بكثرة شعرائها، حتى خصص لهم أبو سعيد السكري ديوانًا قائمًا بذاته، وصل إلينا على الرغم من عاديات الزمان.

وقصيدته هذه من القصائد الخوالد في الشعر الرثائي، سبب خلودها أنه استطاع أن يكثف تجربته الشعورية في أبياتها، كما استطاع أن يسلك منهجًا متميزًا في عرض

أفكار الشكل. ومن عوامل خلود هذه القصيدة كثرة ما بثّه فيها أبو ذؤيب من حِكَم تجاوزت الحَدَث الكبير عنده إلى الحدث الأكبر وهو مصير الإنسان، وتفرَّع الشاعر في الجانب الإنساني فتحدَّث عن النفس الإنسانية ورغباتها التي لاتشبع مادامت النفْس يواكبها النَفَس، ثم يأتي بحكمة أخرى مشتقة من ظاهرة الموت الذي هو مصير كل حي، ويخص نفسه بشيء من الإشارة إلى سطوة القدر عليه، فهو يفجعه بين الحين والآخر، ولكنه يعزي نفسه بأن هذه هي سنة الحياة، فكل مجتمع إلى تفرقة، وكل ملتئم إلى تصدّع.

يقول علماء النفس: إن الحوادث المتشابهة تثير مشاعر متشابهة، وهذا ماحصل لأبي جعفر المنصور عندما مات ابنه الأكبر جعفر. مشى المنصورفي جنازته من المدينة إلى مقابر قريش، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى مقره، ثم أقبل على الربيع، فقال: ياربيع! أنظر مَنْ في أهلي ينشدني:

أمِن المنون وريبها تتوجع؟

حتى أتسلى بها عن مصيبتي، قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته، فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي - ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا، لقلة رغبتهم في الأدب - أعظمُ وأشد عليَّ من مصيبتي بابني، ثم قال: انظر هل في القواد والعوام من الجند مَن يعرفها؟ فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها، فخرجتُ. فاعترضتُ الناس فلم أجد أحدًا ينشدها إلا شيخًا كبيرًا مؤدّبا قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئًا من الشعر؟ فقال: نعم شعر أبي ذؤيب، قلت: أنشدني، فابتدأ هذه القصيدة العينية، فقلت له: أنت بغيتي، ثم أوصلته للمنصور فاستنشده إياها، فلما قال:

والدهر ليس بمُعْتِب من يجزع

قال: صدق والله، فأنشدني في هذه البيت مئة مرة، ليتردد هذا المصراع عليَّ، فأنشده، ثم مرّ فيها، فلما انتهى إلى قوله:

والدهر لا يبقى على حَدَثانه

جَوْن السراة له جدائد أربع

قال: سلا أبو ذؤيب عن هذا القول. ثم أمر الشيخ بالانصراف وأمر له بجائزة.

وهذا الشاعر الذي تخطاه الموت إلى أولاده ما لبث الموت أن تخطى ابنه السادس إليه، ولكن كتب الأدب والتاريخ تتفاوت في كيفية وفاته، ولعل أكثرها إثارة مارواه أبو الفرج فقال:

«خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد، حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟ قال: الإيمان بالله ورسوله، قال: قد فعلت، فأيٌّ أفضل بعد؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ذلك كان عليَّ ، وإني لأرجو جنة ولا أخاف نارا، ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين، فلما قفلوا أخذه الموت، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا، فمنعهما صاحب الساقة وقال: ليتخلف عليه أحدكما، وليعلم أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب: اقترعا، فطارت القرعة لأبي عبيد، فتخلّف عليه ومضى ابنه مع الناس، فكان أبو عبيد يحدّث قال: قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عبيد، احفر ذلك الجرف برمحك، ثم اعضد من الشجر بسيفك، ثم اجررني إلى هذا النهر، فإنك لاتفرغ حتى أفرغ. فاغسلني وكفنّي، ثم اجعلني في حفيري وانثل عليَّ الجرف برمحك، و ألق عليَّ الغصُون والشجر، ثم اتبع الناس، فإن لهم رهجة تراها في الأفق إذا مشيت كأنها جهامة، قال: فما أخطأ مما قال شيئا ولولا نعتُهُ لم أهتد لأثر الجيش، وقال وهو يجود بنفسه:

أبا عبيد رُفع الكتابُ

واقترب الموعد والحساب

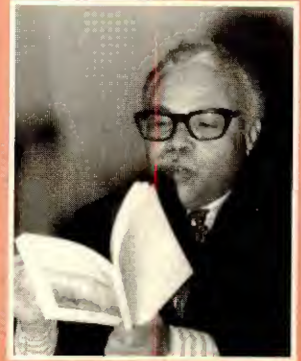
وعند رَحْلي جملٌ نُجابُ

أحمرُ في حاركه الضبابُ

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناس، فكان يقال: إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحدٍ من المسلمين.

الأدبُ الجزائريُّ: تباينُ المراحِل

نزل الاستعمار بأرض الجزائر فعمّ وباؤه جميع المنطقة عربيا وإفريقيا، وانفجر بركان الثورة الجزائرية فعمّتْ ألسنة لهيبها كل الأراضي التي دنسها الاستعمار الأوربي المتوحش بخاصة تلك التي كان لها علاقة مفروضة بالوجود الفرنسي. من هنا ندرك أن البطل الأول عندنا هو الشعب، وأن الأرضية التي يقف فوقها أبطال الأعمال الأدبية هي النضال والكفاح والجهاد نهضيّا تحريضيا في المرحلة الأولى، وسياسيا عسكريا في مرحلة التحرير، واجتماعيا ديمقراطيا في مرحلة ما بعد استعادة السيادة والاستقلال.



الشاعر:
محمد الأخضر عبد القادر السائحي

دخل الكاتب الجزائري المعاصر - أدبيا - مع الميلاد الجديد لكل أديب جزائري، أي مع انفجار ثورة الشعب الجزائري في أول نوفمبر ١٩٥٤م(٦ ربيع الأول ١٣٧٤هـ) ذلك أن ماسبق من أعمال، بخاصة ماكان من إنتاج ماقبل الحرب العالمية الثانية يمثل إمّا محاولات وتجارب لم تنضج، وإما تقليدا جيدا للتراث الأدبي الغني للأمة العربية.

يقول الناقد الجزائري الكبير الدكتور محمد مصايف - رحمه الله - : "من المتفق عليه بين النقاد والباحثين في المغرب العربي أن القصة والمسرحية ظهرتا في وقت متأخر نسبيا، وهذا لأنهما فنان جديدان لم يعتمدا في نشأتهما - كالشعر - على نماذج قديمة وتقاليد مضبوطة"(١). ويقول الدكتور عبدالله خليفة ركيبي: "لم تتطور القصة القصيرة إلا بعد الحرب العالمية الثانية حين تفتحت الأذهان واحتك المثقفون بالأدب العربي الحديث والآداب الأجنبية.."(٢)

لم يكن للكتابة طعم أو متعة قبل انصهار الأدباء والشعراء والقصاصين في بوتقة الثورة التحريرية التي جعلت ماكان في حكم المستحيل ممكنا، وماكان مجرد حلم خيالي ساحر واقعا معيشًا ومحسوسا تسيل به الدماء يوميا، "إن الأوضاع الاستثنائية التي عاشتها الجزائر في ظل الاحتلال كانت هموما أساسية للمبدعين الجزائريين، إذ تجسَّدت تلك الإبداعات في أعمال روائية وقصصية وأشعار حماسية عبَّر عنها هؤلاء الفنانون بكل صدق وأمانة، وحاولوا، من خلالها، استنهاض الإنسان باستثارة وعيه النقدي ممتلكين الشجاعة على قول الحقيقة في مواجهة الطغيان الاستعماري"(٣).

بكلمة مختصرة لقد انفتح للكاتب الجزائري ولجميع الكتاب الذين عايشوا الثورة الجزائرية عالم تفوق أحداثه الواقعية ومجرياته اليومية كل التصورات الخيالية، والمنامات الغريبة المغرقة في عالم الأسطورة البعيد، البعيد.

وثباتُ الانتماء

إن الكتابة الأدبية من أولياتها في بداية هذا القرن إلى آخر تطور لها عرفته في الثمانينيات تغمس قلمها في الجرح الكبير الذي أثخنه الاستعمار في بلادنا: شعبا وأرضا ومقومات، وما محاولة أحد أبطال ثلاثية محمد ديب تدريس التاريخ الحقيقي سرا للتلاميذ إلا برهان على وعي الكاتب الجزائري بماضيه البعيد والقريب جدا، "ولقد روّض الشعراء الجزائريون شياطين شعرهم على الانصهار في المعركة الحامية حتى أصبحوا لايقولون إلا نارا"(٤).

انطلاقا من هذه الحقيقة التي تحدد الإطار الذي ميّز الكاتب الجزائري وأعطاه طابعه الخصوصي، وحدّد له هويته التي كانت مطلبا ملحا عليه في يقظته ومنامه، نظر الكاتب إلى الرسالة الملقاة على كاهله مستجيبا لمعطيات جديدة بهرته وتركته فترة لابأس بها مشدوها مبهوراً بهذا القلم الذي يكتب بالدماء، ويغرف من أعماق الأمة التي لاينضب عطاؤها ومدها مهما كانت جسامة التضحيات وفداحة الخسائر؛ لأن المطلوب أغلى وأعلى وأعظم، إنه الحرية!.

هكذا تكرّست الحقيقة التي هي اللحمة الأساسية في كل النسيج الأدبي الجزائري: "بطل واحد هو الشعب" جميع الأسماء وجميع الصور تنطلق من هذا المفهوم أو تعود إليه بكل مالدى الفنان من قدرة على تقوية الاتجاه الجمالي للإنسان، والاندفاع نحو تغيير العالم وتحويله إلى الأفضل والأعدل في تحرر كامل وخطوات جادة نحو السلم في العالم.

بعد هذه المقدمة التي لابد منها لمعرفة المناخ العام للكتابة الجزائرية إبداعا ونقدا أقدم لكم الآن نماذج وعينات تحدد موضوعيا مجالات الكتابة في الجزائر وعلاقتها بالأدب في الوطن العربي وفي إفريقيا وفي العالم.

سألت الكاتب والصديق الأستاذ الطاهر وطار عن مفهوم البطل الثوري عنده فأجابني بقوله: "البطل الثوري عند الطاهر وطار يتميز بـ:

١ـ التملك من المعرفة بواسطة الثقافة والأيديولوجية.

٢ـ الانتماء الطبقي.

٣ـ الهم الوطني.

٤ـ الارتباط الحزبي.

٥ـ الرومسية الثورية.

٦ـ التضحية إلى حد الشهادة.

أحسن مثال تتجلى فيه هذه الخصال هو زيدان بطل رواية (اللاّز)"(٥).

فإذا تتبعنا أعمال وطار وأعمال الكتاب الذين نهجوا نهجه نجد كثيرا من هذه السمات واضحة في أعمالهم مع الاختلاف البسيط من عمل إلى عمل ومن كاتب إلى آخر. فقد يُركَّز في عمل على الهم الوطني على حساب المميزات الأخرى كما نجد ذلك عند جروة علاوة وهبي وبوجادي علاوة وأحمد منّور والعيد بن عروس وبشير خلف وجميلة زنير وإسماعيل غموقات وقد يكون التركيز على الانتماء الطبقي كما هو واضح عند الحبيب السايح وزيلخة السعودي ومحمد الصالح حرز الله وعبدالرحمن الوناس ومولود عاشور وعبدالحميد عبدوس.

والمميزات نفسها بإضافة عنصر "الجنس" نجدها عند رشيد بوجدرة ومن سلك مسلكه مثل أمين الزاوي وعمار بلحسن ونزيهة السعودي والشريف الأضرع.

البطل الإيجابي

وقبل أن أتطرق إلى الأجيال الجديدة التي طوّرت هذا المفهوم وخرجت به من العمل التحريري إلى العمل من أجل الديموقراطية، لابد لي أن أعرض رأي أحد أقطاب القصة والرواية في الجزائر الكاتب الكبير الصديق الأستاذ عبدالحميد بن هدوقة عن البطل الإيجابي، يقول: "الحديث عن البطل الإيجابي في العمل الأدبي يقتضي أولا تصور ماهيّة الأدب ووظيفته، ورسالته، ومسؤوليته، وهذه كلها أبواب تستلزم دراسات مستفيضة حتى يمكن الوصول إلى تعريف البطل الإيجابي في العمل الأدبي".

ومع ذلك يمكن أن نقول باختصار شديد: إذا اتفقنا على أن ماهية الأدب هي: معالجة مختلف المواضيع بلغة مركبة في

الأدب الجزائري: تباين المراحل وثبات الانتماء

شكل فني وبأسلوب خاص يميّزها عن الأشكال الكتابية الأخرى الأدبية، وأن وظيفة الأدب هي اجتماعية بالدرجة الأولى، وأن رسالته هي الإسهام في تحرير الإنسان اجتماعيا وسياسيا وعقديًا من كافة أشكال الاستغلال والاستبداد والتحكم، وأن مسؤوليته هي الوقوف إلى جانب قضايا الحرية والعدالة والكرامة والسلم.

إذا اتفقنا على هذا، وهو ماأومن به شخصيا، فالبطل الإيجابي هو الذي يحاول دائما تجاوز واقعه إلى واقع أفضل، في حدود مقتضيات الفن والمجتمع الذي ينشأ فيه ذلك الأدب، وينبغي أن نلاحظ هنا أن الواقع الأفضل لايعني "المثل الأعلى"، إنه في نظري لايشكل نقطة قمة منعزلة عن مسيرة الإنسان.

وإذا كان لابد أن نستعمل كلمة "مثل أعلى" بدل "واقع أفضل" التي أفضلها، فإن ذلك المثل الأعلى ينبغي أن يدرج في التطور الإنساني ومسيرته، بحيث يكون لكل فترة وواقع مثل أعلى ينبغي الطموح إليه ومحاولة تحقيقه.

هكذا يتمكن البطل الإيجابي - الإنسان في إطاره الاجتماعي - من تحقيق مشروعه الحلم في حياته الحقيقية التي يحياها هو.

فالبطل الإيجابي إذن - في نظري - يحاول تجاوز الذات والواقع باستمرار، مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك.

من هذا المنظور يمكن أن تتحقق إيجابية العمل الأدبي، ليس من خلال "الأبطال" الناجحين فقط، بل حتى الذين فشلوا في محاولاتهم لتجاوز الذات والواقع، لأن الفشل في أي محاولة لايعني الاستسلام والإذعان لقَدَرية غيبية (ميتافيزيقية)، بل يعني اكتساب تجربة جديدة، تمكن مستقبلاً من تلافي الفشل.

ثم إنني أعتقد أن لكل أشخاص الرواية، مهما كانت درجات أهميتهم فيها، أدوارهم الإيجابية، من خلال مايحصل بينهم من تناقضات وصراعات أو توافق وتضامن على السواء.

ويبقى مع ذلك أن نفرق بين موضوع



محمد مصايف

وموضوع، وبين واقع وواقع... فالبطل في المواضيع التي تتصل بحروب تحريرية مثلا، يختلف عن البطل في واقع آخر يتعلق بالبناء الاجتماعي، وإذا كنا في البناء الاجتماعي نحاول أن نعزز الجانب الخيّر في الإنسان، ففي الحروب التحريرية لاأعتقد بجدوى تسويغ خيانة الخائن... لمراعاة الجانب الإنساني فيه. أسوق أمثلة لتوضيح ماسبق:

- أشخاص مسرحية الكاتب المسرحي السوفياتي آربوزوف، "قصة في إيركوتسك" كلهم إيجابيون ولاسيما "فيكتور" و "فاليا".

- "السعيد" في رواية "الانطباع الأخير" لمالك حداد بطل إيجابي لوعيه لذاته الحقيقية... عندما قال له أحد الفرنسيين: "أنت لست مثل الآخرين" (يعني الجزائريين الآخرين)، تنويها بثقافته الغربية، أجاب: "أنت مخطىء، أنا مثل الآخرين.. أنا مع الآخرين... أعرف خبزهم وبنادقهم، أقول أمّي كما يقولون، أقبّل أطفالي كما يقبلون أطفالهم، أخشى القبض الجماعي (من طرف الشرطة) كما يخشون، أنا مثل الآخرين... لست إلا مثلهم. الشجرة اختارت غابتها، والنوتة الموسيقية سمفونيتها".

هذا التأكيد للانتماء هو الذي يحقق إنسانية السعيد وأمثال السعيد، فلو قبل السعيد ذلك التبجيل الزائف والانسلاخ من شخصيته الحقيقية وانتماءَه، باسم إنسانية

مثالية، ووطنه يشن حربا تحريرية شاقة، لَفَقَد ليس إيجابيته فقط، بل حتى قيمة حضوره في الرواية.

ـ مثل آخر: "البشير" في رواية "نهاية الأمس" أعتبره نموذجا للبطل الإيجابي في الحرب وفي زمن البناء الاجتماعي معا، فأثناء الحرب التحريرية لم يفكر في زوجته وماسيلحقها من عار من طرق السلطة الاستعمارية وجيش الاحتلال، لم يفكر في حملها، لم يفكر في والديه العجوزين، لم يفكر في أفراد عائلته وأهل قريته وماسيتعرضون له من عسف وعدوان بسبب التحاقه بالجبل، هو وبعض رفاقه من الشباب، لأنه كان يرى أن شرف الفرد والعائلة والقرية لامعنى له دون حرية، بل كان يرى أن الحياة نفسها لامعنى لها تحت الظلم والطغيان والاحتلال الأجنبي، فالشرف الحقيقي والكرامة الحقيقية هي في التخلص من الاحتلال الأجنبي، البشير ورفاقه لم يكونوا يؤمنون بما يسمى "الأخلاق الدولية" لأنها أخلاق لم توضع من أجلهم ولاتعترف بهم، ولم يساهموا في وضعها. فهم إذن بَرَاء منها، ويوم أن يصيروا أحرارا وتكون لهم دولة وكيان عندئذ فقط يراعون تلك الأخلاق... اعتُدِي على زوجة البشير، وقُتِل أبواه، ودمرت داره وقريته ولكن في النهاية تحرر الوطن.

وفي البناء الاجتماعي، لم يمنعه مالحق بزوجته السابقة، رقية، من عار أثناء الحرب التحريرية، ولاموقف السكان باعتبارها كانت زوجة لحركي خائن في زواجها الثاني.. لأسباب لايمكن ذكرها هنا، بل وقف إلى جانبها، وتحمل مسؤولياته كاملة كما ينبغي له بالرغم من حرج الموقف وشدته، فتجاوز بذلك ذاته وواقعه إلى مايمكن أن يكون قدوة ومثلاً.

ـ مثل آخر: "نفيسة" في رواية "ريح الجنوب" التي اعتبرها بعض القراء وأدعياء النقد شخصية سلبية، لأنها لم تنجح في محاولتها الفرار من دار أبيها الاقتصادي.. بينما هي في الواقع ترمز إلى المرأة الجزائرية في بداية الستينيات، أي في السنة الثالثة للاستقلال، فلو نجحت في محاولتها الهروب من دار أبيها الذي أراد أن يزوجها من شيخ البلدية المناضل، لعله بذلك يتمكن من الحفاظ على أراضيه وعدم تأميمها... لو نجحت محاولة نفيسة لترتب على ذلك تزييف كلي للحقيقة التي ترمي إليها الرواية، ولكانت نتائجها عقيمة من كل وجه، ذلك أن "الفرار" لايمكن أن يشكل حلاً لأي قضية ولاسيما إذا كانت بمستوى تحرير الجزء الأساسي من المجتمع الذي يتمثل في المرأة، تحريرها من أعباء قرون مظلمة، قيدتها بعوائد وتقاليد لايمكن أن يسمح لها بالسيادة في النصف الثاني من القرن العشرين في أي مجتمع.


الطاهر الوطار

ثم إن نفيسة لم تكن محاولتها تدخل في إطار منظم جماعي، بل كانت فردية ارتجالية منعزلة عن القضايا الاجتماعية الأخرى بما فيها الإقطاع الذي يمثله أبوها والأمية التي تمثلها أمها، فكيف يمكن أن تنجح؟

وزيادة على كل ذلك، فلو نجحت لكان نجاحها تخديرا للقارىء العادي، وهو مايتنافى مع إيجابية الأدب ووظيفته في نظري.

إن فشلها في محاولتها الفرار إذن هو الذي يحقق لها ـ كبطلة في الرواية ـ إيجابيتها، لما يترتب على ذلك من رد فعل إيجابي من طرف القارىء.

طبعا هذه نظرة في غاية الاقتضاب عن البطل الإيجابي في العمل الأدبي، لأن الموضوع معقد جداً، وعملية الإبداع لايمكن أن تخضع لتنظير مسبق وإلا فقدت صفة الإبداعية، فالموضوع والمكان والزمان وطبيعة القضايا المعالجة وماتستلزمه من تقنيات وإضاءات هي التي تحقق إيجابية الشخصية الروائية أو سلبيتها، وبالتالي قيمتها الأدبية.

من المحلية إلى العالمية

لكن الأساس ـ في نظري ـ لكل عمل أدبي ذي قيمة، هو انطلاقه من محليته إلى العالمية، ومن خصوصيته إلى الشمولية، وإلا صار تقليدا ومحاكاة لمراكز خارجية ومذاهب نشأت في ظروف وملابسات تاريخية لم يعرفها ذلك المجتمع، طبعاً هذا لايعني الانغلاق على الثقافات العالمية ولا التزهيد

الأدب الجزائري: تباين المراحل وثبات الانتماء

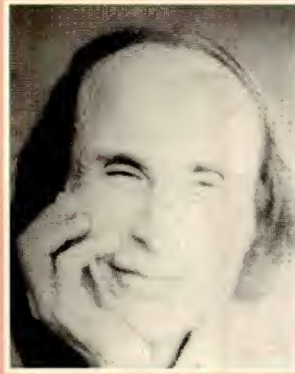
فيما يحدث خارج الحدود، بل لابد من الاطلاع والتتبع الجاد والفهم الحقيقي الدائب ليمتلك الكاتب المقومات الأساسية لكل إبداع، أي المعرفة الواسعة المتجددة"(٦).

إن ابن هدوقة وعثمان سعد وأبا العيد دودو وزهور وينسي وعبدالمالك مرتاض، يمثلون الجانب المثقف الواعي في الكتابة القصصية والرواية في الجزائر، وقد بلغوا مستوى متطوراً جداً من التقنيات الحديثة، وليس معنى هذا أنهم ومن سلك مسلكهم كمحمد مفلاح ومصطفى فاسي والهادي فليسي ومصطفى رشيد ميموني ووديع بوزار ومحمد شايب وعبدالعزيز بوشفيرات والحفناوي زاغر ونورة سعدي وحمامة العماري وأم سهام ومحمد دحو وغيرهم يغرفون من العالم الأوربي، غرفاً أعمى، بل بالعكس إنهم - في نظري - يعتبرون النموذج الأسلم للحديث النابع من الواقع الشعبي الجزائري المتشبع بالطابع الحضاري العربي الإسلامي، فانتماء الشعب الجزائري إلى الحضارة العربية الإسلامية هو انتماء حضاري قبل أن يكون ارتباطا عرقيا" ولهذا فشلت محاولات الاستعمار الفرنسي في فصل الشعب الجزائري عن أصوله الحضارية الحقيقية، وإذا كنا نعرف من فرنسا وجهها البشع، فلايبعد ذلك عن كشف ما في ثقافتها من إيجابية وشفافية، ولكن لأنها لم تستطع أن تتجاوز حقدها المزمن، وظلت أسيرة أوهامها الاستعمارية. إننا نعرف الوجه الحقيقي المنزوع البراقع والأصباغ لأنها لم تمد لنا يدها مرة واحدة عن مخالب ناهشة، وقفازات الحرير لم تمنع القبضة الحديدية من إيلام وإيذاء من تصافحه.

أجيال الاستقلال مع القصة والرواية

بعد ذلك تطورت الأشكال القصصية وكتابة الرواية تطورا عظيما على يد أجيال الاستقلال، ولهذا نرى خلاص الجيلالي وهو من مواليد ١٩٥٢م يقول عن روايته "حمائم الشفق" "تاريخ مدينة لحقبة تتجاوز خمسة قرون، الحرب البرية والبحرية، الجلاء فالغزو من جديد، فالجلاء مرة أخرى، تطاحنات (مصرانية)، ثورات، آمال فخيبات وآمال جديدة، يقول:

"هذه الرواية محاولة جديدة ترتكز في بنائها على الضمائر العربية التي تشكل في


رشيد بوجدرة

حد ذاتها تحديا يتجاوز تحدي المدينة"(٧).

ويقول عنه الدكتور ميشال عاصي من لبنان: "إننا أمام قصاص يبدو في وضوح أنه مشبع بحياة شعبه ومواكب التحولات الاجتماعية التي تشهدها بلاده"(٨).

ويقول عنه الأستاذ عبد الأمير الحبيب من العراق: "... إن انتقال خلاص من طور إلى طور في بناء شخصياته وتنوعها، يكشف عن قدرة فائقة عنده على كتابة قصة متميزة"(٩).

ويقول عنه القاص الجزائري الدكتور مصطفى فاسي: "جيلالي خلاص ملتزم بمبدأ قضايا الإنسان عامة وقضايا وطنه، ومجتمعه، وأمته خاصة"(١٠).

يقول الناقد الجزائري محمد بوشحيط عن هذا التطور بصفة عامة في فصل (الإبداع في القصة الجزائرية) من كتابه (الكتابة لحظة وعي). "كانت مفاجأة بالنسبة للحركة الأدبية العربية عموما، أن تقتحم الساحة الأدبية الجزائرية مجموعة من القاصين الشباب مسلحين بأدوات فنية حديثة، ومعرفة عميقة بأسرار هذا الفن، حيث عايشوا ذلك كله بمعاناة، ومزجوا خبرة الحياة بثقافة نقدية شجاعة، تمثلت في الإقدام الرائع على المغامرة الفنية بكل قدسيتها ودهشتها" حيث أدرك القصاصون الشباب بحدس فني أن قضايا شعبنا ستصل إلى العالم المتحضر من خلال إبداعاتهم القصصية الواعدة، والواعية في نفس الوقت، لخطورة رسالتهم الفنية التي

يحملونها، إذ غرسوا بكل قوة معاول إبداعاتهم لتهديم القيم الرجعية البالية، في محاولة نبيلة منهم للمشاركة في إرساء دعائم المجتمع الجديد"(١١).

ويقول في مكان آخر: "إننا نشاهد في إنتاجهم الفني التخلي عن التغني بمزايا البطل التراجيدي على ماعرفنا في الروايات الكلاسيكية، إذ انتقل غناؤهم إلى تمجيد مزايا الإنسان الشعبي بطل العصر الجديد، وذلك لأن تخليد البطولة الشعبية هو تخليدٌ لإنسانية الإنسان، وتكريس لجوهر قضيته العادلة"(١٢).

إنّ الرجعية هنا ليست بمعنى الارتباط بالسلوك الإسلامي السلفي، ولكن بمعنى الارتباط بالاستعمار وبأنماط الحياة الاستهلاكية التي فرضتها السيطرة الأوروبية القاتلة. إنّ أوروبا من أقصى يمينها إلى أقصى يسارها لاتريد أن تحاورنا ولكن تريد أن تمسخنا "إنها لم تقبل منا قط أن نكون "نحن" في مقابل "هي" ولكن أن نكون شيئاً (مفبركا) مصطنعا حسب هواها هنا أو هنا أو هنا لننفذ رغباتها، إنني أحيانا أتعجب كيف يكون القسيس والراهب تقدميا في الجزائر وإفريقيا وهو رأس الحركة الاستعمارية منذ مئتي سنة، ومازال يداه ملطختين بسلاح الإمبريالية والاستعمار الجديد؟ وإذا كان هناك بعض الاستثناءات كالقس "توتر" الذي أكبره وأقدِّر ارتباطه بشعبه اللازاني فإن هذه الاستثناءات هي الدليل على ثبوت القاعدة وصحتها وليستْ نقضاً لها.

كذلك لاحظتم أني لم استعمل المصطلحات النقدية، لأنني لاأرى لها موجبا، إذ - في رأيي - أن النقد في الوطن العربي إلى الآن لم يؤسس على أصول سليمة مستمدة من واقع شعوب المنطقة بامتدادها الحضاري زمانا ومكانا، وكل ماهنالك هو محاولات اعتمدت على مقاييس وُضِعَت في الغرب الرأسمالي أو في الشرق الاشتراكي، أرغمت عليها النصوصُ إرغاما، وأقحمت فيها إقحاما، ولذا فإن الإبداع تجاوَزَها ومضى في تطور مستمر معتمدا على الإبداع الشعبي الخلاق في جميع المجالات، وهو مايطلق عليه محمد مصايف "الإنتاج على المذاهب الفنية الغربية والعربية الحديثة"(١٣).

وكذلك قوله: "قد لاحظنا أن كثيرا من الأعمال الأدبية إنما راجت واعتبرت مهمة بسبب سلبية النقاد أو عدم نزاهتهم، ولو قال النقد النزيه كلمته لاختفى الكثيرون ممن يسميهم محمد الحليوي (أدعياء الأدب ومرتزقته)"(١٤).

إن التطور الذي أدخلته الأجيال الجديدة في نسغ الكتابة الجزائرية شعرا ونثرا هو المساهمة الواعية في تحرير الجماهير حتى يعود للكلمة دورها التاريخي من خلال تعبيرها عن


عبدالله خليفة الركيبي

آلام الجماهير وطموحاتها، وتقدير كفاحها المستمر من أجل الحرية والعدالة والكرامة والحق والحب حق قدره.

إضافة إلى ذلك كله مشاركة الجماهير مصاعبها وآلامها وأحلامها، لأن ٩٩٪ من الكُتّاب الجزائريين هم من أبناء الريف، وحتى الواحد في المائة الباقي ليس حضريا أصيلا، لأن جده أو جد أبيه على أكثر تقدير نزح من قرية جبلية أو صحراوية.

لهذا نفهم جيدا تطور الكاتب الجزائري من (كلاسيكية) تقليدية إلى حداثة متطورة جدا، لأنه ظل مرتبطا دائما بأصوله الشعبية سواء في الريف والبادية أو في القرى والحواضر.

يطيب لي أن أختم هذا الحديث بهذا النص الذي اخترته متعمدا من كتاب (النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي) للدكتور الناقد محمد مصايف - رحمه الله -:

"... وحتى دعوة رمضان حمود وزين العابدين السنوسي وأحمد رضا حوحو وغيرهم إلى تجديد الأدب العربي لم تكن دعوة مجردة من كل حذر، إن حمود، وهو أبرز من دعا إلى التجديد في المغرب العربي حينئذ، كان يرى أن الاستفادة الحقيقية من الأدب الغربي لاتقوم إلا على أساس المحافظة على الشخصية القومية الدينية مما جعل أثر المذاهب الغربية في النقد المغربي الحديث ضئيلاً بالنسبة إلى الأثر الذي وصل إليه في النقد المشرقي عن طريق المجلات والجرائد والكتب والزيارات.

ونعتقد أن ظروف المغرب العربي السياسية والقومية، وطبيعة الاستعمار

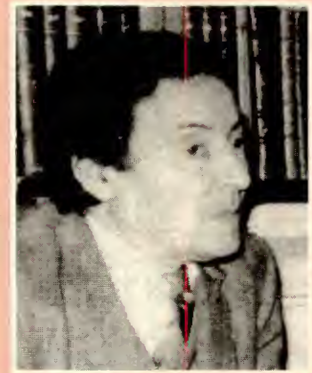
الأدب الجزائري: تباين المراحل وثبات الانتماء

الفرنسي، وشدة الاتصال بفرنسا حتى اليوم لأسباب عديدة ليس هنا مجال بحثها، هي التي جعلت حركات التجديد المستوحى من الغرب في العمل الخلاق والنقدي على السواء تتخذ مسارا حذرا فيه الكثير من الحرص على تأكيد الشخصية المغربية العربية الإسلامية إزاء جهود مستمرة طويلة لإذابة هذه الشخصية ومحوها. وهو موقف لانجده على الأقل بهذا البروز والوضوح عند نقاد المشرق العربي وأدبائه(...).

مطالبة بعض النقاد الواقعيين في المغرب العربي في وضوح وإلحاح بالأصالة في الإبداع الفني، طالبوا بها في مقابل ما أسموه "التقليد والاستلاب" ويلاحظ أن وقوفهم ضد الانسياق وراء المذاهب والأشكال الفنية الوافدة موقف عام يأخذ به معظمهم، فهو نوع من رد الفعل ضد غزو التيارات الحديثة جدا للثقافة القومية في المغرب العربي.

إن القصد من الدعوة إلى الأصالة ليس هو إحداث أدب إقليمي غير متفتح على المذاهب الفنية الحديثة العالمية، وإنما القصد منها هو ألا يعتنق الأدباء هذه المذاهب إلا عن وعي لأنه بدون هذا الوعي لن يكون للاتصال بها أية فائدة.

يتضح من هذا الموقف، ومن موقفهم من الحرية، أن النزعة القومية هي التي توجه تفكيرهم النقدي، فهم إذا كانوا يرحبون بالتجديد، ويعتبرون الاشتراكية منهجا فلسفيا اجتماعيا وفنيا قادرا على تغيير الأوضاع الاجتماعية والثقافية في المغرب العربي، ويطالبون بالاتصال بالآداب والمذاهب الفنية العالمية، فإنهم في الوقت ذاته يلحون على أن يكون ذلك كله في إطار الشخصية القومية التي تتمثل في عناصر اللغة، والتقاليد العربية الإسلامية خاصة"(١٥).


عبد الحميد بن هدوقة


مالك حداد

الهوامش:

١- كتاب "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي" للدكتور محمد مصايف ص ١٧١، طبع المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ورشة أحمد زبانة، ١٩٨٤م.

٢- كتاب "القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر" للدكتور عبدالله خليفة ركيبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.

٣- كتاب "الكتابة لحظة وعي"، للأستاذ محمد بوشحيط، ص ٧٦، طبع المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ورشة رغاية، ١٩٨٤م.

٤- كتاب "نوفمبر الصوت والصدى"، لمحمد الأخضر عبدالقادر السائحي، ص ٩، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، ١٩٨٥م.

٥- وثيقة خاصة من الكاتب الطاهر وطار إليّ في ذي الحجة ١٤٠٥هـ.

٦- وثيقة خاصة من الكاتب عبدالحميد بن هدوقة، بتاريخ ١٣ سبتمبر(أيلول) ١٩٨٥م وأكدها في حديث متلفز بث يوم ٢٤ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ (٤ ديسمبر ١٩٨٨م) في برنامج (فيلم من كتاب) بالتلفزة الجزائرية.

٧- كتاب "حمائم الشفق" رواية لخلاص الجيلالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ورشة أحمد زبابنة، ١٩٨٦م ،ص الغلاف الرابعة.

٨، ٩، ١٠- كتاب "نهاية المطاف بيديك"، مجموعة قصص لخلاص الجيلالي، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ١٩٨٥م، ص الغلاف الرابعة.

١١، ١٢- كتاب "الكتابة لحظة وعي"، ص ٧٥، سبقت الإشارة إليه.

١٣- ص ٢٢٥ و ٢٢٦ من كتاب محمد مصايف المذكور سابقا.

١٤- ص ٢٠٥ من كتاب مصايف السابق الذكر.

١٥- ص ٤٣٥ حتى ٤٣٨ بتصرف من كتاب مصايف السابق الذكر.

قصيدة

نجمة الإصباح

عبدالجليل عليّان

تاهَ الدّليلُ على دُرَيْبٍ ضيَّعكْ ... ياقلبُ في دُنيا الهوى ماأضْيعكْ ؟!

أفَمَنْ يُعانق نجمةً في خدرها ... ويزفُّهُ النّجمُ المسافِرُ في الفلكْ

ألْيَومَ يعثُرُ في الوُحولِ مكبّلاً ... وتروعُهُ الأشباحُ في داجي الحلكْ ؟

شتّانَ مابين الثّريّا والثّرى ... ياصاحِ في هذا الهوى ماأعجبك ؟!

أعرج إلى كهفِ السّماءِ مسبِّحاً ... في حضرةِ النُّورِ الجليلِ وكُنْ ملكْ

نادتْ ، فأسْرَعْتَ الخُطى مُتعطّشاً ... يُغريكَ نهرُ السّلسبيلِ اللاّمعِ

فإذا بهِ محضُ السّرابِ وإذْ بها ... ملساءُ تسري في السّراب الخادعِ

جاءتْكَ تسحبُ ذيلها وتساورتْ ... أفعى تُكشِّر نابَ سُم ناقعِ

يالَلأفاعي كم تُبدّل جلدها ... وتجيءُ تسعى في جمالِ البُرقُعِ

مثْل (المليكةِ) إذْ تُغازلُ (شعبها) ... وتكادُ تخفي (النّارَ) خلفَ (المدفعِ) ؟؟!

ياصاحِ أوهامُ الهوى كم صوّرتْ ... جنّاتِ حُبٍّ مِنْ سرابِ البَلقعِ

حتّام يخدعُك الهوى، ياللهوى ! ... بل ياالقلبك .. ياالسُوءِ الطّالعِ ؟؟!

اسْمَعْ : تفلّتتْ مِنْ أحابيلِ الهوى ... واهجرْ دُناكَ إلى المَحلِّ الأرفعِ

ها .. نجمةُ الإصباح تخلعُ ليلَها ... وتقولُ في صَمْتِ العذارى (هئْتُ لَكْ)

صداع العقول



أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

العقل والحقيقة

قال أبو عبد الرحمن: مذهب أبي محمد ابن حزم رحمه الله في نظرية المعرفة ذو نص يوحي بأن البدهيات تجريبية لا أولية، لأنه ذكر من معارف النفس ما أدركته بحواسها الخمس، ثم ذكر البدهيات (١).

وهذا يناقض ما قرره من كون البدهيات علم أوائل العقل بالضرورة.

والمذهب الأخير هو مذهب أبي محمد بيقين، وكلامه الكثير، وتفريعاته، ولفتاته في شتى كتبه تبني على هذا المذهب.

ووجه الجمع بين هذين النصين أن البدهيات أحكام عقلية فطرية، والأحكام علم ومعارف فهي معارف فطرية أولية، ومعطيات الحس وقائع تحكم معارف العقل الفطرية فيها.

فلما كانت وقائع الحس تشهد لمعارف العقل الفطرية وتصدقها جعل ابن حزم معارف العقل الأولية حسية أيضا.

واعتبر أبو محمد من المعرفة الفطرية المعرفة الإلهامية كتمييز الرضيع الثدي من سائر أعضاء المرضع - باسم الفاعل - بفمه دون سائر أعضاء الراضع نفسه.

قال أبو عبد الرحمن: المعرفة الإلهامية لها مجال من القول آخر.

وفسر أبو محمد واقع البدهيات بأنه لايدري أحد كيف وقع العلم بها (٢).

قال أبو عبد الرحمن: تكييف العلم أن يقول قائل: كيف علمت أن ٥×٥=٢٥؟؟.

فتقول: اتبعت علم الحساب بحفظ جدول الضرب أو صدقت بالإجماع على نتائج علم الحساب وفق قوانين تعليمه.

أو تقول: عددت خمسًا خمس مرات.

ويقول: كيف علمت أن اللطمة تؤلم أو تذل؟.

فتقول: بتجربتي الخاصة، أو بمشاهدتي الآخرين.

فأنت كيفت بوجدانك علمًا حسيًا.

ويقول: كيف علمت أن تقبيل الرأس يفرح أو يعز؟!.

فتقول: بتجربتي الخاصة أو بمشاهدتي الآخرين.

ويقول: كيف علمت أن اللطمة غير تقبيل الرأس؟!

فتحيل إلى ملكة التذكير من تجربتك ومشاهدتك حيث تحضر لك الفروق أو بعضها.

وقانون الهوية مطلب فطري في عقلك يأبى الخلط بين المتغايرات ويلح على تمييز الهويات بصفاتها وآثارها.

ثم نعود إلى البدهيات التي ذكرها ابن حزم كعلم النفس الضروري بأن القعود والقيام لايجتمعان معًا في آن واحد، فربما قال قائل: كيف علمت ذلك؟.

فتقول: لأن القعود غير القيام، وهوية قيام زيد في هذا الآن لا تتم إلا بفقدان هوية قعود زيد في الآن نفسه، والمشاهدة تحيل جمع زيد قائمًا وقاعدًا في آن واحد، لأن لكل منهما هوية خاصة يرمز لها بلفظ مميز.

فأنت كيفت بقانون الهوية الذي يحيل إلى وجدان حسي مشترك يفرق بين القيام والقعود، وإلى لغة مشتركة تميز بين الهيئتين.

إذن العلم بكيفية وقوع العلم بصدق البدهيات حاصل، وحصول هذا العلم لا يعني نفي فطرية هذه المعرفة وضرورتها.

قال أبو عبد الرحمن: وإنما يفسر واقع البدهيات بأن البدهيات ذاتها نتيجة أحكام ضرورية فطرية، وتلك الأحكام غريزة في العقل قبل إحساس النفس بهويات الأشياء.

وبيان ذلك أن معاني القيام والقعود

حسيات. وامتناع قيام زيد وقعوده في آن واحد بدهية. وامتناع اجتماع الضدين غريزة عقلية.

والبدهية تركن إلى الحس والغريزة العقلية، فبالحس علمت هُوِيَّتَيْ القيام والقعود، وبالحس علمت إحالة الجمع بين الهويتين من شخص واحد في آن واحد، لأن ذاكرتي الحسية فطنتني إلى أن تحقق هوية القيام من زيد في آن لا تتم إلا بانتفاء قعود زيد في نفس الآن، إذ هذا التنافي هو معهودي لمعنى القيام والقعود من شخص واحد في آن واحد مشاهدة ولغة.

وبالغريزة العقلية سبق علمي بأن ما كانا في الحس ضدين لا يجتمعان.

ومعنى الضرورة والغريزية والأولية لدى العقل ها هنا أن العقل لا يقول: حس البشر إلى هذه اللحظة لم يوجد فيه ضدان اجتمعا!.

ومن المحتمل أن يكون وراء الحس مما لم يحصله العلم أضداد تجتمع!.

بل العقل يقول: محال اجتماع ضدين فيما شوهد، وفيما لم يشاهد.

فالإحالة غريزة مسبقة ضرورية.

فهي غريزة لأن العقل مجبول على الاحتكام إليها.

وهي مسبقة لأنها تحكم بمنع اجتماع الضدين من كل شخص وجد أو سيوجد، وتحكم على الحس مسبقا بإحالة أن يوجد ذلك فيه، ولا يقوى على تَصَوُّر ضدين يلتقيان، ولا يصدق بأي معطى فكري يقوم على دعوى إمكان اجتماع الضدين.

وهي ضرورية بمعنى غريزي سبق، وهو أن العقل لا يستطيع الشك في صدقها لأنه لا يحتمل غيرها ولا يتصوره.

قال أبو عبد الرحمن: في الفلسفة الحديثة صراع حادٌّ وأسفار ضخمة حول الأفكار الخالصة.. وتشريح المعرفة وتدقيق التحليل يلغي عناء كثيراً.

والتشريح والتدقيق ها هنا أن يقال أعمال العقل كلها غريزة منحها الإنسانَ الذي منحه وجوده.

وأعمال العقل من ملكات عديدة، منها اختزان صورة المحسوس في الذاكرة.

ومنها ملكة التمييز بتجريد صور في الذهن للفروق بين الأعيان التي توجد صورها في الذاكرة. ومن ذلك التأمل والتخيل.. إلخ.

كل هذه غرائز العقل التي يباشرها في التعامل مع ما يدركه الحس.

ومن غرائز العقل ملكة تجريد الأحكام.. فالغيرية والمثلية، والشبهية، وارتفاع الفارق الوجودي المؤثر، وغير المؤثر كل ذلك أحكام عقلية جرَّدها العقل من تصور هويات الأشياء وتجريد هويات العلاقات والفوارق بينها.

وهي أحكام أخذها من الحس وأحال صدقها أو كذبها إلى الحس وإلى مبادئه الفطرية.. وأم المبادئ مبدأ الهوية بمعنى أن الشيء هو لا غيره.

وبإلحاح هذا المبدأ الغريزي عملت ملكة التمييز عملها، فكانت التسوية مع الفارق المؤثر في الحكم، والتسوية مع الفارق في الصورة حكمًا باطلاً في غريزة العقل بغريزة ملكة التمييز التي خلقت لفهم الموجودات على ما هي عليه.

ونُحْرَم نعمة الحس إذا فقدنا موهبة التمييز في الذاكرة العقلية ثم في الحكم العقلي.

ولايقولن قائل: التمييز بين حبة اللوبيا وحبة القمح في الصورة، أو في الحكم من ناحية القيمة الغذائية مثلاً معطىً حسي، فلا يكون هذا الحكم العقلي غريزيًا؟.

قال أبو عبد الرحمن: الغريزة أن العقل خُلق ليميِّز الأشياء على ما هي عليه فيأبى بطبعه التسوية مع الفارق.

والحس لم يمنح العقل هذه الإبانة، وإنما قدم له صوراً حسية فيها غيريات ومتماثلات ومتشابهات وذوات فروق مؤثرة وفرق غير مؤثرة، والعقل يتلقاها بغرائزه.

ومما يدلك على أن للعقل معرفته الغريزية الضرورية المسبقة أن له أحكاما في المشاهدات والمغيبات.

فهو يصنف المشاهدات ويجرد منها ويدخلها في أجناس وأنواع، فمن تصنيفه أن ذوات الثدي تتوالد فتظل معرفته حسية قطعية مالم تثبت التجربة البشرية خلقًا من ذوات الثدي بخلاف ذلك.

كما أن له أحكامه المسبقة في المغيبات، ولا تخرج أحكامه عن التعين أو الإحالة أو الاحتمال. فهو يحيل خلق الشيء لنفسه لأنه فطر على أن لكل شيء هوية لا يتصور بغيرها، ولولا هذا ما انتفع من معرفته بالحسيات.

معلومات العقل حسية سواء أكانت يقظة أم مناماً أم إشراقة

وقد دلته المشاهدة على أن المعنى اللغوي للعدم غير المعنى اللغوي للوجود.

ودلته المشاهدة أن المعنى اللغوي للعدم لا يتحقق إلا بانتفاء المعنى اللغوي للوجود.

والشيء الذي ادعى أنه خلق نفسه كان قبل الخلق غير شيء، أو شيئا غير ما وُجِد بعد الخلق.

ولا يتصور أن الشيء قبل الخلق هو الشيء بعد الخلق لأن الشيء قبل الخلق معدوم، وبعد الخلق موجود.

والحكم بأنه أوجد نفسه يعني الجمع بين هويتي الوجود والعدم في آن واحد.

والعقل ها هنا يحيل وجود متناقضين معًا كما أنه يوجب المتعين فيحيل المنع منه كحكمه بأن لكل مفعول فاعلا، لأنه بغريزة إحصاء الهوية كما هي أحال خلق الشيء

العَقلُ وَالحَقِيقَة

لنفسه فأوجب له فاعلاً من خارجه لأن لكل مفعول فاعلاً.

وليست صحة هذا الحكم من إحصاء شواهد حسية لمفعولات عُلم فاعلها، وإنما هي من غريزة الهوية القاضيةً بأن ما كان هو فهو غير سواه وفق ملكة التمييز، وأن القسمة لما انحصرت في هو، وغير هو، وأحالت الغريزة العقلية أن يكون هو يوجد هو: تعين أن له موجداً غيره.

وقانون لكل مفعول فاعل لا يدخل في حكمه خالق الكائنات سبحانه، لأن من غريزة العقل إمضاء الحكم إذا وجد مقتضيه وتخلف المانع منه.

والموانع هاهنا ضرورات التوحيد بأن الكمال والعظمة.. إلخ لابد أن يكون صادراً عن أعظم وأكبر وأحكم وأعلم.. إلخ، فتعين مطلب خالق لا أعظم منه ولا أكبر، ومن صفة الخالق الأعظم أن لايكون مخلوقاً مربوباً.

والعقل يغيب شاهد علمه من الحس، أو يحار لتكافؤ معلوماته فيتوقف عن أدنى علم، أو يكون علمه احتماليا فلا يحكم بتعيين أو إحالة.

قال أبو عبد الرحمن: وصح بعد هذه الجولة ضرورة التفريق بين البدهيات وأحكام العقل الفطرية، فالمنع من ارتفاع كل نقيضين بإطلاق حكم عقلي مسبق، والحكم بأن موت زيد من الناس وحياته نقيضان لا يرتفعان بدهية عرفت جزئياتها بالحس واللغة من معنى زيد ومعنى الموت ومعنى الحياة، وبُني حكمها على الحكم العقلي أن كل ضدين لا يجتمعان.

إذن الحس علَّمنا أن الموت والحياة ضدان في حق زيد.

ومن طبيعة البدهيات عند ابن حزم أنه لا يُطلَبُ عليها دليل (٣).

قال أبو عبد الرحمن: هذا معنى كونها أولية، ودليلها مجرد وجودها، ولهذا فمن عاند في بدهي يُطالَب بشاهد ينقضها، ويعارض بالإلزام بأباطيل في قضايا أخرى تنبني على إنكار البدهية، وما هذا النوع من التحدي بها إلا لتأكيد وجودها في العقول.

والعقل له معلومات وله أحكام يستمدها من علمه، فالرجحان عنده يقين حتى يصبح الراجح مرجوحا، وهو مدفوع إلى هذا الحكم بفطرته، لأن وظيفته التلقي وخزن الصور والفهم والتمييز، فإذا ألغى الراجح عطَّل وظيفته واضطر إلى محظورات من تعطيل العلم بالتوقف، أو السفه والعناد بالأخذ بالمرجوح.

وهذه الأحكام العقلية الخُلقية من غرائز العقل التي اكتسبها بالتحليل والمعادلة.

ومعلومات العقل معطيات حسية سواء أكانت يقظة أم مناماً أم إشراقة.

وأحكام العقل منها أحكام عقلية بفطرة العقل، ومنها أحكام عقلية بضرورة الحس، ومنها أحكام عقلية بالشرع.

وإثبات الشرع بدلائل العقيدة والنبوات والبراهين الحسية والعقلية معلومات شرعية بالعقل.

وإثبات الشرع عن مُنزِّله نصا ومعنى معلومات عقلية بالشرع، لأن الشرع لما ثبت صدقه وكماله بالعقل كانت آحاده عقلية، إلا أنها عقلية من المصدر الشرعي.

وكذلك فطرة العقل معقولة بالشرع، لأنه لما ثبت بالعقل كمال الشرع في الجملة وصدقه علم بالعقل تنزه منزل الشرع الذي حكم الشرع بكماله عن أن يخدع الإنسان بمطالبته بعقل لايوصِّل، والعقل شرط التكليف في كل الشرائع.

وهذا معنى استدلال ديكارت على صدق بدهيات العقل بالعبارة المترجمة «صدوقية الله».

قال أبو عبد الرحمن: وكل حكم عقلي مرده مباشرة إلى تحصيل الهوية كما هي، وتمييزها عن غيرها من علِّية، وثالث مرفوع، ووسط ممنوع، فهو حال مباشرته بدهي.

وكلُّ البراهين الصادقة ترتد عند التحليل إلى بديهة.

والإدراك الحسي وحده، والتجربة التي هي إحساسات متعددة أو مكررة إنما يخبراننا بحالة واحدة، ويحصِّلان لنا الحاصل.

أما المعرفة العقلية فمداها أوسع في التطلع إلى معرفة الموجودات على ما هي عليه لأن أحكامه أخبار مبنية على تجريد صور من شتى الفروق والعلاقات بين مختلف الموجودات.

قال أبو عبد الرحمن: وكل برهان صادق على أن للعقل أفكاراً أولية فطرية ليست مستمدة من الحس، وإنما الحس يشهد لها.. كل برهان هكذا فهو إظهار حقيقة لا يضيرها التنزل في الاستدلال على أنها حجة، لأن هذه البدهيات حجة قاطعة يُتَطَلَّعُ بها إلى معرفة ما لم يعرف بعد، سواء أكانت غريزة في العقل الذي خلقه الله، أم استمدها العقل الذي خلقه الله من الحس الذي خلقه الله من الطبيعة التي خلقها الله.

قال أبو عبد الرحمن: والعقل مخلوق يضل وينسى ويغفل وله شهوة وهوى، ولهذا ففي العقل أحكام عقلية صادقة وأخرى كاذبة، وأحكام عقلية عادلة وأخرى جائرة.

ويُرَدُّ العقل إلى صوابه بردِّه إلى بدهياته الفطرية، وإحراجه بالإلزام، وردِّه إلى الحس والمشاهدة والله المستعان.

الهوامش :

(١) الفصل ١/٦
(٢) الفصل ١/٥
(٣) الفصل ١/٧

حوار مع

مدير إدارة حماية البيئة في مجلس التعاون الخليجي:

التثقيف البيئي ليس حشدًا ترفيًا للمعلومات

أجراه: عبد الملك عبد الرحيم


د. فهمي العلي

تحتل قضية حماية البيئة في الوقت الراهن أهمية خاصة على الساحة الدولية، نظرًا للمخاطر التي أطلت برأسها، أو استفحلت ، وباتت تشكل تهديدًا واضحًا ومباشرًا للحياة على الأرض. ومع تعاظم الاهتمام بمشكلات البيئة على المستويات المحلية والإقليمية والدولية. أصبح لزامًا على الإنسان أن يطور فلسفته لفهم البيئة لمواجهة التحديات .

وقد كان من أبرز المظاهر الدالة على تقدم نظرة الإنسان للبيئة ، وجديته في التعامل مع تعقيدات هذه القضية الحيوية، ما طرأ على مفهوم (التثقيف البيئي) من تحول . فبعد أن كانت هذه الخطوة المهمة في علاقة الإنسان بالبيئة، تعتمد على حشد المعلومة وتكثيفها ، أصبحت تعمد إلى تحقيق هدف تغيير سلوك الناس إزاء البيئة.

في هذا الحوار يتحدث الدكتور فهمي حسن أمين العلي مدير إدارة حماية البيئة في الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي، رئيس اللجنة العليا في مشروع التوعية البيئية السعودي، عن أبعاد التحول في فلسفة الإنسان لفهم بيئته، والضرورات التي تفرض تطوير عملية التثقيف البيئي.

في بداية الحوار يذهب د. العلي إلى تحديد مفهوم التثقيف البيئي، ووضعه داخل إطار دلالي، للوقوف على مقوماته ومكوناته.. فيقول:

التثقيف البيئي، هو عملية ترجمة الحقائق البيئية المعروفة، إلى أنماط سلوكية بيئية سليمة، على مستوى الفرد والمجتمع ، وذلك باستخدام الأساليب والمناهج التربوية الحديثة. وبمفهوم أوسع، فإن التثقيف البيئي، أو التربية البيئية، هي ناتج عملية إعادة توجيه وربط لمختلف فروع العلوم الأخرى العملية: الحيوية والكيميائية والفيزيائية، والخبرات التربوية، بما ييسر الإدراك الحسي المتكامل لمشكلات البيئة، وينتج عن ذلك جهود أرشد وأقدر على الوفاء باحتياجات المجتمع، دون إهدار للمصادر والثروات الوطنية، ودون الإضرار بالبيئة. والحقيقة إن مجال التثقيف البيئي، بوصفه مكونا من المكونات الأساسية في الصحة العامة، لم يكن معروفا من قبل، بل كان من العلوم المجهولة، ولم يهتم

العالم بالبيئة ككل، إلا في الحقبة الأخيرة، بعد أن تفاقمت الكوارث البيئية، وكان نتيجة لذلك، أن حدثت في مجال هذا العلم، تطورات وتغيرات جذرية، في المفهوم والأسلوب تتمثل أساسا في ثلاثة مجالات، هي التطور في فلسفة فهم البيئة، والتطور في أساليب إيصال المعلومات عن البيئة، والتطور في مناهج التعليم.

فماذا عن التطور في فلسفة فهم البيئة؟

يلاحظ في هذا الخصوص، إنه بعد أن كان التثقيف البيئي يُبنى على فلسفة تزويد المواطنين بالمعلومات والحقائق البيئية، أصبح الآن يعتمد على اتباع أساليب تغيير اتجاهات الناس نحو البيئة وسلوكهم، وأصبحت أعمال التثقيف البيئي، لاتقف عند حد نشر الحقائق البيئية، بل تمتد إلى التغيير الإيجابي للسلوك، لأن التزود بالمعلومات وحده لايكفي، والدليل على ذلك أن هناك نسبة كبيرة من الأطباء يقومون بالتدخين، رغما عن علمهم بأضراره. وأما عن التطور في أساليب إيصال المعلومات عن البيئة فلقد كان إيصال المعلومات، يعتمد أساسا على وسائل الإعلام المقروءة أو المسموعة، من صحف وكتيبات ودوريات وإذاعة وتلفاز، لغرض الدعاية للبيئة، والمحافظة على ما فيها، وجمالها، وكان يقوم بتلك الأعمال مجموعة من الأفراد أو الجماعات باسم (أنصار البيئة) أما اليوم، فيجب أن تصل المعلومات مباشرة للفرد والمجتمع، وذلك بالمواجهة بعقد الندوات، وإجراء المقابلات، وتكوين الجمعيات، بالإضافة إلى وسائل الإعلام.

أما فيما يختص بالتطور في مناهج التعليم، فقد كان التعليم مقصورا في السابق، على بعض العلوم الطبيعية والإنسانية اليسيرة، وكانت تدرس بوصفها مبادئ، متجاهلةً تماما البيئة وما فيها من عناصر، وكان المنهج الدراسي يعتمد على مواد تلقن في داخل فصول دراسية بعيدة كل البعد عن الواقع، دون أن يكون هناك دور للتجارب والابتكارات العلمية، أو زيارات ميدانية للملاحظة والمشاهدة، أما اليوم فالمناهج اختلف مضمونها، وخرجت عن إطار التعليم التقليدي، إلى مناهج تزود الطالب بالمعرفة البيئية الشاملة، المبنية على الملاحظة والتجربة والاستنتاج.

وعليه فإن الهدف الأساس من وراء التثقيف البيئي، أو التربية البيئية الحديثة يتمثل في مساعدة المسؤولين والمخططين، وتوعية عامة الناس، من أجل تحقيق التنمية المتوازنة، التي تحافظ على البيئة، وتصون مواردها، دون أن تخل بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولذا فلابد من تضافر الجهود، وبذل المزيد من التعاون، والتنسيق بين الأجهزة ذات العلاقة بالبيئة، حتى تتحقق مجموعة من الأهداف الرئيسة، وتأتي منسجمة مع بنود خطط التنمية. ويأتي في مقدمة هذه الأهداف الرئيسة تغيير مفاهيم المواطنين، وزيادة معرفتهم فيما يتعلق بالبيئة ونظافتها، وجعل حمايتها، ومكافحة مايلحق بها من أضرار، هدفا يسعى إليه الجميع.. ويتوقف تحقيق هذا على النظم الاجتماعية القائمة في المجتمع، ومستوى التعليم بين الأفراد، ومدى ارتباط المواطنين بمجتمعهم، بالإضافة إلى الكفاية الكمية والنوعية للعاملين في مجال البيئة وصحة البيئة. ومن هذه الأهداف الرئيسة أيضا، سرعة تجاوب المواطنين مع الأوامر والتعليمات، التي تصدرها الجهات ذات العلاقة، والقائمة على حماية البيئة، ومن أمثلتها في المملكة العربية السعودية: مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، أو إدارة حماية البيئة في كل من وزارتي الصحة، والشؤون البلدية والقروية.

ما أهم ميادين التثقيف البيئي؟

إن مجالات التثقيف البيئي واسعة ومتعددة، ولو استقلت استقلالاً علميًا دقيقًا، لتحققت من خلالها أهداف التربية البيئية المنشودة، ولعل أهم تلك الميادين حماية بيئة الفرد، وحماية بيئة المجتمع.

يقصد بحماية بيئة الفرد الشخصية، نظافة المسكن والجسد والغذاء، بحيث تتهيأ داخل


زيادة الرقعة الخضراء ضرورة في المدن التي تلوثها عوادم السيارات وغيرها

المنزل، مناهج وأساليب تربوية بيئية متعددة يربى عليها الأطفال، ويسلكونها في مجالات حياتهم فيما بعد، ولعله من مثل تلك العادات البيئية الحميدة التي يمارسها الوالدان أمام أطفالهم يوميًا، العناية بنظافة الجسد، بدءًا بالوضوء للصلوات الخمس، إلى الاستحمام اليومي، والاهتمام ببيئة المنزل، من حيث التهوية السليمة، وإزالة ما بها من فضلات، ووضعها في أماكنها المخصصة لها، ومكافحة ما بها من حشرات، والعناية بتنسيق الحديقة، وزيادة الرقعة الخضراء.

وفيما يختص بمجال حماية بيئة المجتمع قيل:

(إذا رغبت التعرف على أخلاق الشعوب، فانظر إلى أحيائها). ففي داخل الحي، تتهيأ فرص كثيرة، تؤثر في السلوك البيئي لعامة الناس، ولعل منها: العناية بنظافة الأحياء، ووضع المخلفات في أماكنها المعدة لها، ومحاولة إزالة كل ما من شأنه تشويه أو إتلاف بيئة الحي، من آثار سيئة، ومحاولة أن يستبدل بها ما هو أفضل، كزيادة الرقعة الخضراء، والعناية بالحدائق، وجمع المخلفات فيها بعد قضاء وقت التنزه والراحة فيها، أو في المتنزهات العامة. إن القيام بمثل تلك الأمور سيكون فيما بعد، قدوة يحتذى بها، ويقلد كل منا الآخر، للوصول بحيه أو منطقته السكنية إلى الحي الأمثل، ولايتسنى ذلك إلا باتباع النصائح والتوجيهات التي يسديها القائمون على صحة البيئة للمواطنين. وبالإضافة إلى الحي، هناك المدرسة، سواء أكانت مدرسة ابتدائية، أو متوسطة، أو ثانوية، أو معاهد عليا، أو كليات جامعية، يجب أن تتهيأ فيها فرص تربوية كثيرة، لتعميق حب البيئة والمعرفة بمشكلاتها لدى النشء، لكي يُربَّوا على حبها والتفاني في نظافتها... كما إن السلوك البيئي للمدرسين وغيرهم، يجب أن يكون قدوة للطلاب، وأن تُنمَّى غرائزهم على حب البيئة وجمالها، عن طريق الدرس، والندوات، والمجلات، والجمعيات المدرسية.



كيف تتحقق أهداف التثقيف البيئي؟

يتم ذلك عن طريق التعرف على المشكلة البيئية التي يراد السيطرة عليها، وجعل المواطنين يعايشون المشكلة، ويشعرون بوجودها، ويحسون بأضرارها ، وتأثيرها في بيئتهم، بالإضافة إلى تشكيل لجنة من العلماء والخبراء في مجال البيئة، والمهتمين بها، على أن يشارك معهم نخبة من رجال السلطة، لزيادة فاعلية وجدية مراقبة تطبيق القوانين والأنظمة، إذا دعت الحاجة، على أن تقوم تلك اللجنة بمناقشة المشكلة، وتفهم جوانبها، ووضع الخطوات اللازمة والإيجابية لحلها.

ماذا عن مشروع التوعية البيئية السعودي، الذي تتبناه وزارة الدفاع والطيران، ممثلة في لجنة التوازن الاقتصادي ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة، والمعرض البيئي العام، الذي يفتتح في شهر شعبان القادم؟

هذا المشروع تجسيد للجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية، في مجال الثقافة البيئية، لأن بناء الفرد وبناء المجتمع، يأتي عن طريق التثقيف، والتوجيه، وأحيانا المشاركة، والمشروع جمع هذه الجوانب كلها، فهو انطلاقة ثقافية علمية، لكنها مصبوغة بالصبغة الأدبية، حتى يمكن أن تصل المعلومة التي يجسدها المشروع، لكل أفراد المجتمع..

وهدف اللجنة المنظمة أن تصل المعلومة البيئية، والثقافة البيئية، إلى الأسرة في المنزل، وإلى الطفل، وإلى صاحب العمل، في قالب معين. ولعل من أهم النشاطات والفعاليات التي وضعها وخَطَّط لها المنظمون لهذا المشروع، فعاليات تنتهي بإقامة المعرض البيئي العام في مدينة الرياض، وهو معرض كبير سيقام على مساحة كبيرة جدا، وهو المعرض الأول من نوعه ـ على مستوى العالم العربي، أو حتى على مستوى العالم ـ الذي يجسد الحياة البيئية، والبيئات المختلفة، سواء أكانت بيئات سليمة، أو بيئات تدخلت فيها نشاطات الإنسان، وقد حرصت اللجنة العلمية على أن تكون هناك مسابقة ثقافية يشارك فيها جميع المواطنين والمقيمين، بعنوان مسابقة الإنسان والبيئة، بالإضافة إلى رسوم الأطفال المعبرة عن بعض جوانب البيئة. وحرصت اللجنة العلمية على وضع المادة العلمية في قالب أدبي، فأوجدت ما يسمى (حقيبة الأسرة) أو (الحقيبة التثقيفية) أو (الحقيبة البيئية)، بالإضافة إلى المطبوعات المختلفة، والندوات الإذاعية والتلفازية.

القراءة وأثرها في تكوين الفكر والثقافة

عبدالله بن حمد الحقيل

المكتبة من أهم الروافد لتنمية المعرفة، وتولي الأمم الناهضة الكتاب اهتماما كبيرا لأنه عنوان ثقافتها وهويتها الفكرية والحضارية، ولايماري أحد فيما للمكتبة من دور حيوي وأثر فعال وفائدة تربوية وثقافية للباحث والدارس والطالب، ذلك أن الباحث والدارس والمؤلف والمعلم في حاجة إلى المكتبة، إذ تؤدي دورا متزايدا في التعلم والتدريس والبحث والدراسة وفي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، بحيث يمكن القول بأن المكتبة تحتل في المجتمع مركز الصدارة، ولها دورها في شتى الجوانب ومختلف الميادين. ومن يتتبع تاريخ المكتبات يدرك أنها جزء لايتجزأ من تاريخ الحضارات، والفكر والمعرفة ترتقي بارتقائه وتساعد على نموه وازدهاره وتطوره، وتتخلف بانحطاطه وتخلفه، وإن تاريخ المكتبات حافل بأنصع الصفحات في التاريخ الإسلامي، وحيث كان الأسلاف مولعين بالكتب والعناية بالمكتبات، والاهتمام بالمعرفة والإسهام في رقيها، فقد اهتمت الحضارة الإسلامية بنشر العلم في مختلف ميادينه ومجالاته وفنونه.. وكان أسلافنا يهتمون بالكتاب ويحرصون على القراءة، ويأخذون من كل علم بطرف، يجدون المتعة في القراءة، ويشعرون بالألم في البعد عن ذلك، وكتبوا وبحثوا في كل فن من فنون المعرفة والثقافة، فهاهو شاعر المعرة يقول:

ماجاء في هذه الدنيا بنو زمن

إلا وعنديَ من أخبارهم طرف

ولقد برز علم المكتبات في العصر الحديث بفضل انتشار الطباعة، بحيث أصبح فنا يدرس، له أصوله وقواعده واختصاصاته، كما أن غزارة الكتب وتنوعها جعل من الضروري إيجاد المكتبات على أسس وضوابط علمية، رغبة في تسهيل أعمال الباحثين والدارسين وطلاب العلم ورواد المعرفة بصفة عامة.

إن المكتبة مركز إشعاع هدفها إشاعة المعرفة والثقافة ومركز بحث وعلم تساعد الباحث في إيجاد مايريد، فهي واحد من أهم الروافد في تنمية الثقافة والمعرفة وهدف تعتني به كافة الأمم المتحضرة.

ولاننسى في هذا المقام دور المكتبات المدرسية في العملية التربوية وخدمة البرامج التعليمية لذا يجب أن تكون الكتب الموجودة بها منتقاة لخدمة تلك الأهداف لمساعدة الطالب والمعلم، مع الاهتمام بتوجيه الطلاب وتعريفهم بالكتب على اختلاف أنواعها، وغرس عادة القراءة في نفوسهم، وتنمية ميولهم نحو القراءة، وتشويقهم إلى المكتبة، وتقديم الكتب للطلاب بأسلوب مناسب والإشارة إلى أهمية الكتاب، والتعريف به وعرضه في الفصل الدراسي، ولاشك أن الطالب سوف يذهب بعد ذلك إلى المكتبة للبحث عن الكتاب وإكمال قراءته، ومن هنا تتجلى أهمية القراءة الواعية الهادفة التي ترتقي بالقارىء وتسمو به فهي مشعل وضياء على درب الثقافة وطريق المعرفة ومما يغني الفكر ويثريه.

إن تنمية قدرات التلاميذ وميولهم نحو الكتاب واستعماله وطريقة الحصول عليه وعلى المعلومات المطلوبة عمل تربوي يجدر الاهتمام به مع التركيز على أهمية الحفاظ على الكتاب، وعدم العبث به، أو قطع بعض الصفحات والصور، وهو مايشتكي منه اليوم بعض أمناء المكتبات، ولذا ينبغي تعويد الطالب منذ الصغر على التعامل الحضاري مع الكتاب، وإرشاده إلى أفضل السبل نحو الاستعمال الأمثل للكتاب، والإفادة منه، وتعليمه الإحساس بالمسؤولية، واحترام الكتاب، والتحلي بروح العلم والأدب، والخلق والمثل العليا وبيان محاسن القراءة وأثرها في تكوين فكر الطالب وإغناء ثقافته.

لقد أصبحت المكتبات ضرورة تربوية يحتمها التقدم الكبير الذي طرأ على مختلف ميادين العلم ومجالات المعرفة، فأصبحت الأمم تولي عناية للخدمات المكتبية، وتعمل على نشرها، وتوسيع نطاق خدماتها، وتدعيمها بالجهد والإمكانات المادية والبشرية، إذ أصبحت تشارك في تكوين الأجيال القارئة وبنائها الأمر الذي يعتمد على الكتب والقراءة كوسيلة للتطور الفكري والثقافي، وتنمية الذوق الأدبي، وخلق المهارات، وملكات البحث والدراسة والخبرات المتعددة، وتوسيع الآفاق، والقراءة هي الأساس المكين لكل معرفة إنسانية، لالشيء سوى أنه زاد شهي للعقل والقلب.. ولن يستطيع المرء استيفاء حظه من ثقافة عميقة، وعلم غزير، وأدب أصيل، واستيعاب نواميس الكون والحياة، وطبائع الناس وتصرفاتهم، وحقائق الحضارات والمدنيات، مالم يهتم ويحرص على القراءة.

إن الكتاب عامل حيوي للثقافة والمعرفة، وصدق الجاحظ حين قال: "الكتاب وعاء مليء علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة..".

لقد كتب أسلافنا كثيرا في تصوير قيمة الكتاب وتحديد دوره الحضاري والثقافي، وحرصوا على اقتناء الكتب، وأنساهم الاشتغال به أولادهم، واعتبروا الكتاب هو الجليس المحبوب، كما قال أحدهم:

ولكلِ صاحب لذةٍ مُتَنَزَّهٌ

أبدا ونزهةُ عالمٍ في كُتُبِهِ

قِصّةُ بَحرٍ

ظنّت «نازك الملائكة» أنها ابتكرته!



د. نور الدين صمود

إن التفعيلات العروضية التي يوزن بها الشعر العربي يمكن حَسْبَ عملية حسابية تعتمد على الإمكانات، أن تبلغ أكثر من ثلاثمائة تفعيلة ـ كما نقل الدكتور عبده بدوي عن الدكتور إبراهيم أنيس ـ وفي هذا نظر، يطول شرحه الآن، ولكن الشعراء لم يستعملوا من هذه الإمكانات إلا النزر اليسير. ونسوق مثلا واحدا منها:

كتب الدكتور عبده بدوي في مجلة «الدوحة» التي كانت تَصْدُر في قطر في السبعينيات موضوعا تحت عنوان «ميلاد بحر جديد في الشعر العربي»، وذكر عن ميلاده أنه وصلته رسالة من الشاعرة نازك الملائكة بتاريخ ٨ من ذي القعدة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣/٢/٣م (أي منذ أكثر من عشرين سنة) وقد كَتَبَتْ له في آخر تلك الرسالة: «بعد ما أنهيت كتابة الرسالة أعلاه وقرأتها انتهيت إلى قولي عن طفلتكم (دالية): «خضراء براقة مُغْدِقهْ» فهو كلام موزون وتفعيلاته: (مستفعلن فاعلن فاعلن) وهو وزن غير مستعمل في الشعر العربي ولكنه لاح لي جميلا، وفيه إمكانات، وسرعان ما قفزت الأشطر إلى ذهني بسرعة خارقة، فكانت هذه الأبيات السبعة أرسلها إليك، وإلى الأسرة لتحتفظ بها ذكرى، تقدمها لدالية العزيزة حين تكبر وتصبح شاعرة مثل أبيها».

ونلاحظ أولا: أن الشاعر قد قال في كتابه «قضايا حول الشعر»(١): إن اسم ابنته داليا، ولكن الشاعرة تُصرُّ، حين تناديها، على «دالية» لعروبة الاسم. وكل هذا يدل على الصلة الوثيقة بين الشاعرة والشاعر وأسرتيهما.

ونلاحظ ثانيا أنَّها تُسَمَّى قصيدة رغم قصرها لأن العروضيين مجمعون على أن ما بلغ سبعة أبيات فأكثر يسمى قصيدة، وما دونها فهو قطعة، والبيتان يُسميان (نتفة) والبيت يُسمى «اليتيم»

وهذه هي القصيدة:

خضراء براقة مغدقهْ
كأنها فلقةُ الفُستُقَهْ
الشَّعْرُ سبحانَ من لَمَّهُ
والثغر سبحانَ من فَتَّقَهْ
شفاهها شَفَقٌ أحمرُ
كم حاول الوردُ أن يسرقه
داليةٌ غَضَّةٌ عذبَةٌ
في هُدبِها نَجمَةٌ مُشرقه
عصفورةٌ حلوةٌ كالرُؤى
مَن يا تُرى صَوتُها «مَوْسَقَه»
الْفَجرُ أهدى لها قُبلةً
والرَّوضُ ألقى لها زَنْبَقَهْ
وَتَمْلأُ البيتَ في فَرْحَة
بالضَّحْكِ والرقْصِ والزَّقْزَقَه

وقد رَدَّ الشاعر على القصيدة المذكورة بتسعة أبيات من نفس الوزن والقافية يقول فيها:

أشْعَلْت في خاطري حبَّها
يا حُبَّها جَلَّ مَن رَقْرَقَهْ
كانتْ وَرَاءَ المُنى وَرْدَةً
وفي ضمير السَّنا زَقْزَقَهْ
وحينَ زُفَّتْ مَشَى نُورها
فَهزَّ أيامِيَ الْمُطْرِقَهْ
وقال للشعر: قُلْ كلْمَةً
فأهْرَقَ الشِّعْرُ ما عَتَّقَهْ
حتى إذا كان منها الشَّذَى
والخَطْو، والبسمَةُ الشَّيِّقه
والكَرْمُ مِنْ لثغةٍ عَذْبَةٍ
والطيرُ من أحرُفٍ مورِقه
هزَّتْ مِنَ الشِّعْرِ يُنبوعَه
ومِن رفيف الشَّذَى أعْمَقَهْ
فأرسَلَ الصَّوْتُ في إثرها
يقول في فرحة مشرقة :
«خَضْرَاءُ بَرَّاقةٌ مُغْدقَهْ
كأنها فلقةُ الفُسْتُقَهْ»

وقد عَلِقَ الوزنُ بذاكرتي لقربه من السريع، ونسيت أن القافية مردفة بهاء، فكتبت قصيدة في ابنتي (مَيْلاء) تتكون من ستة عشر بيتًا هي:

ميلاء يا وردةً تَعبَقُ
أشذاؤها أوشكتْ تَنْطِقُ
في روضةٍ عطرُها ساحرٌ
قد ضاع منها شَذَى يُنْشَقُ
والطَّلُ ما بيْنَ أوراقها
كالنُّورِ في كوكبٍ يَخفقُ
إخالُها قمرًا مرسلاً
إشعاعَه حولَنا يَدْفقُ
نافورةٌ ماؤُها راقصٌ
مِثْلَ السَّنى في الفَضَا يَسْمُقُ
كأنها ـ إذا رَنَتْ نحونا،
وَطَرْفُها بَحْرُهُ مُغرِقُ ـ
داليةٌ كرمُها لُؤلُؤٌ
مَوْسِمُها أبدًا يَصْدُقُ
عُنْقودها دُرَرٌ عُلِّقَتْ
يَكادُ مِنْ حُسْنِهِ يُعْشَقُ
والعِنَبُ الضَّاحِكُ الْمُزْدَهي
كأنَّهُ خَمْرَةٌ تُهْرَقُ
في أكْؤُسٍ لَوْنُها عَسْجَدٌ
ونُورُها فَوْقَها يُشْرِقُ
يَا طِفْلَةً غَضَّةً كَالْمُنى
كَزَهْرةٍ في النَّدى تَغْرَقُ
يَرُوقُني مِنْكِ بَحْرٌ بَدَا
في مُقْلَةٍ لَوْنُها فُسْتُقُ
وحُسْنُكِ التُونسِيُّ الذي
يفتنني، جَلَّ مَنْ يَخْلُقُ
وَثَوْبكِ القُزَحِيُّ السَّنَى
ذَيْلُ الطَّوَاوِيسِ، بَلْ أَرْشَقُ
تَتْبَعُهُ مُقْلَتِي دَائمًا
والقلب مِنْ شَوْقِهِ يَخْفُقُ
اللَّهَ، يَا حُسْنَهَا إذْ بَدَتْ
كَوَرْدَةٍ غَضَّةٍ تَعْبَقُ

وأرسلت إليه القصيدة لينشرها في مجلة الشِّعر الفصلية عندما كان يرأس تحريرها.

وكنا نعلم جميعا أن هذا الوزن، أو تركيب تلك التفعيلات بذلك الشكل، لم يذكره الخليل في البحور المستعملة، وليس هو من البحور المهملة الممكنة، ولم نَطَّلع على نماذج مكتوبة على هذه الإمكانية، ولم نجد له رصيدا في مأثور النَّغَم الشعري نستعين به على ترسيخ موسيقاه، فكنا نشق طريقا غير معبدة، لأننا لانعرف ما يجوز في تلك التفعيلات من الزحافات وما لايجوز، لأن لكل بحر جوازاته التي قد لاتجوز في سواه.

وبعد برهة من الزمن عثرتُ على بيت واحد مكتوب على هذا الوزن ـ الذي خلناه جديدا ـ في أثناء إحدى قراءاتي لكتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لحازم القرطاجنِّي المتوفَّى بتونس في ٢٤ رمضان ٦٨٤هـ ـ ١٢٨٥/١١/٢٣م. [أي منذ أكثر من سبعة قرون].

وقد ذكر حازم القرطاجني ذلك البيت أثناء حديثه عن الإمكانات المقبولة من تركيب التفعيلات، وذلك بتأخير التفعيلتين المزدوجتين الخماسيتين عن التفعيلة السباعية المفردة.. قال: «وقد وَضع بعضُ الشعراء الأندلسيين على هذا البناء وزنا إلا أنه جعل الجزأين المزدوجين خماسيين فرارا من الثقل الواقع بتشافع السباعيين في النهاية، فكان التشافعُ في ذاك الوضع أخفَّ في الخماسي وذلك قوله:

أقصرَ عن لوميَ اللائمُ
لَمَّا دَرَى أنني هائمُ

تقدير شطره: «مستفعلن فاعلن فاعلن» (٢).

وقد كاتبت الصديق الشاعر الدكتور عبده بدوي وأوضحت له هذا الأمر، وكتبته ضمن موضوع جعلته بعنوان: «محاولات لوضع بحور جديدة من عهد الخليل إلى الآن»، ونشرته في كتابي «دراسات في نقد الشعر» سنة ١٩٨٢م، ولاحظت حوله عدة ملاحظات (تُنظر في الكتاب المذكور لأنها فنية عروضية لذوي الاختصاص) (٣).

ثم أهداني الدكتور عبده بدوي نسخة من كتابه «قضايا حول الشعر»، وقد قصَّ فيه قصة هذا البحر وقال فيه: وقد نبهني الدكتور نورالدين

ظنّت نازك الملائكة أنها ابتكرته!

صمود إلى نَصٍّ لحازم القرطاجني في «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» تحقيق د. محمد الحبيب ابن الخوجة، ص ٢٤١ جاء فيه: «وقد وضع بعض الشعراء الأندلسيين ... الخ) وذكر النص الذي ذكرته آنفا.

كما أشار في الهامش إلى أن زميله الدكتورعبد اللطيف عبد الحليم، وهو عروضي معروف، كتب من إسبانيا إلى مجلة الثقافة فأكد أن الوزن قديم كَتَبَ فيه أبوعبد الله بن الحنَّاط الكفيف، وقد ذكر ابن بسَّام في «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» بيتين للشاعر المذكور أولهما البيت الذي ذكره حازم، وهما هكذا:

قَصَّرَ عن لوميَ اللائمُ

لما دَرَى أنني هائمُ

مازلتُ في حبه مُنصفًا

من لم يزل وَهْوَ لي ظَالِمُ (٤)

وحين أَطْلَعَ الدكتور عبده الشاعرة نازك الملائكة على ماكُتب حول هذا الوزن، قالت له: «إنها لم يسبق لها أن اطَّلعت على شيء مكتوب في هذا الوزن». (٥)

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الوزن يُعتبر جديدا بالنسبة لكل من كتب عليه ممن ذكرت آنفا. وممن لم أذكر لعدم اطّلاعي على كل ماكتب فيه وحوله، لأن ما وَصَلنا عليه من قِبَلِ القدماء لايعدو بيتين اثنين فيما نعلم. ولا يمكن أن يؤَسِّسَا مَوْرُوثًا نغميا ورصيدا موسيقيا يُرسِّخُ الوزن في أذهان من يريد أن يكتب عليه شيئا من الشعر. وعدم اطّلاع نازك الملائكة على ذَيْنك البيتين لا يطعن في معلوماتها العروضية، إذ إن من عرف شيئا فهو حجة على من لم يعرف، ولم تأتِ هذه الشاعرة بوزن خليلي معروف وقدمته بتفعيلات أخرى، كما فعل الأخفش بالنسبة للمتدارك الذي جعله الخليل مهملا كبقية المهملات، ولو ركّب إنسان أو شاعر، من التفعيلات المعروفة تركيبة خالها جديدة وقال: إنني ابتكرت بحرا عروضيا جديدا لم يعرفه الخليل وهو:

(فاعلن فاعلن فعولن فعولن)

وكتب عليه قصيدة يجعل مطلعها مثلا:

رائعٌ عاقلٌ ذكيٌ حصيفُ

رَاجِحُ العَقْلِ عبقريٌ شريفُ

لقال كل عروضي، يدْرِكُ بحسه الموسيقي، إن هذه التركيبة تساوي: [فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن] (ويَحسُن حذفُ السين منها) وما هي في النهاية، إلا تفعيلات البحر الخفيف الذي كتب عليه الحارثُ بن حلِّزَة اليَشْكُرِيُّ معلقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِها أسماءُ

رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَوَاءُ

إذن، فإن التركيبات الممكنة كثيرة ولكن معظمها يتساوى مع التركيبات المستعملة (وهذا بحث طويل ليس هنا محله).

وقد أشار الدكتور بدوي إلى أن نازك الملائكة كتبت قصة هذا الوزن في مقدمة ديوانها «للصلاة والثورة» ورأت أن تطرحه على الجمهور الأدبي لعل فيه ما ينفع ...

ولم تكن تعلم أن هذا الوزن قد وُجِدَ قبلها بقرون سبعة.

لقد قلت آنفا إن هذا البحر قريب جدا من البحر السريع وليس بينهما من فرق سوى (سبب خفيف) أي متحرك وساكن حسب الوزن، وفي الاستعمال متحرك فساكن أو متحرك فقط.

ولو قلنا مثلا في قول نازك الآنف الذكر:

خضراء (يا) براقة مغدقةْ

كأنها (من) فلقة الفُسْتقَة

الفجر (قد) أهدى لها قبلة

والروضُ (قد) ألقى لها زنبقهْ

لأصبح من السريع هكذا:

مستفعلن (مسـ) تفعلن فاعلن

مستفعلن (مسـ) تفعلن فاعلن

.أشعلتِ (لي) في خاطري حُبَّها

يا حبها (قد) جلَّ مَن رَقْرقَهْ

وحين (ما) زفت مشى نورها

فَهزَّ (مِنْ) أياميَ المُطْرِقَهْ

وكذلك مطلع قصيدتي:

مَيْلاءُ (بل) ياوردةً تَعْبَقُ

أشذاؤها (قد) أوشكتْ تَنْطِقُ

وهكذا تصبح كلها من السريع.

كما أن هذا البحر قريب من المتقارب. فلو أضفنا في أول كل شطر متحركًا واحدا، لأصبح متقاربا، خاصة إذا كانت (مستفعلن) خالية من الزحاف أو حُذفت منها الفاء دون السين كقولنا:

(و) أشعلتِ في خاطري حُبَّها

(أ) ياحُبَّها جَلَّ مَنْ رَقْرَقَهْ

(فعولن ٨مرات)

وهكذا فإن القدماء قد جَرّبوا تركيبات عروضية لم يعرفها الشعراء الذين كتبوا الشعر قبل الخليل، ولكنّ بعضها موسيقيٌّ فَرَضَ وجوده وكَثُر مستعملوه، وبعضها لايعدو أن يكون مجرد فكرة نظرية ليس فيه نغم وليس جديرًا بالبقاء.

والبقاء للأصلح والأحسن حتى في هذا المجال.

المراجع :

١- عبده بدوي، قضايا حول الشعر، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٦، ص١٤٥.

٢- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٤١.

٣- نور الدين صمود، دراسات في نقد الشعر، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٢م.

٤- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المجلد الأول، القسم الأول، ص٣٨٦، ٣٨٧.

٥- قضايا حول الشعر، ص ١٤٦، ١٤٧.

قصيدة

على جدار الأربعين

شعر: أحمد بشَّار بركات

وَصَحَوْتُ أصرُخُ أينَ أينَ صِبَايَا ... أينَ الربيعُ الحلوُ أينَ مُنَايَا؟!
مَابَالُ هَاتيكَ السنينَ كأنَّها ... طَيْفٌ سَرَى كالبَرْقِ في دُنْيَايا؟!
وعَلى جِدار الأربعينَ تَحطَّمَتْ ... كُلُّ المُنَى وتَسمَّرَتْ عَيْنَايَا.
بِفنائِها حَطَّتْ رِكَابي فَجأة ... فَرَمَيْتُ رَحْلِي كُلَّهُ وعَصَايَا!
مَاعَادَ يُسعِدُني الشبابُ وزَهوُه ... ـ واحَرَّ قلبي ـ كيفَ ضاعَ صِبَايَا؟!
شَيَّعْتُ أحلامي على شُرفاتِها ... والحُزْنُ أمْسَى مُطْبِقاً شَفَتَايَا!
أينَ الشَبَابُ وَفيضُهُ وبَريقُهُ ... أينَ الخَيَالُ وأيْنَ فيهِ رُؤَايَا؟!
لله هَذي الأربعونَ وَهلْ أتَتْ ... حَتَّى تُقَرِّبَني إلى مَشْوايَا؟
أمْسَتْ عُيوني بالدموع غَريقةً ... والهَمُّ أضْنَى مُهْجتي وَحَشَايَا!
وَيلاهُ قَدْ ولَّى شبابي مُسْرِعاً ... كالرِّيح إنِّي حِرْتُ في مَسعَايَا.
فَالشَّيْبُ يَغْزُو والنضارةُ ودَّعَتْ ... عَهدُ الصِبَّا يارُبَّ كَانَ خطَايا.
ماسِرُّ هذا العمرِ يمضي خِلْسةً ... والأمْنياتُ تصيرُ فيهِ مَنَايا؟!
كَمْ كُنْتُ في ذَاكَ السَّنا مُستَبْشِراً ... قَد غابَ ـ لَهْفي ـ في سحيقِ دُجَايَا!
قِيثَارتي كُسِرتْ فكيفَ لي الغنا ... والحُزنُ أخْرَسَني وكَمَّم فَايَا؟!
والواحةُ الخضراءُ صارتْ بَلْقَعًا ... والماءُ جَفَّ فَتِهْتُ في صَحْرايَا.
أضحيتُ فيها خائفًا مُتَرَقِّباً ... أجْتَرُّ أحْزاني بِها وأسَايَا!
والذِّكْرَيَاتُ تَجَمَّعتْ في خاطِري ... أسَفَاهُ مِمَّا قدْ جَنَتْهُ يَدَايَا.
وَصَدَى السنينَ الراحلاتِ يُمضُّني ... غُصَصاً فأجْرَعُ زَفْرَتي وبُكايا.
يانُورَ عُمْري فيكَ عِشْتُ مُؤمِّلاً ... لِتُضيءَ أرضي بالسَّنا وسَمَايَا.
لاتيأسنْ ياصَاحِ مِنْ عُمرٍ مَضَى ... فالدَّهْرُ يَحْوي في الخَفاءِ خَفَايَا.
ما فَاتَ مَاتَ فلا تَعِشْ مُتحسراً ... مَازَالَ في الأيَّامِ بعضُ خَفَايَا.
وطَفِقْتُ أشْكُو زَلَّتي وإسَاءَتي ... لله لَيْسَ لِغَيْرِهِ شكْوَايَا.
رَبَّاهُ نُورُ الكونِ أنتَ على المَدَى ... ورضَاكَ يارَبَّاهُ أنتَ مُنَايَا.
إذْ مِنكَ عَونِي أسْتَمِدُّ وَقُوَّتي ... ولأنْتَ آمَالي وأنْتَ رَجَايَا.
وعليكَ تُكْلي ياإلهي دائمًا ... فَضْلاً أجِبْ رَبَّ السَّمَاءِ دُعَايَا.
إنِّي تركتُ الخَلْقَ كُلَّهُمُ إلى ... سَاحَاتِ عَفْوِكَ أنتَ يامَولايَا.

شُبيك لُبيك..

طريق الإعلام السريع بين يديك

د. صلاح يحياوي

ياأيها الناس اسمعوا وعُوا... وليعلم الحاضر الغائب بأننا قد بلغنا «عصر الإعلام الجديد»، أو «عصر الثورة الرقمية»(١)، ... لقد تم تعبيد «الطريق الإلكتروني السريع»، وشُرع في تعبيد «طريق الإعلام الفائق السرعة»(٢).

لقد تداخلت الذبذبات والصفقات بين الهاتف(Telephone) والكبل(Cable) والحاسوب(Computer) ووسائل الإعلام الضخمة عن الأعمال، في الصحف اليومية. إن هناك شيئًا يحدث على شفير هذا المد المجتمعي والاقتصادي.

نعم!.. لننعم النظر في الأمر أولاً فاصلين الحقيقة من الخيال المثار. سيشهد العالم عما قريب عدداً متزايدًا من محطات الكبول أو الكبلات، سيصل هذا العدد إلى نحو ٥٠٠ شبكة من شبكات التلفاز التجاري.

وفي الواقع... سيكون في متناولكم خلال عقد من الزمان شراء ماترغبون فيه، والإتيان بدار السينما إلى حيث أنتم..، وستتوافر لكم أنماط أخرى من الإعلام حسب الطلب على التلفاز التفاعلي(Interactive T.V)، هذا التلفاز الذي سيكون بالفعل تركيبًا مؤتلفًا من تلفاز وهاتف وحاسوب يمكن التحكم به من علبة توضع فوقه، وماهذا التلفاز التفاعلي في الحقيقة إلا حاسوب جبار يتميز عن الآلات الحالية بكونه أسهل استعمالاً. إنه أقل من حاسوب وأكثر من حاكوم (جهاز تحكُّم عن بعد)(Remote Controle) بجهاز التلفاز في يومنا هذا. إنه يقدم لكم قائمة اختيارات... أترغبون في رؤية فيلم سينمائي مُعيّن؟ أم في شراء ملابس؟ أم في إنجاز أعمالكم المصرفية؟ أم في مشاهدة برنامج في التلفاز عُرض البارحة وفاتكم مشاهدته لانشغالكم بأمور أخرى؟ كل ذلك سيكون جاهزًا في متناول أيديكم مقابل ثمن!..

وبعد عقد تال آخر سيبدأ المشهد وكأنه من علم الخيال!.. هل أنتم مستعدون لخوض شكل من واقع تقديري؟.. أي من تظاهرة حاسوبية يتم التعرض لها عبر إطار علوي ونظارات وقفازات تحسُّسيَّة تتيح للمستعمل أن يشعر وكأنه حاضر في مكان آخر..

سيتيح لكم هذا الإطار العلوي التقديري الواقع أن تشعروا وكأنكم مثلاً في السوق التجارية، أو في مسرح الريحاني تشاهدون أحدث المسرحيات المعروضة، أو أن تزوروا أولادكم وأسركم على بعد آلاف الكيلو مترات.

لاتزال التقانة متخلفة طبعًا عن الخيال العلمي، ولايزال الجيل الأول لهذه

الأجهزة والأسس المعقدة اللازمة لعملها في ثنايا مستقبل يبعد عنا عدة سنوات؛ وسيكون الثمن وسهولة الاستعمال هما العثرتين في تطوير نسق رفيع ومتميز.

إن هذا المد الإعلامي، إذا ما أُنجز وتم تداوله على نحو صحيح، سيمكننا من مصادر جديدة واسعة من المعرفة، وذلك بشبكة(Net Working) نفيد منها في وقت العمل كما نفيد منها في وقت الفراغ عبر حاسوب على الخط(ON-Line)؛ وسيمكننا من ولوج دور تخزين إلكترونية ضخمة للإعلام لاتزال حتى الآن رابضة في جناحٍ قصي، ومن دخول مكتبات ليست في المتناول على سطح المعمورة. وسيمكننا بواسطة الهاتف الرؤيوي(٤) من التواصل آنيًا بالصوت والصورة والنص مع زميل عمل أو مع محبوب على بعد آلاف الكيلو مترات. إن ذلك لهبة من الله إلى الناس الذين - وهم في منازلهم - يرغبون في شيء، أو يحتاجون إليه سواء أكان شراءً أم عملاً أم تسلية؛ ولن يقف دونهم أو يعيقهم مرضٌ أو كسلٌ أو حركة مرور غاصة وقت الزحام ﴿عَلَّم الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَم﴾ (العلق:٥).

إن أسلوب التواصل هذا بين الناس هو - على ذلك كله - سلاح ذو حدين، إذ إن هناك إلى جانب الفوائد تساؤلات جدية حول «الخصوصية» والمراقبة والتنظيم والمحتوى والنفوذ إلى ذلك المحتوى!... فعلام سنحصل من مئات القنوات هذه؟!..

إن الاختيارمن بين ضروب من العروض المسبقة التحديد ليس هو - في واقع الأمر - حريةً!.. إذ تكتنف هذا الحد الأسئلة والتحديات نفسها التي اكتنفت الحدود الحقيقية التي سبقته في التاريخ.



هل سيتحكم مالكو منظمات الإعلام (كمنظمات التواصل الصحافي والإذاعي والسينمائي والإعلاني وشركات الكبلات) بأصقاع واسعة من الممتلك الثقافي والأعداد الضخمة من القنوات التي ترسل فيها؟.. أم هل سينقسم هذا الحد الإلكتروني إلى قطاعات صغيرة يمتلك كل مالك واحدا منها؟ أي يمتلكه كلٌ منا؟.. هل سأكون قادراً على إنتاج فيلم سينمائي، أو إصدار مجلة تستطيعون شراءها بمجرد أن تهتفوا إلى رقم خاص كي يوصلوها بعلب بريدكم الإلكترونية(٥)، أي على عناوين شبكات حواسيبكم حيث يلتقط الناس الرسائل الموجهة من مستعملي حواسيب آخرين؟..

هل ستكون هناك أية وكالة تفحص ماقمت أنا به وتراقبني؟..

هل ستكون التقانة من رخص الثمن بالقدر الذي يتيح لكم القيام بذلك؟أو هل سيؤول النسق - الذي هو الآن مجرد نسق نظري - إلى مصارف (بنوك) معطيات تمتلك ملايين الدولارات فقط؟ ولاتستطيع امتلاكه وتشغيله إلا أغنى الشركات؟..

هذا ويتربص بالحصول على هذه البرمجة المفصلة على القياس جانبٌ سلبي أيضا، وذلك فيما يتعلق بالخصوصية. فلكي تجلبوا مثل هذه الخدمات المشخصة إلى غرف جلوسكم ينبغي للنسق ولأولئك الذين يتحكمون به أن يعرفوا الكثير عنكم. وبذلك العالم من الإعلام فإن على الحواسيب التي تدعكم تتحركون بسرعة


الخصوصية، هل تنتفي في ظل التقدم التقني؟

عبر السوق التجارية على الرائي أن تعرف في أي مخزن أنتم، وأين أنتم عازمون على الذهاب. إنها ستتذكر ماتتطلعون إليه وماتشترونه، وبإمكانها أن تعرف محتوى أكثر محادثاتكم الشخصية، وأكثر صفقات أعمالكم حساسية. وسيكون ذلك الإعلام متاحًا لأي شخص كان، يمتلك المعرفة والمال ولايساوره أدنى ريبة أو وخز ضمير في الحصول عليه.

إن ربط جميع قواعد المعطيات معًا سيعني أن الخصوصية النسبية التي تتمتعون بها الآن ستنتهي!.. وستكون بطاقات أرصدتكم مكشوفة لكل من يرغب في تمحيصها.

يقول نيكولاس نغروبونت NEG-ROPONTE مدير "MASSACHUSETTS INSTITUTE OF TECHNOLOGY'S MEDIA LABORATORY" "إننا نفشي بخصوصياتنا كل يوم في الحياة لشخص نثق به أو من أجل مهمات منتدبة. إننا نرهن الخصوصية على علم منا، مُوازنين بين الربح والخطر. وتختلف الحواسيب من حيث عدم معرفتنا في أحوال كثيرة بأننا قد قدمنا إعلامًا كهذا، وأن استعمال هذا الإعلام قد يكون مروعًا. علينا أن نجعل تبادل الإعلام واضحًا جليًا، وأن نتحكم بمحله الهندسي".

وكما أن الإبراق يتخطى المسافات، والهاتفَ يفضح خصوصيات الدار، كذلك الحال مع منظمات الإعلام والحواسيب والكبلات والهواتف التي تتزاوج مع الهاتف الخلوي والتابع وتقنيات الإرسال بالأمواج الصُّغْريَّة MICRO-WAVES إن هذا التزاوج ـ سيقلص العالم إلى راحة يدكم، اليد التي تستقر فيها نبيطة (جهاز) التحكم عن بعد بتلفازكم أو سماعة هاتفكم.

هذه هي السلطة، من أجل الخير ومن أجل الشر. ولاتزال الطرائق التي يستطيع بها المجتمع أو يتوجب عليه أن ينظم بها هذه السلطة طرائق غير مُعرفة على نحو شامل.

ويعلق ميشيل كابور KAPUR رئيس ELECTRONIC FROUNTIER FOUNDATION على ذلك بالقول: "لايكفي أن تكون هناك قوانين تنص على حفظ خصوصيات الناس فيما يتعلق باستعمال الإعلام عنهم، إن ذلك ضروري لكنه غير كاف. كما أن علينا أن ندعمه ببعض التقنية. إن من حق الناس الاحتفاظ بخصوصياتهم؛ وعليهم أن يتحكموا بالمدى الذي ستنكشف به هويتهم؛ لذلك ينبغي بناء هذه التحفظات في النسق.

كما يعتقد كابور اعتقاداً راسخًا في حق الدخول إلى النسق. لقد كان أقطاب الصناعة في العالم يمتلكون الخطوط الحديدية على الحدود الخاصة وذلك خلال مايزيد على قرن، وامتدوا فامتلكوا قنوات التواصل والتجارة، أما الأقزام فلم تحظ بالفرصة، ثم جاءت السيارة وغيرت كل ذلك واضعة النقل في متناول الجميع. إن شركات الكبل والهاتف ومنظمات الإعلام التي تتشبث من أجل التحكم، تحكمًا شبيهًا بتحكم الأقطاب، قد تنتصر في النهاية أو تفشل على طريق الإعلام السريع؛ وقد تغدو السيارة الإلكترونية رقاقة بحجم ساعة اليد ولها من القدرة مايعادل قدرة أقوى حواسيب اليوم.

إن هناك ـ كما هي الحال في الحدود الجديدة ـ بشائر نجاح ونُذُر خطر في انتظارنا على طول طريق الإعلام السريع، غير أن أمرًا واحدًا هو أمر ثابت ألا وهو: «إن هذه التغيرات في التقانة ستؤثر فينا جميعًا».

الهوامش:

(١) الرقمي THE DIGITAL: نسق تخزن به المعطيات وترسل وفق الرقمين واحد (1) وصفر (0) من أجل السرعة والنجاعة.

(٢) طريق الإعلام الفائق السرعة INFORMATION SUPER HIOHYLAY: شبكة لم تر النور بعد من خطوط كبل وهاتف توصل مقادير جديدة وواسعة من الإعلام مباشرة إلى منازل المستهلكين.

(٣) الشبكة NET/WORKING: تقانة تصل الحواسيب بمواضع مختلفة متعددة تُمكِّنها من التواصل فيما بينها.

(٤) نظام الهاتف الرؤيَوي VIDEO TELEPHONY: الهواتف التي تذيع الصور مع الصوت.

(٥) علبة البريد الإلكترونية ELECTRONIC MAILBOY: العنوان على شبكة الحاسوب حيث يلتقط صاحب الحاسوب الرسائل المرسلة إليه من قبل مستعملي حواسيب أخرى.

دراسات في أدب الجزيرة العربية (٦)

مع أبي دَهْبل الجمحي في رحلته الشعرية من مكة المكرمة إلى البرك (٠٠٠ - ٦٣هـ)



د. عبد الله بن محمد
أبو داهش

ترتبط شخصية الشاعر أبي دهبل الجمحي(١) (٠٠٠ - ٦٣هـ) بعوامل متينة ساعدته «لأن يصبح شخصية لامعة في عصره، فهو سيد من سادات جمح، وشريف من أشرافها، ووالٍ من قبل ابن الزبير على بعض مدن اليمن، وقد تمرد على الأسر الحاكمة، بالإضافة إلى كونه من شعراء قريش الخمسة المشهورين(٢)، ناهيك عن المكانة التي كان يحتلها عند ولاة زمانه.

وليس هذا وحسب مايعنينا في هذه الدراسة المختصرة، وإنما الذي يعنينا هنا قصيدته الميمية المشهورة التي أدت دورًا خطيرًا في إذكاء همم الشعراء، واستحسانهم لها، إذ ظلت ميدانًا رحبًا يتعارضون فيه القريض، وبخاصة المتأخرين منهم، ونزيد على ذلك حقيقة ما صدر عنه الشاعر في تلك القصيدة من تهويل، ومبالغة، فلقد أفاض خياله عليه بتلك الرؤى، مما جعله يخرج في قوله عن المألوف من قدرات البشر وإمكاناتهم، وصدق الله العظيم إذ يقول في وصف الشعراء: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ (الشعراء: ٢٢٥، ٢٢٦) حيث قطع الشاعر رحلته بخياله الشعري في ليلة واحدة، على حين أنها تُقطع من مكة إلى البرك في خمسة أيام (٣)، يقول أبو دهبل:

ألا علق القلبُ المتيم كلثما
لجاجًا ولم يلزم من الحبّ ملزما
خرجت بها من بطن مكةَ بعدما
أصاتَ المنادي للصلاة وأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتد سامر
من الحي حتى جاوزت بي يَلَمْلَما
وَمَرَّتْ ببطن الليث تهوي كأنما
تبادر بالإصباح نهبًا مقسما
أجازت على البزواء والليل كاسر
جناحيه بالبزواء وردًا وأدهما
فما ذرّ قرن الشمس حتى تبينت
بعليب نخلاً مشرفا ومخيما
ومرت على أشطان دوقة بالضحى
فما خزرت للماء عينا ولا فما
وما شربت حتى ثنيت زمامها
وخفت عليها أن تخزَّ وتكلما
فقلت لها: قد تعت غير ذميمة
وأصبح وادي البرك غيثًا مديّما(٤)

ولقد تنبه لهذا التهويل والمبالغة بعض مَنْ يقدِّر حقيقة هذا القول، يقول ابن معصوم: «حدث موسى بن يعقوب قال أنشدني يومًا من الأيام أبو دهبل قوله [وأورد القصيدة]، قال: فقلت له ما كنت إلا على الريح فقال: يا ابن أخي إن عمك كان إذا همّ فعل، وهي العجاجة...» (٥)

إذا وعينا هذا الجانب وجب علينا العلم أيضا بأهمية هذه الأبيات على الرغم مما وقع فيه محققها من التحريف، وعدم ضبط المواضع والمنازل بما هي أهل له، فإذا

كان قد وقع ذلك فإنما يدل على عدم معرفة أولئك المحققين البعيدين عن بلدان هذه الجزيرة العربية بحقيقة بلدانها، وإلا فتلك المواضع ماثلة في أماكنها حتى اليوم، ومَنْ منا لم يسمع بـ «يلملم»، «الليث»، «البزواء»، «عليب»، «دوقة»، «البرك»، ومهما يكن الأمر فإن من أهمية هذه الأبيات أنها تعد سجلاً حقيقيًا للمواضع المعهودة على طريق الحاج الذاهب لمكة المكرمة، كذلك تبرز أهمية ما انطوت عليه من ألفاظ فصيحة لاتزال عامرة في لغة التهاميين حتى اليوم، مثل: لفظي: ذرّ، تعت، وغيرها، فضلاً عن حسن النسق اللفظي في هذا القول الشعري المناسب.

ولكي نكون أكثر واقعية للدرس الأدبي، فإنّ ما كنّا قد أشرنا إليه في صدر هذا الحديث من أنّ هذه القصيدة قد أثّرت في كثير من الشعراء المتأخرين، ودعتهم للمعارضة، فإنما يتحقق ذلك فيما ورد في كتاب سلافة العصر لابن معصوم من معارضات لهذه القصيدة يقول هذا المؤرخ نفسه: «ولها أخوات أخر سيأتي كل منها في محله»(٦)، مما يدل على افتتان المتأخرين بهذه القصيدة، وكثرة معارضتهم لها، ومن أولئك: الشاعر محمد بن حسن بن شدقم الحسيني الذي يقول:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما
أصات المنادي بالصلاة فأعتما
فأرّج أرجاء المعرّف عرفها
وأضوى ضياها الزبرقان المعظما
وحيا محياها الملبون وانتشر
بنشر محياها الممنع واللمى(٧)

ومنهم أيضا الشريف المرتضى الذي يقول في شأنه ابن معصوم: «وهذه أبيات الشريف رحمه الله التي اقتفى السيد أثرها، قال رحمه الله تعالى في كتابه الدرر والغرر: ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبل:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما
أصات المنادي بالصلاة فأعتما

وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه... فقلت في الحال:

فطيَّب رياها المقام وضوّأت
باشراقها بين الحطيم وزمزما
فيارب ان لقّيت وجها تحية
فحيي وجوها بالمدينة سهما»(٨)

ومن أولئك أيضا ابن معصوم نفسه الذي يقول: «وقلت أنا ناسجًا على هذا المنوال»(٩):

وأبرزتها بطحاءَ مكة بعدما
أصات المنادي بالصلاة فأعتما
فضوأّ أكناف الحجون ضياؤها
وأشرق بين المأزمين وزمزما»(١٠)

ومثل أولئك الشعراء: الشيخ أحمد الجوهري الذي أسهم أيضا بقصيدة مماثلة أخرى(١١).

قلت: لم تنل القصائد الأخيرة شأو قصيدة أبي دهبل، لما فيها من ضعف وابتذال، فقد كان حديث الجمحي ظاهراً في مسير ناقته، على حين صرف الآخرون شعرهم إلى غير ذلك، مما جعل الباحث يلمس حقيقة واقع الأدب الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، وما أصابه من وهن، إذ تلوّن بمظهر الضعف، واكتسى بحال الترف والنعيم اللذين أصابا الأدب في هذا المجتمع مما جعله بالفعل صورة للأدب في الشام ومصر مصدري إشعاع الحركة الأدبية يومذاك، ولاغرابة في ذلك فالحجاز قبلة الناس ومهوى أفئدتهم لوجود الحرمين الشريفين، ولكونه يستمد نشاطه الأدبي من تلك البلاد، وهذا بخلاف تهامة واليمن لما لهما من ومضات أدبية مقبولة، ومع ذلك تظل قصيدة أبي دهبل رمزًا ظاهرًا لتفوق الشعراء السابقين الأوائل، ومدعاة للمحاذاة والتقليد، فهي بحق رحلة شعرية خيالية، تبعث الاهتمام، وتثير الإعجاب، بسبحاتها الخيالية وحسن تكوينها، وما انطوت عليه من أخبار.

الهوامش :

(١) انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي ١٢٥/٨، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) ديوانه، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن، ط١ (١٣٩٢هـ /١٩٧٢م)، ص١٨.

(٣) المحسن بن عبد الكريم الصنعاني، «أرجوز الحج»، تحقيق أحمد بن محمد الشامي، العرب، ح ٥، ٦ س٢٩، (ذو القعدة والحجة سنة ١٤١٤هـ) ص٣٢٤.

(٤) ديوانه ١٠٦، وقد كانت وفاة الشاعر بعليب سنة ٦٣هـ.

(٥) سلافة العصر، ط١، الجمالي، والخانجي، مصر (١٣٢٤هـ /١٩٠٤م) ص٢٥٢.

(٦) المصدر نفسه ص٢٥٢.

(٧) المصدر نفسه ص٢٥٠.

(٨) المصدر نفسه ص٢٥١.

(٩) المصدر نفسه ص٢٥١.

(١٠) المصدر نفسه ص ٢٥١.

(١١) المصدر نفسه ص٢٥٢.

كارلا بارتل

من عالم السينما إلى رحاب الإيمان

لم يكن ينقصها شيء من متاع الدنيا ومتعها، إذ توافرت لها أسباب السعادة الدنيوية بصورها المختلفة، من صحة ومال وشهرة، فأينما سارت كان المعجبون والمعجبات يحيطون بها، مُلحّين في طلب توقيعها، وسعيد الحظ منهم مَنْ تَجود عليه بابتسامة.

بالرغم من كل ذلك كانت الممثلة الألمانية كارلا بارتل تفتقد السعادة، وتحس بأن شيئًا ما ينقصها، شيء يجعل لحياتها المعنى الذي تنشده، بعيدا عن زيف الشهرة، وغدر المال، وشيخوخة الصحة التي ستأتي يوما لاريب فيه، يتلوه انفضاض المعجبين.

أسئلة محرجة

وُلدت كارلا لأبوين نصرانيين، لقناها في طفولتها مبادىء المذهب الكاثوليكي وتعاليمه، لكنها لم تقتنع يوماً بالكاثوليكية ولا بالنصرانية بعامة، إذ كانت - مثلاً - تسأل أبويها حين يحدثانها عن قصة افتداء السيد المسيح عليه السلام لخطيئة البشرية - كما يزعم النصارى - ولماذا لم يفعل آدم - عليه السلام - ذلك ويفتدي خطيئته بنفسه؟!

ولطالما أقلقت والديها بهذا السؤال وأسئلة أخرى تكشف زيف عقيدة التثليث، والتحريف الذي حدث للنصرانية، وتبين أن الطفل بذكائه الفطري، ونظرته السليمة قادر على أن ينطق بالحكمة أكثر من بعض الكبار، وكان أبواها يجيبانها بإجابات مبهمة، تزيد تساؤلاتها اشتعالاً، ثم يضطران إلى إسكاتها بقطعة حلوى تتلهى بها عن أسئلتها المحرجة.

في دنيا السينما والمشاهير

أحبت كارلا - منذ طفولتها - عالم السينما، وسبحت بخيالها نحو أضوائه المبهرة، متخيلة نفسها واحدة من نجومه الكبار، وحين شبت عن الطوق، عمدت إلى تحقيق حلمها، عبر دراسة التمثيل في برلين عام ١٩٢٤م ومثلت على مسارحها، كما شاركت في نحو خمسة عشر فيلماً، أربعة منها في هوليوود عاصمة صناعة السينما ومعقلها.

وكانت سعادتها غامرة حين تحقق لها النجاح في عملها السينمائي، وصارت نجمة تشارك النجوم والنجمات - الذين طالما أعجبت بهم - سهراتهم وجلساتهم، والأضواء مسلطة عليها، لكنها بدأت - بمرور الوقت - تكتشف المرض الكامن في ذلك المجتمع المخملي، القائم على بريق الشهرة الزائف، فيما يخفي نجومه بؤسهم الروحي خلف ابتسامات مفتعلة، ويعالجون انهزامهم الداخلي بالإغراق في المسكرات والجنس، وغيرها من الموبقات التي تزيد المريض مرضاً.

إحساس بالضياع

لقد كان عالم النجومية بصخبه وتفاهاته وانحرافاته، عاملاً مؤثراً في تنامي إحساس كارلا بالضياع، فالأضواء المسلطة على النجوم، ومتابعات الصحافيين لهم، والنظرات البلهاء التي يرمقهم بها المعجبون في كل مكان، وأينما ساروا، تجعلهم يحسون بأنهم في قفص زجاجي، وأنهم وحيدون رغم كثرة الناس حولهم، لايجدون مَنْ يزرع الابتسامة على شفاههم، فيما عملهم أن يرفهوا عن الآخرين!

كانت تحس أن نجاحها في السينما لم يحقق لها شيئا، بل - على العكس - زادها اغتراباً عن ذاتها، فالناس ينظرون إليها كدمية يتسلون بها، وليس كإنسانة ذات مشاعر وأحاسيس.

حلقة مفرغة

وهكذا وجدت نفسها تدور في حلقة مفرغة، فالشهرة التي ظنت أنها ستجد فيها سعادتها، جعلتها سجينة، لاتستطيع أن تختلط بالآخرين، وفي الوقت نفسه لايمكنها أن تبتعد عنهم، والأدهى عجزها عن ممارسة حياتها كإنسانة عادية، ففضول الناس يتبعها حيثما سارت.

ووجدت المال يشتري - بالفعل - كل شيء إلا المشاعر الصادقة وراحة البال، وهما أثمن من كل كنوز الأرض، فاشتد إحساسها بالفراغ الروحي، وبدأت في مراجعة نفسها، والبحث عما ينقصها، بعدما أدركت أن الهروب من مواجهةماينغص بالها، لن يفيد، بل سيؤدي إلى تفاقم حالتها.

هروب

وصل النازيون بزعامة أدولف هتلر إلى الحكم في ألمانيا، ومع وصولهم بدأت البلاد تموج بشعارات جديدة، أقل ماتوصف به أنها لاإنسانية، إذ أن ذلك العريف الذي صار رئيس

دولة. كان عقله مشحوناً بأفكار دامية، مالبثت أن تركت آثارها على أبناء شعبه، الذين انقسموا إلى مؤيد بلاحدود، ومتحفظ، ومعارض خفاء.

زادت أفكار النازية واختيارها الصليب المعقوف شعاراً؛ من إحساس كارلا بالضياع، والنفور من النصرانية، وأرادت مغادرة ألمانيا، بعدما صارت تتبنى شعارات الفاشيست، وتفرق بين الأجناس والأعراق، لكنها اصطدمت بوجود قرار لهتلر عام ١٩٣٤م بمنع مغادرة الألمان لبلادهم وفي حوزتهم مال، ولم يكن بوسعها أن تسافر دون مال، فمن أين لها بنفقات السفر والإقامة من مسكن ومأكل ومشرب؟

البحث عن الحقيقة

جاءها الفرج من خلال أحد معارفها الذي توسط لدى الزعيم الإيطالي الفاشيستي موسوليني، وعن طريقه تمكنت من الحصول على إذن بمغادرة ألمانيا، حيث اتجهت إلى تونس، ولاقت هناك مضايقات من الفرنسيين باعتبارها من رعايا عدوتهم اللدود ألمانيا، فتركتها إلى مصر.

كان قدومها إلى قاهرة المعز بداية انعتاق روحها، إذ وجدت روحها مشدودة إلى صوت المؤذن وهو يرتفع داعياً المسلمين إلى الوقوف في حضرة خالقهم، وأداء الصلاة، خفقت جوانحها وهي تنصت للمقرىء يتلو القرآن الكريم بصوت عذب، حقيقة أنها لم تفهم - وقتها - مايقوله، لكنها استشعرت بقلبها أن هذا الصوت المفعم بالإيمان يقرأ كلام الله.

إشهار إسلامها

أحست كارلا حين سمعت القرآن الكريم أنها مسلمة منذ زمن، وتنامى لديها هذا الإحساس وهي تطوف أحياء القاهرة القديمة بمساجدها ومآذنها العتيقة، وجوها الروحي.

كانت تتجول في الشوارع والأزقة، وتتحدث مع الناس، لتزيد معرفتها بالإسلام، وشدها ماوجدت عليه المسلمين من بساطة وتلقائية وشهامة، فازدادت بعدا عن النصرانية وقربا من الإسلام، ومالبثت أن حزمت أمرها، بعد أن وقر الإيمان في قلبها، وأشهرت إسلامها.

الحياة في ريف مصر

بعد أن منَّ الله على كارلا بارتل بنعمة الإيمان، قررت السفر في مناطق مصر، بغية التعرف أكثر على الإسلام من خلال مخالطة أهله، فقضت فترة في صحراء سيناء، وعاشت مع الفلاحين في ريف مصر، وتعلمت من بساطتهم مدى سماحة الدين الإسلامي، الذي جعل علاقة العبد بربه علاقة مباشرة لاتحتاج إلى وساطة أو كهانة، وأكسب روح المسلم قناعة تجعله يرضى بما قدر له الله من رزق دون سخط أو تذمر، فمع أولئك الفلاحين البسطاء اكتشفت أنهم - رغم بساطة حياتهم - يعملون بحماسة ورضا، وعلامات البشر تشرق على محياهم، وازنت بين تلك السعادة التي تعشش في بيوت القرية المسلمة رغم شظف العيش، وبين البؤس المسيطر على البيت الغربي، الذي لم ينفع المال أو الرقي الحضاري في التغلب عليه.

أدركت وقتها أن السعادة لايشتريها المال، بل الإيمان بما قدَّر الله هو طريق الإنسان إلى تحقيق سعادته في دنياه وأخراه.

في السعودية

قضت كارلا مدة من الزمن في الريف المصري، عادت بعدها إلى برلين، ومنها انطلقت إلى فنلندا، حيث وضعت كتابا عنها، وكان لابد لها وقد أسلمت أن تزور الأراضي المقدسة، ومالبثت أن حققت هذه الأمنية، حيث حضرت إلى المملكة العربية السعودية وقضت فيها قرابة نصف العام في ضيافة أسرة سعودية احتفت بها، وعلمتها أشياء كثيرة عن الإسلام لم تكن تستوعبها.

كانت أيامها في السعودية أشبه بحلم جميل، حيث وجدت فيها ماسبق أن اكتشفته في المجتمع المصري المسلم من ترابط الأسرة، واحترام الصغير للكبير، والحنو على الصغار، وهو مالم تجده في مجتمعها الأوربي، الذي تحكم المادة علاقاته.

الرد على التخرصات

لقد عملت كارلا جهدها بعدما تركت المملكة العربية السعودية على توضيح حقائق الإسلام لمن تعرفه، وبالذات موقفه من المرأة، تلك النقطة التي كثيراً ماسعى المغرضون والمستشرقون إلى الطعن في الإسلام بواسطتها من خلال تحريف مبادئه، وتقديمها إلى العامة في صورة مشوهة.

إلا أن المهتدية الجديدة التي لبست غطاء الرأس، وعاشت مع المسلمات زمنًا، ودرست الإسلام بعناية واهتمام، كانت حريصة على أن تؤكد لأبناء جلدتها من الأوربيين أنه لاتوجد شريعة أعطت المرأة حقها مثل الشريعة الإسلامية، التي أعادت للمرأة إنسانيتها، وسمت بها عن أن تصبح سلعة تعرض على الرجال ماأمر الله بستره، وحافظت على أنوثتها من مهانة التعري، وجعلت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها أو وليها، وهو مالم تبلغه حتى اليوم نساء أوربا اللواتي يتشدق الغرب بأنهنَّ يحصلن على مساواة كاملة بالرجل، فيما يستغلهن الرجال أسوأ استغلال تحت دعوى المساواة المزعومة.

وترى كارلا أن مستقبل الإسلام في أوربا يبشر بالخير، حيث يزداد يوماً بعد آخر إقبال الأوربيين على اعتناقه، بالرغم من الظروف غير المواتية المحيطة بالبلدان الإسلامية من تخلف اجتماعي واقتصادي، ومظاهر الضعف والتفرق.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :
د. صالح بن سعد اللحيدان

صحيح البخاري

هل جمع الإمام البخاري في صحيحه كل الصحيح ؟

براك . س. م - الكويت

لم يجمع الإمام البخاري كل الأحاديث الصحيحة ، بل لعله ترك الأكثر، وجملة مادونه فيه سبعة آلاف ومئتين وخمسة وسبعين حديثاً مع غير المكرر، وكل مادونه في الصحيح (٤ جـ) ويعم أحكام العبادات والمعاملات، وهو مع صحيح مسلم يلزم كل متعلم وعالم ومحب للعلم أن يقتنيهما، وأقول يلزم وأعني ماأقول، وإذا صاحبهما الموطأ ومسند أحمد والسنن الأربع كان هذا نوراً على نور.

خروج الدم من الحامل

هل الحامل يمكن أن يخرج منها دم ؟

هيفاء اللحيدان - الرياض

نعم لكن حكمه يختلف عن دم الحيض، وهذا يتوقف على مدة الحمل هل جاءها وهي في الأول من الحمل ، أو الشهر الثاني أو الثالث - والمقصود أنه وضع يختلف عن الدم الآخر - يصلك جواب خاص بشأنه ، وبشأن دم النفاس أثناء الحج، وكيفية فك الرهن، وعلاج استمرار تساقط الشعر .

سير الشمس في محورها

هل الشمس تسير شرقاً متجهة إلى الغرب ؟

سالم .س . م - لندن

الشمس تجري متجهة نحو محور دائري طويل الأمد، واسع الدوران، وبحكم هول لهب الشمس، وعظم حرارتها المباشرة لم يتمكن العلم بعد من رصد حقيقتها على وجه قاطع، إنما هي اجتهادات فقط.

واتجاه الشمس -والله أعلم- هذا بحكم موقع الناظر إليها من الأرض، كحال النجوم السيارة، ولك أن تتصور عظمة الخلق الذي تعتبر الشمس جرماً صغيراً فيه، لك أن تتصور هذا، ومسأله سيرها وجريانها هذا جزء مما يتضمنه هذا الخلق العظيم.

وكونها تسبح في هذا : الكون الهائل، وكذا: المشتري، والزهرة، وعطارد، فهذا وحده جليلة عظيمة لعظم خالقها ومدبرها.

والقول بأن الجاذبية هي التي تمسك هذه الاجرام، تفسير خاطىء علمياً، والقوم يؤمنون به لكنهم لم يفرقوا بين : السبب والعلة، لكن يكفي دقة هذا النظام ونظام جريانه وفوائده، ومواقعه في هذا الكون ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (لقمان : ١١)

متى يسقط الحج عن البالغ ؟

هل يسقط الحج عمن مات قبل بلوغه خمسة عشر عاماً ؟

طلال بن مضحي . م. ل ـ قطر

إذا كان لم يبلغ بعد فلا حج عليه، أقول هذا لأن بعض الناس قد يبلغ وهو في الثالثة عشرة بسبب تقدم الفحولة لديه، من كونه قد أنبت شعر الأبطين والعانة، أو قد أنزل.

لكن إذا كان لم يستطع الحج بسبب شرعي، ولم يتمكن قريب له من أدائه عنه، فهنا يسقط عنه الحج، والله أعلم.

التلبس بالجن

الجن خلق من خلق الله تعالى، لكن كيف يتمكنون من: دخول جسد الإنسان؟

داود .م.م.م. أ - انديانا - أمريكا

قد أجمع المعتبرون علماً وعقلاً وواقعاً على ماذكرت من خلق الجن، ودون هذا في كثير من الأسفار، وتراجم حضارات الأمم -قديمها وحديثها- فلم أر من أنكر خلقهم الذي يقتضي وجودهم، وقد جاء ذكرهم في الكتاب والسنة، وسطر عنهم كتاب: "أحكام الجام في أحكام الجان" أشياء كثيرة، كذا : ابن تيمية في فتاواه الجليلة .

وإجابة عن السؤال المطروح فإن الجن خلق لطيف الجسم يتشكل -باذن الله تعالى- حسب طبيعة خلقه من: طير، وحيوان، وزواحف، ومنهم الذين يقطنون مع الناس، ومنهم مَنْ يقطن البراري، ومنهم الذي ينتقل وهو: الهوائي .

والذي يمس الإنسان هو : الهوائي فقط، لكن الذين يتشكلون، والذين يقطنون البراري، يؤذون فقط من يتعرض لهم، وكثير منهم مسلمون ، وهم قبائل لهم ملوك وسادة .. الخ، وكونهم يدخلون جسد الإنسان لاغرابة فيه فقد دل العلم الحديث واكتشف نوعاً من الدود المستطيل يصل طوله قرابة نصف متر وأحياناً يخرج هذا من الشرج من الذين يعانون الدستاريا الأميبية.

ويوجد في الدم جراثيم، وكذا : القولون، والكبد، والرئتين، والقلب، فمادام هذا قد حصل فلماذا يتم إنكار دخول الجن في الجسم، لاأدري؟ وهل يستطيع مثل هؤلاء إنكار: الكهرباء، والأثير، والمغناطيس!! لايستطيعون مع أنهم لم يقدروا بعد على بيان ماهية الكهرباء .. الخ، إن هي إلا الآثار.

والذين يترجمون دخول الجن بأنه مرض أعصاب لم يُفرِّقوا بين المرض النفسي والعصبي والعقلي والمس ، ولهذا نجد الممسوس في المصحات النفسية، يطول بقاؤه جداً، وقد يموت بعد طول مكث، وقد يصل به الأمر إلى درجة كبيرة من تمكن الجن منه، وهذا يعود إلى الجهل بحقيقة: "مس الجن للإنسان" ويحاول الأطباء تبرير مس الجن بمرض "الشيزفرنيا" الشديدة أو العصاب الشديد ..الخ.

وهذا شيء يؤسف له جداً، وأدعو من هذا المنطلق إلى ضرورة تدريس: فقه أحكام المس، والعين في كليات الطب النفسي، حتى يتم الوقوف على الحقيقة كاملة لأن من جهل شيئاً عاداه، ومن لم يعرف شيئاً قد ينكره.

الوضوء ومس المرأة

ماحكم مس المرأة بعد الوضوء ؟

صالح . م. ل - الدرعية

لابأس به ولاينقض الوضوء إلا إذا صاحبه شهوة، أو سبَّبَ إنزال المذي، والله أعلم .

تقديم القريب في الوظيفة

إذا قدمت قريبي في الوظيفة على غيره فهل هذا ظلم ؟

ف. س. س. ن. أ - جدة

إذا كان قريبك هذا أهلاً لها تمكناً وعقلاً وأمانة، ولاضرر على غيره فلابأس إن شاء الله ، فإن حصل ضرر على الغير وهضم للحق فهذا ظلم مبين .

وأفهم من السؤال أنك (قدمت) بمعنى أنك قدمت هذا القريب على غيره، وهذا ظلم مقصود يخشى منه ذهاب عملك أنت، أو الذي قد يحصل منه هذا فتنبه.

تسلسل الصلاة

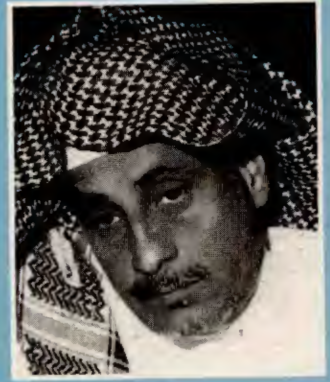
رجل دخل الظهر ووجد الجماعة يصلون العصر فهل يصلي العصر ثم بعد ذلك الظهر منفرداً ؟

أ.ن. م. ل - دمشق - سورية

هذا مما وقع فيه خلاف بين أهل العلم حتى اليوم ، والذي أجتهد فيه حسب فهمي للسوابق أنه إذا دخل صلى الظهر أولاً ثم صلَّى العصر بعد ذلك، وهذا يقتضيه الترتيب العلمي الذي ورد به الكتاب وفعله الرسول صلى الله عليه وسلم. والله أعلم .

الفقي والإباء العنيف (٢)

بين الألم والتشاؤم



بقلم:
د. حسن بن فهد الهويمل

إن تساؤلات عدة تَظَلُّ قائمةً، حتى مع القطع بتحديد اتجاه دلالي معين يثيرُها ذلك الزخمُ من الرؤى المتعددة للإنسان والكون والحياة، هل الفقي متشائم؟ أم متألم؟ ثم ما الفرقُ بين التشاؤم والألم؟ هل بينهما تداخلٌ؟ أم هل يحصل أحدهما بحصول الآخر؟.

المعروفُ أنَّ التشاؤم حالةٌ نفسيةٌ، والألم نتيجةٌ. أو قل التشاؤم ظاهرةٌ، والألم حدثٌ. ولكلٍّ من الظاهرة والحدث أسبابٌ ودواعٍ تكون نفسيةً، وتكون فكريةً، وتكون إنسانيةً، وقد تكون مصطنعةً، كما يصطنع الشعراء محبوباتهم، يذهبُ في تحديدها الدارسون مذاهب شتى. ولعل المذهب النفسيّ الذي استعانَ به العقاد والخولي والنويهي في دراساتهم التطبيقية يساعد في استجلاء هذه الظاهرة؛ وذلك الحدث. فلربما نكون بحاجة إلى مزيد من الأدوات لنصرّفَ فيها أمرنا مع هذا الشاعر الفريد بثرائه الإبداعي، وتحولاته الدلالية، وتقلب مزاجه إلى حد الحيرة.

لقد غاص العقاد في أعماق ابن الرومي مستخدمًا أدوات المذهب النفسي في النقد، وأدرك شيئًا من تشاؤمه. وأحسب أنَّ تشاؤم ابن الرومي مرتبطٌ بحالة نفسية ساذجة؛ إذ هو نتيجة عقد نفسية كخوفه من العين، وعلى خلافه المعري؛ إذ ينطلق تشاؤمه من رؤية عقلية، ونزوع فكري متسائل. ومنطلقاتُ التشاؤم النفسية والعقلية تدخُل في تحديد إيجابيات التشاؤم وسلبياته.

تشاؤم سلبي أم فكري؟

ونحن حين نطلُّ على عوالم الآخرين، نعيش مرحلة توتر في أجواء التساؤلات، التي يثيرها البعد الدلالي عند الفقي، إذ هناك ألم، وتشاؤم لامفر من مواجهتهما. وحين نقطع بألم الفقي لانمتلكُ القدرة على نفي التشاؤم، وإن حاول الفقي نفسه دفع هذا الاستنتاج الدلالي. وحين لانجد إجحافًا في وصف الفقي بالتشاؤم، فإلى أي مصدر نَنميه. أيكون تشاؤمًا سلبيًا ساذجًا كتشاؤم ابن الرومي؟ أم يكون تشاؤما فلسفيا كتشاؤم المعري؟ أم يكون غير هذا وذاك مما يذهب فيه النقاد مذاهبَ شتى؟.

الشاعر الفقي لم يضع نفسه بين يديك عبر مجموعة صغيرة من الشعر بحيث تخترق عالمه بيسر، وتقرر ماتشاء باقتدار، كما إنه مع هذا الكم الهائل من الشعر لم يتناغم مع الأحداث والقضايا بصوت واحد تستكنهه بمجرد الإصاخة له.

تلك هي إشكاليةُ الفقي، وستظلُّ قائمة حتى يتجه فريق عمل متمكن لاكتشاف عالمه. ولكنني مع

الفقي والإباء العنيف (٢)

بين الألم والتشاؤم

كل هذه الإشكاليات سوف أغامر، وأثير بعض القضايا، وأدعها مكتنفة بالتساؤل، وأكون بذلك قد قطعت شوطا في الطريق إلى عالم الفقي الدلالي. ومع كل الاحتمالات التي يتسع لها البعد الدلالي في شعره، لايكون بدعًا من الأمر. لقد درس صلاح عبدالصبور شعر زميله علي محمود طه، وأثبت تناقضا في توجهاته الدلالية. ولك أن تقول مثل ذلك عن شوقي بين تدينه ومجونه. وعمر فروخ حين يتحدث عن الشابي يصف بعض قصائده بالإلحاد. ويصف أخرى بالإيمان، والفقي لم يقع بمثل ماوقع فيه لداته من شعراء العصر الحديث ممن عصفت بهم رياح التهتك أو الشك العقدي يقول الفقي:-

أنا في جَحْفل مخيف من الشّك

فهل يستحيلُ شكي يقينا

ليتَه يستحيلُ حتى أرى الحقَّ

يضيء الطريقَ كي استبينا(١)

وهو الذي يقول:-

أشيطانَ نفسي لن تراني مجدِّلاً

بأخراي إني المؤمن المتخوف

وإني على ماكان مني لآمل

من الله مالا يأملُ المتحرفُ(٢)

فهل أكون عجولاً حين أربطُه بهذه الطائفة من الشعراء الغارقين في الحيرة والتردد، الراكضين في كلّ فجاج الفكر. أم تراه في إلماماته تلك مجرد متأمل يثير الآخر، ولايحتويه، ويحومُ حول الحمى، ولايقعُ فيه.

إنَّ الفقي بلا شك محكومٌ بوثائقه الشعرية وهي وثائق لم يدسها في التراب، بل قدَّمها بثقة واقتدار، وليس له بعدُ أن يوجهنا إلى مايريد، فالنصُّ قادر على أن يحتملَ تأويلات عدة، والقارىء يمتلك حق المصير إلى أحدها. ولم يعد من حق الشاعر أن يومىء إلى التأويل الذي يأنس به، أو حتى التأويل الذي يقصده في لحظة الإبداع. فالنص خرج من سلطة المبدع، وخضع لسلطة المتلقي، وحين يتماثل الشاعر مع غيره، أو قل يتقاطع معهم دلاليا، لايكون في الضرورة منهم. ومع هذا فإن ثمة احتمالا آخر لربط المحصول الدلالي عند الفقي بظاهرة دلالية شغلت الساحة الثقافية، وانشغل بها مبدعون آخرون.

فالرفض والغنائية والهروب المتمثل بكل وضوح في شعره يتقاطع مع الإبداع الوجودي، فهو مزيج من التشاؤم والقلق والاغتراب والخوف والتمزق والضياع، هذا التقاطع يشي بشيء من التقارب،



محمد حسن فقي



صلاح عبد الصبور

ولكن هل نعد الفقي قارئا لتساؤلات الوجوديين ورفضهم متأثرًا بشيء من إفضاءاتهم الدلالية؟. وهل نقعُ في الخطأ الذي وقع فيه بعض دارسي العقاد حين مَجَّد الحرية الفردية فعدوه وجوديا، وحين ثار في وجوه النقاد قائلا: إن كانت الوجودية تحترم الحرية فأنا وجودي. ومن الأوهام التي يقع فيها مصنفو المفكرين أن التماثل عندهم يعني التوافق. وعلى ضوء ذلك عُرِفَتْ مصطلحات جديدة، كالاشتراكية الإسلامية، والديمقراطية الإسلامية. وشوقي يخاطبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقوله:-

(الاشتراكيون أنت زعيمهم) وهي سقطة الجمع عند التماثُل. والفقي بإبداعاته مجال خصب لخطأ التصنيف. فأنت حين تقرأ شعر الألم والرفض عنده تقطع بأنه يتناغم مع الوجوديين الذين قطعوا بعبثية الحياة.

غير أن وثائق أخرى تنفي هذا التصنيف، وتسقط التوقعات، ومن ثم فأنت لكي تضع تصورًا حقيقيًا للنفي لابد أن تقرأه بتمعُّنٍ وأناة وشمول. إنَّه المسلمُ العامرُ القلب بالإيمان. ومع هذا تظل شخصية الفقي عصية الانقياد للتصنيف لاتساعها لاحتمالات كثيرة وقد لاتحتاج إلى ابتسار الشواهد لتضع الفقي حيث تريد من هذه المذاهب.

صعوبة تحديد البعد الفني

وحين نكون بسبيل البحث عن خصائص الفقي الدلالية وهويته الفكرية، وتجربته الشعرية، نقف أمام وثائق إثبات احتمالية. فالشاعر الذي وضع بين أيدينا ثمانية مجلدات ضخام، أنجزها في نصف قرن من الزمان، وانتابته في هذه الأثناء تحولات فنية واجتماعية وفكرية وسياسية، لايمكن أن يتحدد بعده الفني والدلالي بسهولة، لقد قلنا إنَّ مفتاح شخصيته يتمركز في الإباء العنيف، وقد يسلم لنا هذا المفتاح بشكل قطعي، وقد لايتفق معنا الآخرون حول هذا الاستنتاج.

إن آلام الشاعر المتواصلة، وغثيانه من الحياة، وضيقه بالأناسي، يثير أكثر من تساؤل وينطوي على أكثر من شك. هل نقول: إن الفقي يبدع عن غير تجربة حية، وعلى هذا يتسرب الشك إلى معماره الفني الذي شكّله في ذهن الآخرين، وهل يبدع الشاعر من غير موقف ومن غير تجربة؟ ربما يكون هناك موقف مدمن من التفكير والتخيل. والفقي قد يملك القدرة على الإغراق في التفكير والتخيل، حتى يصل إلى مرحلة يتحول فيها تفكيره إلى تجربة حية.

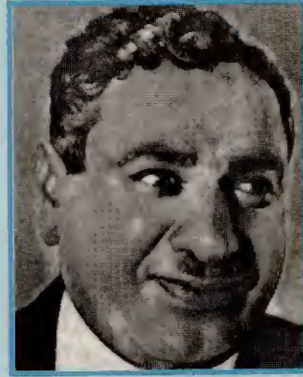
إن الشاعر المفكر يتوحد مع فكره، ومن ثمّ ينفصلُ من واقعه المعاش، ولعلنا نذكُر مقولة بعض الحكماء: (صديقُك من تفكر عنده بصوت مرتفع)،

والفقي حين يُمضُّه التفكير، يحمله على الانتقال من الصمت والتأمل إلى رفع الصوت، ومن ثم يكون الشعر، وتقترب هذه الحالة من التجربة الفعلية ويكون الصدق الفني.

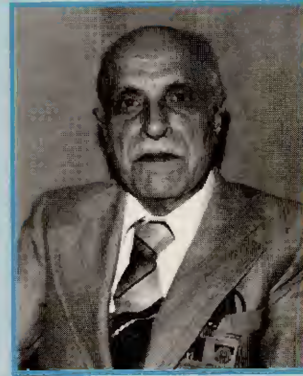
لقد قيل عن بعض الفلاسفة إنهم ممتلئون ذهنيا بالخيالات البعيدة الغور، وإنَّ شيئا من عطائهم الفلسفي وليد هذا الامتلاء، وربما أكون مجازفًا ومُتجنيا حين أمارس البحث عن تعددية الملامح الفكرية عند الفقي على هذا الضوء، ثم أقطع بصحة النتائج، وأكون مقصرًا حينما لا أبحث عن جذور هذه الشخصية فكريًا وفنيًا وإنسانيًا. الفقي الشاعر كئيب يعتزل الناس، وينطوي على نفسه. والفقي الإنسان سوي، فيه حياة، وفيه بشاشة، فأين إذًا يكمنُ الفقي الحقيقي؟ أعتقد أنَّ الفقي الشاعر بحسه المرهف ونظرته المثالية وإبائه العنيف وشاعريته الفذة، يبدو لك من خلال شعره، والفقي الإنسان بأبوته الحانية، وتواضعه الجم وحيائه المحتشم، يبدو لك بسيرته الذاتية. ولم لايكون الفقي الشاعر غير الفقي الإنسان في ملامحه المتبدية للآخرين؟ ثم لايكون مع هذا أي تناقضٍ محير، ولو أننا أخذنا بمذهب البنيويين، وأمتنا المؤلف، وواجهنا النصَّ بمعزل عن خارجه لأرحنا واسترحنا.

لقد كان للعرب الأوائل نظرةٌ خاصةٌ في الشعر والشعراء، وللشعراء من التجاوزات ماليس لغيرهم كالضرورات وكشياطين الشعر وكانفصالهم عن بشريتهم لحظة المخاض. إن لحظة الإبداع حالة أخرى ليست سوية، إنها لحظة جنون، كما يقول النقاد، وكما يقول الفلاسفة أمثال ميشال فركو، ولكنه جنون معادل للعقلاء، وليس مناقضا لهم، جنون من نوعٍ آخر. ودعك من هذه الشخصية السوية ببشريتها، المغايرة بحالتها الإبداعية، وتعال بنا نلتمس التواصل بين هذا اللون من الإبداع، وما جدَّ على الساحة الفكرية والأدبية من مذاهب ترفض الحياة لإيمانها بعبثيتها. الإسلام وصف الحياة الدنيا باللعب واللهو، وحقَّرها حتى لاتساوي جناح بعوضة، وجاءت كلمة الإنسان في القرآن في سياق الذم، يكون ظلوما كفارا عجولا معرضا نائيا بجنبه قتوراً جدلاً هلوعًا مغروراً طاغيًا كنودًا، والأكرم منه الأتقى. وهكذا الحياة بدون الإيمان إنها بؤرة صراع

﴿أحَسِبَ النّاسُ أن يُتركُوا أن يَقُولوا آمَنَّا وهُمْ لايُفْتَنُون﴾ (العنكبوت:٢)، ﴿ولَنَبْلُونَّكم بشَيءٍ مِنَ الخَوْف والجُوعِ ونَقْصٍ مِن الأمْوَال والأنْفُس والثَّمَرَات وبشِّر الصَّابرين﴾ (البقرة:١٥٥)، إذًا الحياة مكابدة، وصراع مع المؤمن ومع الكافر، وإن عَجَّل اللهُ مايشاء لمن يريد من مريدي الحياة الدنيا. إنها دار ابتلاء وامتحان، والشاعر المرهف الإحساس ينزف مشاعره، ويرصد مراحل صراعه مع هذه الحياة، وغيره يكتم غيظَه وينطوي على ألمه. وعلى ضوء ذلك يكون موقف الفقي من الإنسان والحياة حين تكونان بهذه المواصفات الطاغية والمتبدية لكل ذي



علي محمود طه



عمر فروخ

عينين ولسان وشفتين. يكون تشاؤمه نتيجة تأملٍ واستكناه. ويكون رفضه في مواجهة ذلك الإنسان الذي ذمه القرآن ورفضته الحياة السوية. وقراءة قصيدته (نهايات.. ونهايات)، وهي مجموعة من الرباعيات تكشف عن موقفه من الإنسان والحياة.

وهو موقف يحاكم فيه الإنسان، ويدافع به عن نفسه، ويبرز عزلته وهروبه من الأناسي:

لبثت فيهم عمرًا ماأرى

إلا رياءً يحتفي بالصغار(٣)

يأس وإحباط

فالشاعر حين يوغلُ في ذمّ الإنسان، والحياة، ويلوذ بالفرار لايكون سلبيًا عاجزًا عن المواجهة، إنه لون من اليأس والإحباط. لقد يئس بعض الرسل من قومهم وهذا نوح جأر إلى ربه: ﴿رَبِّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديَّارًا إنَّك إنْ تَذَرْهُم يُضلُّوا عِبَادَكَ ولايَلِدُوا إلا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح:٢٦، ٢٧)، وذلك بعد أن قال له ربُّه: ﴿أنَّه لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلا مَنْ قَدْ آمَن﴾ (هود:٢٦)، وشاعرُنا الكبيرُ بتجاربه الطويلة، وبحياته المملة نفض يده من الإنسان غير السوي، ولم يتخلَّ عن المواجهة بل تصدى له بعنف.

إن هناك دوافع عدة للاكتئاب والألم والتشاؤم والاغتراب، والاكتفاء بدافع أو أكثر يعني تضييق نطاق الدوافع وحصر الشاعر فيها، وحين عرضت للاستغراق الفكري لم تَغب عني الدوافع الأخرى، ولم يكن أحدها أميز من غيره، إننا بسبيل البحث والتساؤل وطرح البدائل، وعلى القارىء الربط بين النص والرؤية النقدية، والأخذ بما يراه ملائمًا. لقد حاولت تلمس مصادر أخرى لهذه الظواهر النفسية التي تجاوزت الخواطر إلى القول، وتحولت إلى نصوص وثائقية تبحث عن تأويل. للشاعر موقف متميز ومثير من الإنسان والحياة والكون، لم يكن مرتجلا ولا اعتباطيًا، وليس من السهل استكناه دوافعه، قد يكون رد فعلٍ جائر، وقد يكون وليد تفكير عميق، وقد يكون نتيجة ممارسة فعلية مع الآخر تحولت إلى مواجهة. فالفقي لايرفض الإنسان لإنسانيته، وليس هو الوحيد من بين الشعراء من رفض الإنسان، ألم يقل الشاعر القديم:

عوى الذئبُ فاستأنستُ للذيب إذْ عوى

وَصَوَّتَ إنسانٌ فكدْتُ أطيرُ

فهل كلُّ أصوات الأناسي منفرة ومفزعة؟، نكون جائرين لو تصورنا هذا التصور.

والاغتراب الذي تبدى في شعر الفقي حلقةٌ في سلسلة وحدته الموضوعية. هل نعده اغتراب روح؟

الفقي والإباء العنيف (٢)

بين الألم والتشاؤم

أم اغتراب سيرة على حد (طوبى للغرباء)؟ وهم الذين يَصْلحون إذا فسد الناس أو يُصْلحون ماأفسدَ الناس. الاغتراب مبارحة حسية، والاغتراب ندرة، أي مفارقة أخلاقية، والاغتراب يكون مباينة، ويكون انطواء على الذات وارتدادًا إلى الداخل، والفلاسفة والمبدعون يجسدون كلَّ هذه التعددية في مؤدى الاغتراب، فما هو إذاً اغتراب الفقي؟

بالطبع لن نُخْضع الفقي لكل مقتضيات الاغتراب كما يتصورها الفلاسفة والنقاد وعلماء الاجتماع.

الفقي يمتلكُ فلسفة خاصة فرضتها عليه الغربة، له رؤيته الخاصة، وتصوره الخاص للاغتراب، فالغربة كما يتصورها علماء الاجتماع تعني تصدع الذات وانشقاقها نتيجة عدم تواؤمها مع المعطى الاجتماعي، بصرف النظر عن أفراد المجتمع، وحين ننفي عن الشاعر بعض مقتضيات الاغتراب، لانملك تخليصه من كل الشوائب، إذ هناك نصوص تفشل معها محاولاتنا التبريرية، وليست مسؤوليتي أن أظل مبررًا وملتمسًا المخارج، مهمتي أن استقرىء النص، أن أتوسل إليه كشف ذاته، وماعليَّ من بأس بعد ذلك حين أقرر وجهة نظري، والاغتراب: اغتراب الهروب.. واغتراب الرؤية. معطى حضاري، والمبدعون بما يُحَمِّلون أنفسَهم من مسؤولية هم الذين يكرسون هذه الظاهرة.

والمتابعون لطرح الشعراء والقصاص والروائيين والرسامين يرون ذلك بكلِّ وضوح. والاغتراب من حيث هو كظاهرة نفسية أو فلسفية أو فنية لم يكن وليد المرحلة المعاشة، إنه هاجس العديد من الشعراء منذ الجاهلية ألم يقل الجاهليُ: (ماأطيبَ العيش لو أن الفتى حجر)، ومن بعده قال آخرون: (ذو العقل يشقى في النعيم بعقله)، وثالث يبرر وجوده بثلاث هُنَّ من عيشة الفتى، وكلُ عمالقة الشعر كأبي نواس وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء والرضي يُحسون بغربتهم، وهم حاضرون يتمتعون بمباهج الحياة، وهنا نتساءل: ماعلاقة الألم والتشاؤم بالاغتراب النفسي المتمثل بالهروب إلى الداخل وتعذيب النفس لتطهيرها أو لعقابها؟.

سر الاغتراب والرفض

إن غُربة الفقي تكون في كثير من الأحيان قريبة التناول لأنها معروفة السبب، ولكنها تَغْربُ فتدقُ،



الشابي



محمود حسن اسماعيل

حتى لاتكادُ تَستبين لها سببًا، ومما هو قريب التناول قوله:-

مَنْ عذيري ممن يلومُ على
العزلة نفسًا تضيق بالأقزام

وقوله:-

فاتركاني لعلَّ راحَة نَفْسي
في اعتزالي الحياةَ لافي اقْتحامي
واتركاني فما أبالي من العزلة
إلا قطيعةَ الأرحام(٤)

وقولُه:

إني غريبٌ بين أهلي بين أصْحابي وقومي
إني غريبٌ لو أردتُ العيشَ صدتني المآسي(٥)

هذه الغربة قريبة التناول ولاتنطوي على إشكالية، ولكنَّ الفقي يعيشُ اغترابًا غير مبرَّر، غير أننا نجده يتماهى مع غيره من الشعراء الذين تميزت إبداعاتُهم بالاغتراب.

فعندما نقارن بين معطى الشاعر (آرنولد) وسيرته، ومُعطى الفقي وسيرته، لايغيب عنا التفريق بين غربة الجسم وغربة النفس وغربة القيم. يقول الفقي مما هو داخل في الغربة المبررة:-

ماذا أريدُ وليس لي في هذه الدنيا صديقُ؟
ماذا أريدُ وماأريد سوى الكرامة في الحياة؟
ماذا أريدُ وكل من حولي يناصبُني العداء؟(٦)

هذا لونٌ من أسباب الاغتراب والرفض يمثل بعداً اجتماعيًا عارضًا قد يزول بزوال أسبابه، ولكن دعنا نستمع إليه في شكاية أخرى. يقول:

لست أشكو اغترابَ داري وإن جارتْ
وأشكو اغترابَ فكري وحسي
فهما ضائعان في زحمة العالم
هذا وضائعان بنفسي(٧)

فالاغتراب هنا اغتراب فكر وحس تجسده قصائد كثيرة وبخاصة قصيدة (تأملات)(٨):

متى يزاولُ اليقينَ شكّي
متى يُردُني الهدى لنُسْكي

لقد فتح الشاعر لعقله كوى تُرقِّعُها عيون زائغة مذهولة، ومن ثم تلاحقَت تساؤلاته لتكريس الحيرة المتمردة. فالغربة عند الفقي متعددة المصادر والأسباب تتضح حينا، وتغمض في أحيان كثيرة، تكون نتيجة مواجهة مع الآخر، وتكون نتيجة مواجهة مع الفكر. فضيق الشاعر بعقله على سنن الشعراء المتأملين، وهو عقل جامح ينفلت من سلطان النص ليجوس خلال الغيب ملتمسا تفسيرا لهذه الظواهر، والعقل حين ينفلت من سلطة النص يشبه انفلات الكوكب من فلكه يتشظى في أفق رحب، ثم يشتعل ويعود رمادا تذروه الرياح بعد إذ هو ساطع، وحين يتيح الشاعر لعقله فرصة كهذه يتخطى

مدارج المبدعين إلى متاهات الفلاسفة فتُبطىء هذه المتاهاتُ بفنه وتثقل دلالاته.

لقد أشاع حزنًا مريرًا واكتئابًا مملا، ولم يكن لهذا الاكتئاب والحزن سلطة على علاقاته إذا لم يعتزل الحياة والناس بقدر ماتنطوي عليه دلالاته الشعرية، كما لم ينفر الناس منه ولم يستثقلوه كما فعلوا مع أبي العلاء، أو كما فعل أبو العلاء مع نفسه، وهذا يذكرنا بالشاعر الإنجليزي (ماثيو آرنولد) الذي وصفه أحد النقاد بقوله: (كان في حياته الخاصة عاليَ الهمة وسيم الطلعة متوقد الذهن اجتماعيًا... أما ذلك الاكتئاب الذي أشاعه في بعض قصائده... فليس له دخلٌ في علاقاته الاجتماعية على الإطلاق)(٩)، وهنا نتساءل، أو يتساءل القراء عن مدى صدق التجربة، وعن الازدواجية، أو ما يسمى بالفصل بين الإبداع والمعاش، ومدى انعكاس ذلك على جودة الأداء الشعري.

ودعنا نتجاوز ذلك إلى التساؤل عن سيرة الشعراء الذين يلتقي معهم الفقي، هل كانوا كما يقولون يهربون من الحياة وينفرون من الأناسي ويبحثون عن الوَحْدة ويلوذون بالطبيعة؟ أم أنهم في سيرتهم آلفون مألوفون وفي شعرهم نافرون رافضون؟ ومامدى صدق التجربة في هذا التناقض؟

مما لاشك فيه أن الشاعر يلتقي في حزنه مع الشعراء الرومانسيين من مدرسة أبوللو، كالشابّي، والصيرفي، والهمشري، ومحمود إسماعيل: فهو المتألمُ لتألم الناس، الباكي من أجل همومهم، يقول الصيرفي في إحدى قصائده:

تَجرَّع الألمَ الدامي فحوَّله

إلى ترانيم عشاقٍ وألحان

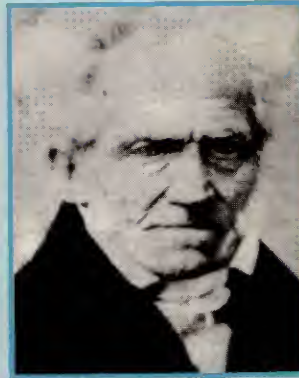
يُسْقى العذابَ ويَسْقي الناس كؤوسهم

صفوًا من النور في ظلماء أشجان

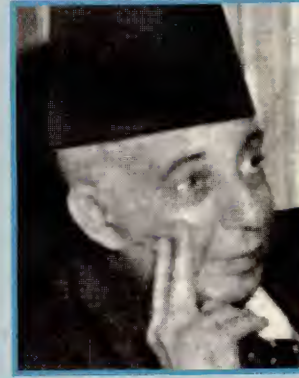
وهكذا كان شاعرنا يحملُ نفسًا تصحرت أعماقُها، وجَفَّ نبعُها، وتصوَّحَ نبتُها، ولكنَّه ربيعٌ معشب خَضل بين يدي الآخرين، ولو لم يمضُّه العناء والتعب والعذاب لما وضع بين أيدينا هذا الكمَّ الهائل من الشعر.

والألم، والشك، والاغتراب، والتشاؤم عند الفقي يتذبذب بين المعاناة الفعلية والنزوع الفلسفي، ولعلنا نذكر جيدًا، طروحات «شوبنهاور» عن الألم فالشرُّ في نظره مستحكم في الإنسان كامن فيه كمون السَّقْط في الزَّند، ويرى أنَّه من الممكن التخلص من الشر بالتخلص من إرادة النوع، وهذه المحاولةُ تجعله في ألم دائم ولهذا صار الألم عند شوبنهاور ملازمًا للإنسان(١٠).

والتشاؤم والألم اللذان ينضح بهما شعر الفقي يتراءيان في ثَنَايَا فكر شوبنهاور، ففي كتابه (العالم إرادة وفكر) يرى الطبيعة الإنسانية لاتتفق مع الخير،



شوبنهاور



المازني

وأن تاريخ الإنسان مليء بالأحزان، ومابدر من سعادة فهو محاولة لإخفاء الألم، ولهذا فالإنسان يرفض أن يعيش الحياة مرة أخرى، والتفاؤل عنده حكمة المغلوبين وسخرية مرة بالألم.

والخلاص من الألم عند شوبنهاور يتم بوسيلتين: أخلاقية، وإبداعية(١١). وإذا أردنا أن نربط بين الفقي وفلسفة شوبنهاور فإننا نربطُ بينهما في أسلوب الحل.. لقد طبَّقَ الفقي الطريقتين معًا، طبق الوسيلة الأخلاقية بدعوى الاعتزال، وطبق الوسيلة الفنية بإبداعه، إذ أغرق في الإنتاج حتى ينسى الألم، والقلق والاضطراب.

رفض الإنسان لتعذر استقامته

ومظاهر الضيق والبرم بالحياة يتجلّى في النزعة الهجائية، والشاعر لايهجو على سنن الشعراء خائفًا أو مستجديًا، وإنما يُلحُّ في ذَمّ الإنسان ومارُكّبَ فيه من خلال سيئة، وهذه النزعةُ تصدُر عن سُخْط وكُرْه لهذا الإنسان المتوحش، وشعْر الفقي يشبه إلى حد كبير شعر إلياس أبو شبكه الذي يقول عنه مارون عبود: (في خُلقه إباءٌ حتى العَنْجَهية)، وعندما حددنا مفتاح شخصيته الشعرية بالإباء العنيف، نظرنا إلى هذه الرغبة الملحة في رفض الإنسان لتعذر استقامته.

ونعودُ مرةً أخرى إلى الألم عندَ الفقي وكأننا موكّلون بفضائه، نَزْرعُه لنبحث عن بواعثه الحقيقية. أهو فعلٌ؟ أم افتعالٌ؟ أم انفعالٌ؟ أهو ألم ذاتي؟ أم غَيْريٌّ؟ ألم من أجْل الذات أم من أجْل الغير؟ ألمٌ يتشكل وينمو نتيجة إخفاقات تنتاب الشاعر حين ينهض لأمر أو يتطلع لمطلب، أم هو نتيجة وضع نفسي ينظمه في سلك المتشائمين؟ أم هو ألم فكري مبعثه الشك والتساؤل والتفكر المستغرق؟ أم هو ألم مشاطرة وإحساس إنساني؟ أم هو شعور بالنقص يعتور الإنسان فيثنيه إلى الداخل ليمارسَ جلدَ الذات؟ أم هو أشياء غير هذه.

عدة احتمالات وافتراضات وتساؤلات تنهض كلما قرأنا شعر الفقي ومن حقنا أن نُمارس التخمين، فالنص الإبداعي يتجاوز سلطة المبدع، ويخضع للمساءلة لأنه يتجاوزه إلى المتلقي، سيفعل تأثيره، وإذا كنت عرضة لتأثير العمل الإبداعي، فمن حقي أن أواجه النص باحتمالاتي وتساؤلاتي، وأن استشرف احتمالات الآخرين، حتى يتبين لي الحق، ولايحق للمبدع أن يتدخل لكفي عن التساؤل أو تحديد نوع التساؤل، فدوره ينتهي عند تقديم الوثيقة إلى القارىء، وعليه بعد ذلك أن ينام ملء جفونه، وما على القراء من بأس حين يختلفون، فالناقد ظهير للمبدع يضيف للنص فضاءات دلالية تكفل له التجدد

الفقي والإباء العنيف (٢)

بين الألم والتشاؤم

والاستمرارية والحيوية.

والبحث عن بواعث الألم تتجاوز إلى الشاعر وإلى تجهيزات النص الدلالية وله مقولاتٌ حول هذا، قد تكون صحيحة مقبولة، وأهم البواعث:

١) واقع الأمة الإسلامية والعربية يقول في ذلك:

فإذا الإسلامُ والعربُ أفاقا

مِنْ سباتِ جرَّهم للدَّرك

إلى أن يقول:

يومها أبدو بثغرٍ باسم(١٢)

٢) إحساسُه بآلام الإنسانية المعذبة في لهيب الحروب، وتحت وطأة الحكم الجائر، والفقر المدقع، والأخلاقيات المسفة.

٣) إحساسه بآلام ذاتية تَعْرِضُ له أسبابُها، كموت ولده وابنته في عام واحد، ذاك في حادث، وتلك في مرض.

٤) محاكمة النفس المتولد من شعوره بالإثم، وعدم قدرته على التخلص من براثنه، ومحاولته المستميتة لهذا التخلص. والشاعر يصف هذا الباعث بقوله: وهو صراع دام مستحر مابين النفس المؤمنة الشاعرة وبين مايؤرقها مما اقترفته من بوائق(١٣). ويمكن وصف هذا الباعث (بعقدة الشعور بالإثم).

٥) الشكُّ الميتافيزيقي، والشاعر حين يجتاحه هذا العارض يلوذ بالإيمان، ولكنه لايتخلص من انعكاسه النفسي، ويمكن ربط هذا الباعث بالشك المعري. على أن الشاعر حاول أن يفلسف ألمه على طريقة جبران خليل جبران، وأنْ يجعلَه مورد إيحاء، وأسلوب صهر وتطهير، وقديمًا أومأ جبران إلى أنَّ اللؤلؤ لاينشأ إلا من المحارة العليلة(١٤).

وفي هذا الصدد يقول الفقي: أعمق ما في الحياة هو الألم.. الألم الذي يصْهر النفوس في بَوْتقته، فتخرج منها نقية شفافة طاهرة مبرأة(١٥).

ومهمة الشاعر كما يقول: تقوم على (بَث الروح الإنسانية في كل ماحوله، وأن يعطي الآخرين معنى الكرامة)(١٦). إنه بهذا التبرير يلتقي مع ألم (الملامتية)، وهي فرقة صوفية ترى في لوم النفس وتعذيبها تطهيرًا وتنقية لها وصفاء للروح.

وينفي الشاعر أن يكون الألم في شعره ألمًا ذاتيًا على إطلاقه، بل هو تعبير عن الحس المهضوم والنابض في قلب الأمة، (ألم يشمل الإنسانية كلَّها بكل مآسيها وفواجعها وآلامها، والنظرة القائمة وليدة هذا الشعور الإنساني المتألم الرائي لآلام إخوانه في الإنسانية المعذبة(١٧).

وكرر هذا القول في لقاء آخر(١٨)، إنني وأنا استعرض النصوص النثرية الدفاعية التي يفضي بها الشاعر بين الحين والآخر في كلمات أو لقاءات، لأأراها محقة في توجيه القارىء.

القارىء يمتلك حق التأويل، ودور الشاعر ينتهي بانتهاء عملية الإبداع. وفي هذا السياق التبريري، أو الدفاعي، أو التوجيهي يَنْفي الشاعر أن يكون متشائمًا، ويجتهد في التفريق بين التشاؤم والألم. ويَعدُّ الظلال القائمة من باب التألم، كما وصف تألمه بالنزوع الإنساني والخلط بينهما مؤداه أن الألم نتيجةٌ طبيعيةٌ للتشاؤم، وليس شرطًا تلازمهما، ولكن ليس مايدفع القراء إلى الحكم على الفقي بالتشاؤم هو وجود الألم، التشاؤم ظاهرة تبرزها دلالة النص، والدلالة عند الفقي تكرس التشاؤم، ومهما حاول نَفْيَ التشاؤم لما يَرْتَبطُ به من سلبية في مواجهة الحياة، فإن مدلوله الشعري أقوى من نَفْيه.

ولك أن تقرأ قصديته (تأملات)، وقصيدته (شقْوه) في المجلد الثالث. إنه شاعر متشائم، بلا شك، ولكن ليس شرطًا أنْ يستتبع تشاؤمه موقفًا سلبياً من الحياة. ابنُ الرومي متشائم، وأبو العلاء المعري متشائم، وغير أولئك من شعراء العصر الحديث كعبدالرحمن شكري متشائمون، ولكلّ واحد من هؤلاء موقف من الحياة متميز. وإذا كان الفقي يرفض التشاؤم خوفا من أن يسلك في عقد هؤلاء الشعراء، فإن هذا الخوف ليس له أيُّ مبرر، فتشاؤم الفقي وألمه لايحددان موقفًا سلبيًا من الحياة دون النظر في المدلول الشعري عنده، ولا يسلكانه في عقد المتشائمين، دون استكناه أوجه الشبه بينه وبين هؤلاء الشعراء المتشائمين.

ألم الشك

والذين وصفوا الفقي بالتشاؤم(١٩). قصَروا بواعثَ الألم عنده على مصدر واحد، هو التشاؤم، والحق أن هناك ألما مصدره الشك، وألما مصدره التشاؤم، وألما مصدره عوارض الحياة ومصائبها، والألم عند الفقي منبعث من كل تلك المصادر.

ثم إن تشاؤم الفقي حين يكون خليطًا من هذه الأنواع لايكون سلبيًا على إطلاقه. قد نجعل شيئًا من تشاؤمه سلبيًا، ولكننا لانقطع بشمول السلبية لكل ظواهر التشاؤمية، كما لانقطع بنزوع رومي أو معري، لتشاؤمه كما لم يكنْ التشاؤم والألم عنده مرحليًا عارضًا.

فالتشاؤم العابر والحزن الخاطف يعرض في مرحلة الشباب، ثم يرحل، أو يخف على أقل تقدير، ثم تتخذ النفس وضعها الطبيعي كما حصل لعلي محمود طه في ديوانه «الملاح التائه»، الذي تخلص منه بميله إلى فلسفة «أبيقور» الذي يبحث عن لذة الحياة.

وكما هو في شعر المازني الذي تخلص منه بفضل نظرته الساخرة المستخفة بالحياة ومنغصاتها.

إنَّ ألمه ألم متجذر راسخ، كلما خبتْ ناره زادَها سعيرًا، والذين يتهمون الشاعر بتصنع الألم، كما يتصنع الشعراء الولَهَ والحرمان، ويبكون ليلاهم ولا ليلى، يخطئون في فَهْم الشاعر ويتسرعون في إصدار الحكم عليه، إنه ألم أصيل متجذر في أعماقه يشكل وحْدة موضوعية متميزة.

وحين ننفي تصنع الفقي، ونرفض القول بتعمده استدرار عطف الآخر، نَشُمُّ في أعطاف شعره روائح الملل والضجر. كما تعبق في أنساقه نكهة معَرّيةٌ صنعتها تلك الثورة الفكرية التي قاد قوافلها المأمون بجسارته ومذهبيّته الصارمة، ولكنَّ أجواء الحاضر السلفي استطاعت تنقية مضامين الفقي من دَخَن الشك المردي، والتردد المُصْمي، فاستتل من تلك القصور أنساغها.. ولتَّها بهموم المرحلة فجاء أمشاجًا قُزَحية يتراءى لك فيها المعريُّ وابن الروميُّ، على أن الألم سواء كان معريًا عباسيًا، أو تشاؤميًا روميًا، أو ماشئت من الانتماءات، لم يَعُدْ قضية متفردة في المدلول الشعري عند الفقي.

إن الصدقَ الفني يتجلى في أغراض شعرية أخرى، تؤكد أنّ الشاعرَ لايمارس الانهزام أو التخلي،

وإنما تكون تجاربه متعددة، ومواقفه متنوعة، وهو مجيد فيها، وهنا نتساءل أين نَجد روح الفقي ووهج شعره؟ إننا بلاشك نجده في التساؤل عن المصير وبالألم والحرمان، هناك فقط يكون وهج الفقي وتألقه.

وإن كانت السمة البارزة في شعر الفقي ظاهرة التشاؤم والألم، فإننا لانعدم القيم الروحية، والمجلد الأول من شعره يفيض بتلك القيم.

يتحدث عن الله حديث المؤمن المستلهم لعفوه وتوفيقه:

إنَّ قَلْبي منَ التُّقى رَغْمَ فعلي
لمضيءٌ والخيرُ فيه يمورُ
بَعد حُبيَ للَه ماأرهب الويلَ
ولاتلتوي عليَّ الأمورُ
فهو حسبي وهل يعذبُ قلبًا
حَلَّ فيه فهو البريءُ الطَّهورُ(٢٠)

هَذا هو الفقي في بعده الدلالي، متألم، رافض، عنيف في رفضه، وما سوى هذه الظاهرة الدلالية الطاغية في شعره، يكون كأي شاعر في حبه وتولهه، في مدحه وتمجيده، في عروبته وإسلامه، شاعر متميز يفصّلُ لك القول، ويلحُّ في التفصيل.

وسوف لانشق على أنفسنا، ولا على القارىء، بتفصيل القول أو إجماله، عما خاض فيه من أغراض أخرى.

الهوامش:

(١) الديوان، المجلد السابع ص ١٩٨ قصيدة "تهادم".
(٢) الديوان، المجلد الأول ص ٢٦٢.
(٣) الديوان، المجلد السابع ص ١٦١.
(٤) الديوان، المجلد الثالث ص ١٤٢،١٤٤.
(٥) الديوان، المجلد الأول ص ١٤٦.
(٦) الديوان، المجلد السابع ص ٣٨٤.
(٧) الديوان، المجلد السابع ص ١٦.
(٨) الديوان، المجلد الثالث ص ١٣٤.
(٩) مقالات في النقد، ص ١٨.
(١٠) راجع "الفرد في فلسفة شوبنهور" د. فؤاد كامل، ص ١٩.
(١١) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي، ص ١/١٧.
(١٢) الديوان، المجلد السابع، ص ٢٤٥.
(١٣) مجلة القافلة العدد الثالث، مجلد ٣٠، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ.
(١٤) جبران خليل جبران، د. جميل جبر.
(١٥) جريدة البلاد ٧٥٧١ في ١٤٠٤/٢/١٧هـ.
(١٦) جريدة الندوة ٩٣٤٨ في ١٤١٠/٣/٢٥هـ.
(١٧) مجلة القافلة العدد ٣ المجلد ٣٠ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ.
(١٨) جريدة عكاظ العدد ٨١٠٨ في ١٤٠٩/٥/٨هـ.
(١٩) من بينهم الأستاذ عبدالله بن إدريس في بحث له نشر ضمن بحوث مؤتمر الأدباء السعوديين المجلد الثاني ص ٦٦٣.
(٢٠) الديوان، المجلد الأول، ص ٨٥.

البُنَويَّة .. لاَ البَنْيَوِيَّة

د. صالح سليمان الوهيبي

درج الكتاب والمتحدثون على إطلاق اسم «البِنْيَوية» على المدرسة اللغوية التي تسمى بالإنجليزية (استراكتشرلزم). ولا غبار على الترجمة من حيث التوافق المعنوي بين اللفظ الأجنبي ونظيره العربي. ولكنّ هنالك إشكالاً في بنية الاسم العربي نفسه، وهو إشكال غمض على أهل الأدب واللغة أنفسهم فيما أحسب، ولعل منهم من يعلمه لكنه يغض عنه البصر.

وخلاصة ذلك أن «البِنْيَويَّة» غير صواب في العربية؛ فالكلمة منسوبة إلى «بُنْيَة» (بضم الباء أوكسرها). وما كان مثل هذا اللفظ من نحو (مُدية، وقَرية وفرية) فإنه معتل الآخر بالياء مختوما بتاء التأنيث. وفي النسب إليه وجهان:

الأول: حذف تاء التأنيث ثم إلحاق ياء النسب آخر الاسم كما هو المعتاد في النسب، فيقال في بُنْيَة: بُنْيِيّ، وفي مُدْيَة: مُدْيِيّ، وفي فِرْيَة: فِرْيِيّ. وهذا الوجه غير خارج عن النسب إلى ما كان صحيح الآخر كقُطْنَة: قُطْنِيّ، ودَوْلَة: دَوْلِي، ومِهنة: مِهني.

الثاني: حذف تاء التأنيث ثم قلب الياء التي في آخر الاسم واوًا مفتوحًا ما قبلها والإتيان بياء النسب فنقول: بِنْيَة: بُنَوِيّ وبِنَوِيّ (بضم الباء أو كسرها).

وهذان الوجهان جائزان قياسا على ماورد عن العرب في النسب إلى بني زنية (قبيلة عربية): زِنَوي، وقَرْية: قَرَوي. وذكر سيبوية (الكتاب ٣٤٦/٣) أنه «إذا كانت هاء التأنيث بعد هذه الياءات فإن فيه اختلافا؛ فمن الناس من يقول في رَمْيَة: رَمْيِيّ، وفي ظَبْيَة: ظَبْيِيّ، وفي دُمْيَة: دُمْيِيّ، وفي فِتْيَة: فِتْيِيّ، وهو القياس... وأما يونس [بن حبيب] فكان يقول في ظَبْيَة: ظَبَوِيّ وفي دُمْيَة: دُمَوِيّ، وفي فِتْيَة: فِتَوِيّ.» أهـ

ولا أعلم أنه قد ورد عن العرب مثل «أو ظَبْيَوِيّ» بإبقاء الياء والواو. ولا أعرف له قاعدة من النسب تصح نسبته إليها ولو من بعيد. ولذا فـ (بنيوي) خطأ، ويجب أن نستبدل به لفظتي: بُنْيِيّ أو بُنَوِيّ، فنقول: المدرسة البُنْيِيَّة أو البُنَوِيَّة. والأخير أحب إلي لقربه من الصيغة الشائعة. وهنالك من يقول المدرسة «البنائية» ناسبا إلى كلمة «بناء» التي جعلها نظيرا لكلمة «استراكتشر».

وقد كثر عند المتحدثين التخليط في النسب حتى خرجوا به عن المعهود من لغة العرب إلى مرذول الكلام وخطئه. وسوف نبين أطرافا من ذلك فيما يأتي من حلقات بإذن الله. والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

الشيخ عبد الرزاق عفيفي

مِنْ بقيّة السّلف

د. محمد بن لطفي الصباغ

فُجع العالم الإسلامي بوفاة العالم العامل، والعلامة الداعية إلى الله على بصيرة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وذلك في صباح يوم الخميس الواقع ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤١٥هـ (الموافق ١/٩/١٩٩٤م) ودفن في الرياض بعد صلاة الجمعة.

بلغني الخبر المؤلم وأنا في عمّان، فآلمني ذاك الخبر إيلامًا شديدًا، وشعرت بعظم الكارثة على وجه أكثر مما كنت أتوقع.

يالله !! مات العالم الذي قل نظيره في العلماء.. لقد أذهلني الخبر حقًا.

أشهد إني لقد جزعتُ لذاك النبأ جزعًا لم أجزعه إلاّ يوم وفاة والدي - رحمه الله - والشيخ عبد الرزاق عفيفي بمثابة الوالد.. ثم تماسكت وتصبرت وتذكرت الآيات القرآنية التي تقرر أن الموت سبيل كل حيّ ﴿إنّكَ ميتٌ وإنهم ميتون﴾ (الزمر: ٣٠) وأن الأجل إذا جاء لا يؤخر ﴿فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾ (الأعراف: ٣٤) ومرت بخاطري كلمة عمر بن عبد العزيز:

(ما الجزعُ ممَّا لا بدَّ منه؟ وما الطمع فيما لا يُرجى؟ وما الحيلة فيما سيزول؟ وإنّما الشيء من أصله، فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنَّما النَّاس في الدنيا أغراضٌ تنتضل فيهم المنايا، وهم فيها نهبٌ للمصائب، ومع كل جرعة شرق، وفي كلِّ أكلة غصص) (١)

فاسترجعت قائلاً: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، غفر الله له، وأكرم نزله، وعوضه الجنة، وعوض المسلمين خيراً.

صحبته ما يزيد على اثنين وثلاثين عامًا، ما تركتُ مجلسه في أسبوع إلاّ أن يكون أحدنا مسافرًا، وقلما كانت سفراتنا تطول. وقد جاورته سنين عديدة فكان نعم الأستاذ والجار. لقد تعلمت منه في هذه الصحبة أموراً كثيرة: منها ما يتعلق بالناحية العلمية، ومنها ما يتعلق بالناحية السلوكية، ومنها ما يتعلق بالناحية الشخصية...

لقد كنت ألجأ إليه في كلِّ أمرٍ من هذه الأمور، وكان يمدُّني بالرأي السديد، والتوجيه القويم. لقد أكرمه الله بالعقل المسدَّد، والعلم الواسع، والرأي المحكم.

وعلى الرغم من تلمذتي عليه ما كان يعاملني إلاّ على أنني زميل له تواضعًا منه وكرمًا. أحسن الله إليه وجزاه عنا الخير.

ولد - رحمه الله رحمة واسعة - في شنشور من محافظة المنوفية من بلاد مصر في سنة ١٣٢٣هـ ودرس في الأزهر وتخرج فيه من أعلى مستوياته، فقد حصل على الشهادة العالمية عام ١٣٥١هـ ودَرَسَ مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله، وتابع تحصيله الشخصيّ حتى أضحى من أكبر العلماء في عصره، وإني منذ طفولتي إلى هذه الساعة وأنا أعاشر العلماء، أتتلمذ على أيديهم وأتلقى منهم وأباحثهم، ولا والله لم ألق عالمًا مثله في سَعَه اطلاعه، ودقة استحضاره وحفظه، وسلامة منهجه، واستقامة حياته، وجولان ذهنه، وقدرته على إعطاء الحكم الدقيق في المسألة المطروحة، ومعاصرته لأحداث زمانه، لقد كان يعيش عصره، ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري والاستعماري للمسلمين، ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلاد المسلمين يعرفها تمام المعرفة، وهذه صفة لم تكن موجودة في كثير من علماء عصره.

كان مما يمتاز به سعة صدره، وبعد نظره، وزهده في الدنيا ومتاعها، وحبه للخير للناس جميعًا، وبذله جاهه في مساعدة الآخرين.

وكان إذا تكلّم في فنّ من فنون العلم ظنّ السامع أنه لايحسن غيره وأنه متخصص فيه وحده. كان موسوعيّ المعرفة: كان محدثًا كبيراً قل أن يخفى عليه حديث، وكانت له مقدرة متميزة في تخريج الحديث والحكم عليه، وقد يرى في بعض الأحاديث من الرأي الصحيح مالا تجده عند غيره سواء في تحديد درجته أم في فهمه والوقوف على دلالاته.

وله عناية خاصة بكتب الرجال، وقد بلغ من عنايته أنه فقد جزءًا من كتاب الرجال فكتبه بخطه وجلّده، ولما رآه بعض الولوعين بحفظ آثار عظماء العلماء استهداه هذا الجزء فأهداه إياه بحضوري.

وكان مفسرًا عظيمًا، وإنْ أنس لا أنس دروسه الرائعة

في تفسير القرآن التي كان يلقيها في مسجد الشيخ محمد ابن إبراهيم في دخنة في الرياض، وكنت مـلازمًا لهـا، وذلك من فضل الله عليّ.. لقد كـان يغوص على المعاني العميقة في الآية ويذكر ارتباطها بما قبلها وبما بعدها، ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس، ويشير إلى أسرارالبلاغة ونواحي الإعجاز فيها، وكان لا يرضى تأويل المتأخرين ولا المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الذين تزعزعت عندهم الغيبيات فراحوا يؤولون النصوص تأويلاً متكلفًا بعيدًا.

وكان فقيهًا مجتهدًا، وما كان يرضى التعصب لمذهب من المذاهب مع إحاطة بها لم أر مثلها، بل كان يمشي مع الدليل. وقد تكونت لديه ملكة فقهية عظيمة.

وكان إذا سئل لا يتسرع بالإجابة، بل يسأل عن دقائق الموضوع المطروح حتى يستوعبه ويقوم عنده تصور صحيح دقيق للموضوع ثم يجيب.

وكان أصوليًا متبحرًا في هذا العلم العظيم: علم أصول الفقه، واقفا على دقائقه، مطلعًا على كتبه مستحضرًا لما فيها، فإذا سألته عن كتاب من كتب الأصول ذكر لك خصائصه ومزاياه وطريقته، والمآخذ التي قد تؤخذ عليه. وقد كان معجبًا بكتاب «المستصفى»للغزالي وبكتاب «الموافقات» للشاطبي.

وكان من كبار علماء التوحيد على مذهب السلف رحمهم الله، يعرض القضايا الدقيقة فيه بأسلوب مُيَسَّر واضح، وقد كان رحمه الله واقفًا على كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذا العلم. ولقد استطاع أن يردَّ ماجاء في شرح الطحاوية وهو مقتبس من كلام ابن تيمية وتلميذه إلى مواضعه في كتبهما، وقد تضمنت طبعة المكتب الإسلامي الأخيرة للكتاب هذه الإحالات.

وكان في علوم العربية متمكنًا، فقد كان في النحو مرجعًا تراه يورد في حديثه القاعدة النحوية إذا اقتضاه التوضيح أن يوردها وكأنه من المتخصصين في النحو، وكان ذواقة للنصوص الجميلة وهذا يدل على موهبة بيانية أكرمه الله بها وعلى تمكنه من علوم البلاغة.

وكان في الكتابة ذا أسلوب متين جزل بليغ، لايقل عن أساليب كبار الكتاب والأدباء، تتصف عباراته بالإيجاز والإحكام والبيان والوضوح والجزالة. ولديَّ عدد من رسائله الشخصية إليّ وهي نماذج على ذاك الأسلوب العالي.

وكان ذا بيان مشرق متدفق إذا تكلم أو درس، لا يتلعثم ولا يتوقف ولا يلحن.

وكان مناظرًا قوي الحجة مستحضر الدليل يحيط بأطراف الموضوع الذي يناقشه.

وكان مدرسًا ناجحًا سواء كان درسه في الجامع أو في الجامعة، فلقد كان له درس أسبوعي في مسجد الشيخ محمد كما ذكرنا آنفًا، ثم لما انتقل إلى بيته في شارع الخزان كان يؤم الناس في المسجد الذي يقابل بيته وكان يلقي بين الفينة والأخرى دروسًا تأخذ الألباب في روعتها وعمق معانيها وغزارة أدلتها.

وقد حدثني ـ رحمه الله ـ أنه أراد أن يحذر إخوانه في مصر من دجل الدجالين من القصاص والوعاظ الذين يأتون في دروسهم بالأقاصيص الممتعة التي تشد السامعين وتمتعهم وتستحوذ على إعجابهم ولا أصل لها، والعامة هذا شأنهم في أغلب البلاد، فألقى عليهم درسًا ملأه بمثل تلك الأقاصيص الغريبة فأعجبوا بالدرس واستمتعوا فلما رأى ذلك باديًا على وجوههم سألهم: ما رأيكم: أهذا الدرس أحسن أم الدروس السابقة؟ قالوا: بل هذا: إنه درس جميل ممتع. فقال لهم: هذا كله غير صحيح وما كنا عليه في دروسنا السابقة هو الصواب.

فأفهمهم بهذه الطريقة العملية أنه ليس عاجزًا عن أن يأتي في درسه بما يستحوذ على إعجابهم ، ولكن الحق هو الذي ينبغي أن يكون رائد الموجه والعالم.

إن العالم ينبغي أن يكون مربيًا مرشدًا يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، لايداري ولايتكلف التأويل ليسوغ للناس ما يحبون من الخرافات والأباطيل.

وقد أبتلي المسلمون من زمن بعيد بالقصاص الذين يملؤون مواعظهم بالأحاديث الموضوعة والواهية، ويأتون بالقصص الغريبة ولو كانت باطلة ليجعلوا الناس يقبلون عليهم فكان الشيخ رحمه الله يحذر الناس من الوقوع في أحابيلهم.

وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون إحاطة شاملة، فلقد كان يصحب القاموس المحيط، وقد حدثني أنه يجد متعة في قراءة مواده. والناس عادة لا يرجعون إلى القاموس إلا عندما يريدون معرفة معنى كلمة، أما الشيخ رحمه الله فقد كان يقرأ فيه كما يقرأ أي كتاب من الكتب.

أما فهمه لعبارات الأقدمين في كتبهم فقد كان شيئًا مدهشًا حقًا، وبعض العبارات بالغة التعقيد بسبب الرغبة عند هؤلاء المتقدمين في تحميل الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة.. لقد كان ينظر في العبارة العويصة فيحلها ويشير إلى مراميها ومقاصد كاتبها، على نحو لا تجده إلا عند قليل من أهل العلم.

والعلماء نوعان: علماء ينعزلون عن الناس، ويتفرغون لكتابة الكتب والمصنفات وعلماء يعنون ببناء النفوس وتوجيه العامة وإرشادهم، وبالإجابة عن أسئلتهم وحلّ مشكلاتهم، وقد كان فقيدنا العظيم من النوع الثاني وقد انتفع بعلمه وتوجيهه خلق كثير، وهناك عدد من مشايخنا كانوا من النوع الثاني وهم جبال من العلم، وكذلك في العصور السابقة كان أكثر العلماء من هذا القبيل، وأحسب أن فقيدنا كان يحمله على ترك التأليف عامل آخر وهو زهده في الشهرة والسمعة والمناصب.

ومع ذلك فقد كتب تعليقات نافعة على أجزاء من تفسير الجلالين كانت مقررة على طلاب المعاهد العلمية. وكتب تعليقات موجزة نافعة على كتاب الإحكام للآمدي، وطبعت له مذكرة في التوحيد وهي الأمالي التي كان يلقيها على الطلبة.

وقد كتب عددًا من الفتاوى والبحوث وذلك خلال عمله في اللجنة الدائمة. وكتب عددًا من المقدمات لكتب علمية أو رسائل جامعية.

وكان إذا رأى كتابًا خفيفًا لأحد المحدثين ليس فيه أصالة ولا دقة ولا استيفاء قال: يا ليته ما ألّف! ويا ليته اقتصر على الانتفاع بما كتب الأئمة.

ومهما يكن من أمر فإني لا أستطيع أن أنقل للقراء صورة حقيقية لعلم الرجل الواسع في هذه الكلمة.

وكان تغمده الله بالرحمة سلفي العقيدة، يدعو إلى الحق على بصيرة، وكان رئيس جماعة أنصار السنة في الإسكندرية يوم أن كان في مصر.

وكان يتصف بسعة الصدر وحسن المناقشة والحلم وإلانة القول لمن يسأله ويناقشه، فقد ذكر لي الشيخ ناصر الدين الألباني أنه في أول قدمة جاء فيها إلى المملكة من بضع وأربعين سنة قابل عددًا من المشايخ وذاكرهم في مسألة قررها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي مشكلة في نظره، وقد أنكرها، فاشتدوا عليه إلا واحدًا وكان هو الشيخ عبد الرزاق عفيفي الذي تلطف به وناقشه في الموضوع، وكان الشيخ الألباني يذكر هذه القصة مشيدًا بالصفات الكريمة التي تميز بها الشيخ رحمه الله.

أما الأعمال التي قام بها فقد عمل مدرسًا في المعاهد الأزهرية في مصر، ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٦٨هـ فدرّس في المعارف ثم في دار التوحيد في الطائف، وكان الملك عبد العزيز قد استدعى شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار ليكون مديرًا له، فعمل فقيدنا فيه، ثم انتقل إلى نجد فدرّس في الرياض وعنيزة، ولما أنشئت كلية الشريعة في الرياض كلف القيام بالتدريس فيها، ولما جئت لـلتدريس في كليتي الشريعة واللغة عام ١٣٨١ ـ ١٣٨٢هـ كان لي شرف لقائه والاجتماع به. وكان من أقدر الأساتذة على نقل المعلومات إلى أذهان الطلاب، يبسط المسألة المعقدة ويوضحها، وما ذلك إلا

الشيخ عبد الرزاق عفيفي

من بقية السلف

لتمكنه من العلم؛ لأن الإنسان عندما تكون المعلومة واضحة في ذهنه يستطيع أن ينقلها بيسر إلى الآخرين مهما كانت دقيقة وصعبة.

ثم أنشئ المعهد العالي للقضاء في سنة ١٣٨٥هـ وكان الشيخ من المخططين لمناهجه، وعُيِّنَ مديراً له، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء.

ثم انتقل إلى دار الافتاء عام ١٣٩١هـ فكان عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ونائبًا لرئيسها وبقي فيها حتى وفاته، رحمه الله رحمة واسعة. وكان أيضا عضواً في هيئة كبار العلماء.

وقد أشرف على عدد من الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه وناقش عدداً آخر منها.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي المملكة يقدره ويستشيره ويعتمد عليه في كثير من الأمور تقديرًا لعلمه الواسع، ورأيه الصائب، وإخلاصه الجم.

والفضلُ يعرفُه ذووه. وكذلك كان الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز حفظه الله وأطال عمره.

وكان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله متواضعًا زاهدًا في متاع الدنيا ومناصبها، لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلا إن دعي، وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضي ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

وكان يبذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم، ولا يردُّ صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له.

كان يحج كل عام منذ أن هاجر إلى المملكة، يدرس في الحرم ويفتي الناس في شؤون دينهم ولاسيما في أمر المناسك. وله اقتراحات نافعة أُخذ ببعضها بالنسبة إلى الضحايا والهدي. وقد حججت معه مرات، وأشهد أنه كان في المواقف ولا سيما في عرفات كثير التضرع، يدعو ربه ويجتهد في الدعاء والدموع تنهمر على لحيته ويسأل الله المغفرة والرضوان وإصلاح أحوال المسلمين ويطيل في ذلك. وقد حجَّ في هذا الموسم الأخير على الرغم من ضعفه بسبب الشيخوخة وإصابته ببعض الأمراض.

كان يعرف للناس أقدارهم ولاسيما إن كانوا غرباء، وكان متواضعًا يكرم الصبيان والفتيان ولايدعوهم إلاّ بألقاب التكريم، ويتودد إليهم. وقد رأيته يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكة أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم رأيته في قمة التواضع، إذ كان يؤثر الكثيرين في الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنه أجدر منهم بهذا التقديم.

وكان حكيمـا في تصرفاته يفرض احترامه على الآخرين مهما كان رأيهم فيه، فما يقدم على تصرف يُعرضه إلى الحرج أو الانتقاد.

وكان بعيداً عن المراء والجدل الذي لا طائل من ورائه، ولا يخوض في الموضوعات التي لها حساسية ويتركها للآخرين.

كانت له آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لا يذكرها إلاّ للخاصة من أصحابه، ولا يسوؤه أن يكون هناك من يخالفه فيها، وإذا ذُكرت الآراء المخالفة له أمامه لا ينفعل ولا يتشنج لأنها تخالفه بل يقول: لكل رأيه. وهذا خلق عظيم ما أحوج العلماء إليه. لماذا نمنع أن يكون للعالم المؤهل للاجتهاد والنظر آراء تخالفنا؟ إن الحق ليس مقصوراً على مذهب معين، ولا يحتكره ناس معينون، وقد يدرك المتأخر أمرًا لم ينتبه إليه المتقدم.

وكان صابراً.. نزلت به كوارث شديدة فلم تضعضعه ولم تخرجه عن اتزانه وخلقه:

أصيب في عام ١٣٧٦هـ بشلل نصفي وعافاه الله منه، وأصيب بعدد من الأمراض كان فيها نعم العبد الصابر، وقتل ولده الكبير أحمد عاصم رحمه الله في حرب ١٩٦٧م التي قامت بين اليهود ومصر، فتلقى الخبر صابراً محتسبًا، وكان في مجلسه يحمد الله، ويحدث الحاضرين وإذا غلط أحد المعزّين في قول يجاوز به الحدَّ الشرعي أنكر عليه وردّه إلى الحق.

ثم توفي ولده الأصغر عبد الرحمن رحمه الله فكان كذلك في غاية الصبر والرضى بقضاء الله وقدره.

ثم توفي ابنه عبد الله في ١٤١٣/٦/٣٠هـ فجأة في جدة، فكان أيضًا مثلاً في الصبر والاحتساب والتسليم.

سافرت زوجته مرة إلى مصر، وعندما أرادت أن تعود إلى الرياض إلى زوجها وأولادها منعت من العودة مدة طويلة، لمضايقة الشيخ وإيذائه، فصبر وصابر حتى أذن الله بالفرج وعادت إلى بيتها.

وكان ذا روح خفيفة قلما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة واقعية تنشط السامع وتسره، وتؤدي غرضاً توجيهيًا.

وكان بعيد النظر، عميق الفكر، له جولات نقدية موجزة يدركها الواعي من جلسائه، ولا يُذكر في مجلسه أحدٌ بسوء.

وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام معرفة دقيقة، وكان حكمه عليهم حكمًا سديداً، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم ومدى تأثرهم بذلك كله.

وكان كريمًا كرمًا أصيلاً لا يتكلف يريد المباهاة والمفاخرة، بل يقدم ما تيسر وما كان أعده لنفسه، وكان بذلك قادرًا على أن يقيم في كل يوم وليمة. وكان إذا علم بمجيء عالم يعرفه دعاه إلى الطعام، وقد حضرت الكثير من هذه الولائم. وبيته مفتوح كل ليلة للزائرين وطلاب العلم والمستفتين والذين يبغون الشفاعة في أمر من أمورهم.

أما أسرته في مصر فهي أسرة كريمة في شنشور تعد من أعيان البلد وأفاضلهم وتعرف بأسرة النوبي، وقد حدثني رحمه الله عن والده وصفاته الكريمة حديثًا طويلاً. والشيخ هو عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية.

وقد تزوج سيدة فاضلة من أسرة كريمة من الإسكندرية هي أسرة سالم، أنجب منها عددًا من البنين والبنات وهم المهندس الزراعي أحمد عاصم رحمه الله، والأستاذ محمد نبيل حفظه الله والأستاذ محمود حفظه الله والأستاذ عبد الله رحمه الله، والأستاذ عبد الرحمن رحمه الله.

وأما البنات فثلاث وقد أكرمه الله بأصهار صالحين بررة.

وكان يهتم بتربية أولاده، فكانوا مثالاً في الاستقامة والبر، ولقد كان الأستاذ محمود منقطعًا لخدمة والده وضيوفه، فكان هو الذي يصحبه إلى الصلاة، ذلك لأن الشيخ في آخر حياته كان لايقوى على المشي، فكان يستخدم كرسيًا طبيًا، وما كان الشيخ رحمه الله يترك صلاة الجماعة في المسجد في وقت من الأوقات الخمسة، وكان الأستاذ محمود - أحسن الله إليه - يجلس معه يقوم بخدمة والده وتقديم الضيافة للضيوف وتنفيذ أوامر الشيخ. وكان يلازمه إذا مرض لايتركه.

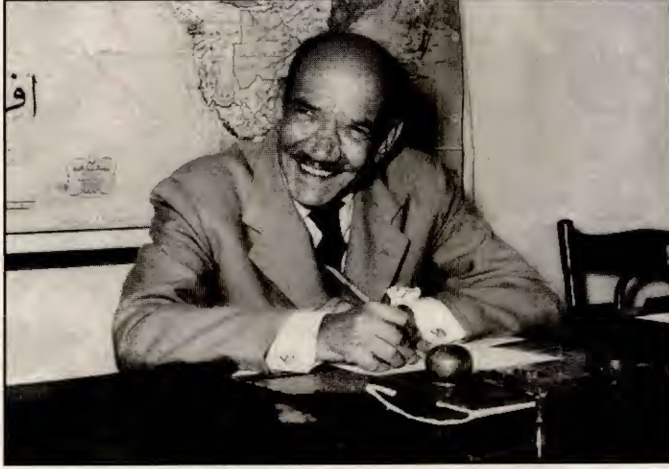
إن حياة شيخنا المباركة تستحق أن نكتب فيها مؤلفات، ولست أدَّعي أن هذه الكلمة قد وفت فقيدنا العظيم حقه من الترجمة، ولكنها كلمة وفاء وعرفان بالجميل. رحمه الله وغفر له وأحسن جزاءه. كانت حياته حافلة بالجد النافع من الأعمال. فلم يكن يشغل الشيخ عن العلم والعبادة ولقاء الناس وتعليمهم شيء مما يشغل الآخرين. فلم يكن الشيخ يسمع الإذاعة ولم يكن يرى التلفاز ولم يكن يعنى بقراءة الجرائد، بل كان ينفق وقته كله في قراءة القرآن ومطالعة مسائل العلم. ونحسب أنه كان ممن طال عمره وحسن عمله ولا نزكي على الله أحدًا.

رحم الله شيخنا عبد الرزاق، وأبدله دارًا خيرا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله وأحله في الفردوس الأعلى من الجنات مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الهوامش :

(١) «الأمالي» للقالي: ١٠٢/٢

تجربة أحمد رامي في الشعر



د. عبده بدوي

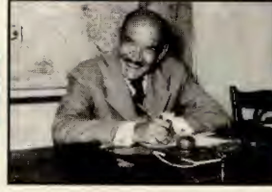
يعتبر الشاعر "أحمد رامي" - الذي فارقنا فترة كالنسيم - من الشعراء الذين فجَّروا الوجْدان العربي بهذا الهمس الوديع، وهذا "البهاءِ العذب"، وهذا الأنين الذي لايكادُ يسمع، فقد اختار لنفسه البُعد عن الجزالة، والجهارة، وأحداث الحياة، وبخاصة مايتصل منها بالجانب السياسي، فهو قد خاطب الجوانب العاطفية في الإنسان العربي، وصوّر باقتدار حالة وجد خاصة به، بل وأكاد أقول إن وقفته كانت طويلة عند الجوانب السلبية في هذا الإنسان حين تحدث طويلا، عن القَد، والعيون، والعَذُول، والخوف من فقد الحزن، بالإضافة إلى الحديث المتكرّر عن الوحدة والغربة والموت، والرضى بأي شيء من الحبيبة، وبصفة خاصة حين تحدَّث بلوعة عن "الحرمان العاطفي" وحين لَوَّن كل ماقاله بظلال من التصوف المشع، وبهذا الشجن الهادىء الذي لايخلع القلب، ولا يعقد العمر.. فغاية ماكان يفعله هو نشر غلالة غروبية من الحزن والأسى على مساحات كبيرة من الكلمات.

ولعل مما ساعده على ذلك مِزاجه الخاص، واستيعابه لميراث الحب في الشعر العربي، واقترابه الحميم من العباس بن الأحنف وصبري وشوقي، وإطلالته على حضارة شرقية هي الحضارة الفارسية، وفي الوقت نفسه اعتباره وليدا شرعيا للخصائص الاجتماعية والنفسية التي كانت سائدة في أوائل هذا القرن. ثم إنه شهد انكسار ثورة ١٩١٩م بصفة خاصة.

ثم إنه في هذه المرحلة شهد فترة من القحط الوجداني التي أدت - في عالم الأغاني بصفة خاصة - إلى نوع من الإباحية، والخوف من المستقبل، واللامبالاة في الحياة.

روح الحداء

وعلى كل فنحن نراه من خلال شعره وأغانيه وليد هذه الروح الغنائية الموجودة بغزارة في الشعر العربي، ذلك لأن هذا الشعر ظل مليئا بروح الأغنية، ومترعا بروح «الحداء» قديما وحديثا، وفي ضوء هذا رأينا أحمد رامي يمسك بهذه الخيوط المرهفة، ويُكوِّنُ منها طُرُزا عصرية تتفق وأذواق الناس من حوله، فإذا أضفنا إلى ذلك تعرفه المدرسة الرومانسية في الغرب - وبخاصة فرنسا - والتراث الفارسي - وبخاصة



رباعيات الخيام - التي نقلها شعراً مرهفاً للعربية، وأنه عرف من كتاب الأغاني - وكان أثيرا لديه - أنه غير في قوافي قصيدة شعرية لضرورة اللحن الموسيقي في حضرة الوليد بن يزيد (ت ٧٤٤) وأن شعراء «التروبادور» كانوا ينظمون الشعر ويلحنونه في الوقت نفسه، وأن الشعر قد تطور من الغناء الفردي إلى الغناء الجمعي، وأن شعر الموشحات ذا الخرجات الأجنبية كان مما يعجبه، وأخيرا كان لقاؤه مع «أم كلثوم»، إذا عرفنا ذلك أدركنا أنه كان ثمرة لهذا كله.

والملاحظ أن أحمد رامي من خلال كل ماكتب لم يضرب بعمق في الحياة من حوله، ولم يشغل نفسه بالقوانين التي تحكم الحياة والأحياء، فهو لم يخاطب العواطف القصية والمركبة في الإنسان، وهو لم يلتزم بفكر حزب من الأحزاب، وهو لم يحدث ضجة في الأشكال القديمة، ولم يحفر بعمق وراء الأحاسيس المختلطة في الإنسان، وأخيرا فهو لم ينبه صورا غافية في ذاكرة قارئه، ذلك لأنه لم يتكيء جيداً على التراث، واكتفى بمس العواطف من الخارج في كثير من الأحيان. وكما اكتفى بالتفريع عليها، فإنه اكتفى في بعض الأحيان أن تكون اللغة مجرد إشارات إلى الأشياء، وهكذا فقد تحدث عن الأشياء من قرب، ولامس العواطف بالرذاذ والندى، وقلّب الفكرة على أكثر من وجه.. وبعبارة موجزة كان نسيما لاعاصفة، وجدولاً لابحراً.

من التشبيب إلى النسيب

وإن كان يُحفظ له أنه خطا خطوة موفقة في الانتقال من «التشبيب» إلى «النسيب»، فبعد أن كان الشعر - وبخاصة مايغنى منه - يكاد يكون مقصورا على المفاتن الجسدية، رأيناه يلتفت التفاتة حاسمة نحو الغزل في الروح، أو بعبارة أخرى رأيناه يتحدث عن حالات الروح من خلال دوائر عدة في مقدمتها: الصد، والهجر، والدلال، والخصام، والغيرة، ولنتأمل قصيدة له بعنوان "الفراق":

أوكلما عرضت بقُربك حُلوةٌ
مرت على خوف أواستعجال
لم أدر ماطيب العناق، وأنسه
مادام قد خطر الفراق ببالي
نجوايَ ألفاظٌ تذوب على فمي
من غير أن أحظى برد سؤالي
وتطلعي لبهاء وجهك خلسة
أرضى بها خوفا من العُذّال
تمضي الليالي في غيابك لوعةً
تطغى على صبري ورقّةِ حالي
وأبيتُ أجمع من شتات مواقفي
ذكرى أعيش بها على آمالي
حتى إذا سمح الزمان بلقيةٍ
سنحت سنوح الطيف عبر خيالي
ورأيتني من قبل أنسي باللقا
في وحشة غامت على بلبالي
مابين ساعة قربنا، وفراقنا
ماضٍ من الغيب الخفي بدالي
تترى عليَّ الذكريات، فبعضها
نائي المدى والبعض منذ ليالِ
وجميعها في خاطري أنشودة
ذابت على صدر الفضاء حيالي

الاستعانة بعناصر الطبيعة

وقد كان مما ساعد على طرح هذه الحالات، وهذه الهموم، أنه كثير الاستعانة بعناصر الطبيعة الوديعة من حوله، فهو يمزجُ بين قلبه والهَزار، ويتسامر مع البدر حتى تهل الحبيبة، ويصنع أكثر من وردة حين يحلق في دنيا الحب، فإذا تعرض للطبيعة الجليلة مثلا، رأيناه يُطامن منها، على نحو مانعرف من استئناسه لكثير من ظواهرها، إلى حد أنه يطلب من البحر أن يكون «وسيطا» له لدى محبوبته:

ولي حبيبٌ قضيت العمر أكلؤه
بمقلة لم تذقْ لذاتِ وسنان
نسيت في حبه نفسي، ومطعمها
فكان كل تعلاّتي ووجداني
فاسأله يابحر أن يحنو على دَنِفٍ
أذوى به طول تَسهادٍ وهِجران
واسأله يابحر أن يرثي لمكتئب
لايعرف الأنس في أهل وأوطان
واسأله يابحر إن حان الرحيل له
عن الحياة، وعن عيش بها هاني
أن يذكرَ الراحلَ الثاوي بحفرته
وأن يدرَّ عليه بردَ رِضوان

وقد ظلت هذه الجوانب الرومانسية حية في شعره، بعد أن تحول إلى «آلة موسيقية» تُغني عليها - وبها - أم كلثوم، كما أنه بمرور الزمن كان يضحي بالمعنى والصورة أحيانا لحساب الجملة الموسيقية، وسحبة الصوت، ووقفاته، وطبيعة الوقت، والترنم، بالإضافة إلى مايريده الملحنون، وإلى إمكانات الطرب في الموسيقى الشرقية، وفي ضوء هذا رأيناه يتحول إلى «الزجل»، وإن كان قد أخصبه، حين أدخل فيه بعض بحور الشعر الفصيح ومجزوءاته، كما رأيناه يمزج بين الأبحر المتقاربة، ويستخدم مايسمى بدوائر الأبحر، على كلٍ نلاحظ عليه بصفة عامة إكثاره من البحور المتماثلة التفعيلات، ومن مجزوءات هذه البحور، ويتعامل بحرص مع القوافي ذات الرنين المشبع للآذان، بالإضافة إلى الصور القريبة، والنقية، التي كان يهمس بها همسا(١)، وبصفة عامة نرى أن دوره يكمن في عدد من الإيقاعات المتلألئة، وأن هذا الإيقاع كان يعتمد على فترات متساوية زمنيا إلا في شطر وشطر فقط، ولكن في صميم السياق، ولقد كان يفعل هذا ليعطي القارىء وحنجرة المغني - وماأكثر الحناجر التي غنت له - نوعاً من الراحة والانسجام والترديد، والحق في "تكميل النغم" وهو بهذا كان وفيا لمتطلبات الغناء، ويختلف عن المدارس الحديثة

التي تتعمد إحداث نوع من الغرابة «والتنشيز» في الإيقاع لإدخال نوع من التشويش والقلق على القصيدة استجابة للعصر المتداخل المشوش اللاهث، ولـلنفس الحديثة المسكينة التي تئن وتتشابك وتتداعى مع أشياء كثيرة.. وهو بهذا يكون حريصا على خصيصة من خصائص الفن العربي، وهي التناسق والتناغم، وعدم الخروج عن المألوف إلا بمقدار.

توريق القصيدة

وإذا كان هناك بعض الشعراء الذين أدركوا الإيقاعات الكونية، وحبسوها داخل قصائدهم - كالبروق - فإن الملاحظ أن الشعر العربي - وبخاصة شعر رامي - قد اعتمد على الإيقاعات البارزة للحياة اليومية المتوارثة، وإذا كان من المعروف أن الإيقاعات في الآداب والفنون الإسلامية تعتمد على التوافق والتناظر، والتبادل، فإن شعر "أحمد رامي" يدور في هذه الدوائر، وبخاصة حين نعرف تركيزه على الزخرفة الموسيقية أكثر من تركيزه على زخرفة الصورة، فإذا أردنا أن نقف وقفة عند صوره، وجدناها إلى حد كبير تنتمي إلى عالم الثبات، وإن كان يلجأ في زخرفتها إلى عناصر من الطبيعة، وكأنه الفنان التشكيلي القديم الذي كان يعتمد على عالم النبات، فكثير من قصائده تُذكِّر بما يسمّى في الفن التشكيلي «بالتوريق»، وبالخطوط الهندسية التي تنساب، وتتكسر، وتعود، وكأنها «طبق نجمي»:

إنما أنت مظهر من جمال الـ
سكون، جلت فيه سوامي المعالي
تتجلى في حسنك الغض آيا
تُ بديع في خلقه فنان
فيك معنى الحياة من بْدرها الضّا
مي، ومن حُسْن روضها الفينان
وهدير الحمام في ظلل الأيـ
ـك، تناغى بِشيّق الألحان
وحرامٌ عليّ أني أذود الـ
ـطير أن تستظل بالأفنان

غلبة الانفعال الداخلي

مانريد أن نؤكده هو أن إحساس أحمد رامي بالحضارة العربية الإسلامية كان قويا، ولقد كان مما ساعده على ذلك معرفته الذكية بالعربية والفارسية، وتركيزه على الموسيقى كان لغلبة الانفعال الداخلي على عناصر الضبط العقلي عنده:

صوتك هاج الشجو في مسمعي
وأرسل المكنون من أدمعي
سمعته فانساب في خاطري
للشعر عين ثرَّة المنبعِ
ودب في نفسي دبيب المنى
والبرءِ في اليائس والموجعِ
سلوى من الدنيا تعزى بها
قلب شديد الخفق في أضلعي
كأنما لفظك في شدوه
منحدر من دمعي الطيِّع
فيه صباباتي، وفيه الضنى
يشكو تباريح فؤادي معي
حسبي من الشعر ومن نظمه
صوتك يسري في مدى مسمعي
غني، وخلي الدمع يُروِ الذي
قد جف من نفسي ولم يينع
لعل في نجواك إحياء ما
دفنت من حبي، ومن مطمعي!

بين القرار والجواب

لقد أتيحت له فرصة الاحتكاك بالمسرح، وذلك حين ترجم بعض الأعمال لمسرح "رمسيس" بعد عودته من الخارج عام ١٩٢٥م، بل وحين كتب مسرحية شعرية بعنوان "غرام الشعراء"، كما أنه عرف السينما حين كتب قصة فيلميْ "وداد" و "دنانير"، وكتب أغاني وحواراً لعدد كبير من الأفلام، بالإضافة إلى إطلالته على الفرنسية والفارسية والإنجليزية، ولكن كل هذا لم يصبغه بطابعه، فقد اختار لنفسه أن يحفر عميقاً في عالم القصيدة الغنائية - فصيحة وغير فصيحة - وأن يتسلل إلى قلوب الناس عن طريق آذانهم، وأن يخاطبهم بالأحاسيس التي يحسون بها، وأن يصطاد الأنغام التي ترضيهم، ومن ثم كان تأثيره في عصره أكثر من كبار الشعراء الذين عاشوا في عصره، وكان تأثيره بمعاني الفصحى على معاني العامية، ولك أن تتأمل قوله:

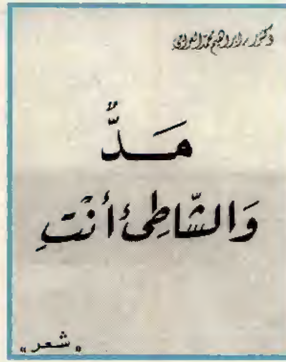
الليل عليَّ طال بين السهر والنُّوح
اسمع لوم العذال أضحك ونا المجروح
وعمري ماشكي من حبك.. مهما غرامك لوعني
لكن أغير م اللي يحبك .. ويصون هواك أكثر مني
أول عيني ماجت في عنيك . . عرفت طريق الشوق بينا
وقلبي لما سألته عليك .. قال لي : دي نار حبك جنة!

من كل هذا نعرف أنه عاش «صوتا» نقيا صافيا، كما كان يذكر الأقدمون - كالأصفهاني - عن الغناء. وقد استعان إلى جانب هذا بالخيال، فكان أن تمت المزاوجة بين الموسيقى والتجربة، مما ترتب عليه وضوح الإيقاعات في المقاطع، وتنظيم الوقفات بين القرار والجواب، بالإكثار من حروف المد، وبتلوين التنغيم، وتخير القوافي، للتعبير عن خلجات النفس، وعن معاناة الحنين، على حد مايذكر عبدالقاهر في أسرار البلاغة «.. من المركوز في الطبع، أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف!».

الهوامش:

(١) أخذ عليه رجاء النقاش في كتابه أدباء معاصرون ص ٢٣٧ - ٢٤١ أنه لم يتأثر بالخيام، وأنه لاعلاقة لشعره بالفلسفة، وأنه شاعر آراء مبعثرة، وأن صوره مفككة، وأنه يستسلم للألفاظ والصور الفنية ذات الجمال الخارجي، وأن شعره شعر «الصاجات» لاشعر الموسيقى العميقة.

* العنوان : مَدٌّ.. والشاطىء أنت
* المؤلف : د. إبراهيم محمد العواجي
* الناشــــر : نادي الطائف الأدبي،ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. ص ١٣٧.



هاهو ذا الديوان الخامس للشاعر إبراهيم العواجي، الذي عَنْوَنَه بـ «مدٌّ.. والشاطىء أنت» والأربعة التي سبقته كانت على التوالي: المداد، نقطة في تضاريس الوطن، هجرة القمر، قصائد راعفة.

وإذا كان الشاعر العواجي طرق أبواب الشعر كلها، فإن باب الغزل هو الأكبر والأرحب ولايعوز شخصيته الإيضاح للدلالة على تكوينها الغزلي والوجداني، لأنه ينطق الشعر بوضوح وصراحة وجرأة.. فترسم لنا معالم الحب والغزل بصورة ناطقة جذابة، ليسترسل المتلقي مع هذا المد من دنيا الهوى والعشق، ويبحر معه، ثم يرسو في موانىء وشواطىء الملهمة بعد رحلة من المتعة الشعرية والوجدانية والحسية المستحبة، وإن كان بعضهم سيجدون فيها خروجاً عن جادة الوقار الاجتماعي.

ومع ذلك فإننا سنبحر مع مدّ الشاعر، ونرسو في أحد الشواطىء، مستخلصين بعض خصائصه وسماته الغزلية، وهي عديدة، نذكر أبرزها وهي: سمة «التوقد والضياء» حيث نجد أن ثمة علاقة بين الشاعر وملهمته تقوم على شدة حرارة العواطف والانفعال والأشواق.. وعلى جمال المحبوبة وانتشار ضيائها في دنياه، كيف عبّر عن هذه الخصّيصة؟!

يبدو أن الشاعر العواجي يستعذب ذلك التوقّد، بل يحسه وجدا وشوقا في كبده من تباريح هواه وعشقه، فلايستطيب الحياة إلا بتلك الحرارة التي تشتعل توقدًا في أعماقه، ولايريد وهيجها أن ينطفىء، ولذلك يطلب منها أن تشعل حمم أشواقه، وألا تخمد وهجها وجذوتها:

لاشيء يطفىء وهج الوجد فاتقدي
يانار سمر وزيدي جذوتي لهبا
وأشعلي حُمَمَ الأشواق في كبدي
فإنني عاشقٌ يستلهم الوصبا

فهو يرى أن الحياة بدون حب تفقد الحرارة، وتستحيل إلى صقيع بارد «يقتل الإحساس والطرب» فهذا يجعله دوماً طالبا منها استمرارية الاشتعال والتوقد، وداعيا إياها إلى خوض غمار تجربة الهوى والصبابة، لتعرف معنى لظى نارها وسعيرها:

لاتطفىء النار ياهذا فلو عرفت
عيناك لون الهوى لن تطفىء الحطبا
فزد لظاها سعيرا إن بي ظمأ
للصب لايرتوي حتى ولو شربا
لو ذقت مثل صباباتي ولوعتها
لأصبح الثلج من نجواك ملتهبا

وهكذا يستمر في ترديد مفردات الاشتعال والتوقد للنار وسعيرها ولظاها في أحاسيسه، وبخاصة في قصيدته العمودية (لاتطفىء النار)، وغيرها من قصائد نتحسس من خلالها توقدَ واشتعالَ العواطف، وحرارة الأشواق وسعيرها.. وقد يعبر عنها بصورة دقيقة، وبحساسية مرهفة لدرجة أن رمشة اللوعة لو لمست النبض لاستعرت مشاعره:

ياموقد الوجد بركان الهوى حمم
لكنه حمم من فوح أزهار
يزيد من لوعتي حتى ولو حضنت
رموشها النبض زاد اللمس إسعاري

ويقوى شعره الحر أيضا على إبراز وقدة نيرانه واشتعال حريق قلبه، كما في قصيدة (حريق) التي يتوق فيها إلى نظرة من المحبوبة لتشعل وتضيء كيانه وتمحو تعبه، ويدعوها ثانية إلى أن تزيد من لهيبه بنار من الوجد يؤجج قلبه:

[فمازال نبضي لهب/ وإن شئت أن تطفئه/ فزيدي اللهيب/ وعذرا/ فهذا هو العشق/ نار/ ووجد/ تؤجج قلب المحب/ وتصبح في لحظة القرب/ شهب/ فزيدي أجيجي/ لهب].

ويبدو أنه ينشد الحريق ليزداد صمودا ضد المحن، وضد من يستبيحون حمى الوطن: [ويتقد العشق. فيّ. إليك. إليه. لهيباً. يؤجج في الصمود. وسر التمرد. ضد المحن. وضد شكوكي. وضعفي. وخوفي. وضد الوهن. وكل الذين. يرومون أن يستبيحوا. تراب الوطن. نقاء الوطن. هواء الوطن. أمان الوطن. فكل تخوم بلادي. مقدسة في بلادي. مقدسة في وريدي].

أما الشاعر العواجي وضياء المحبوبة في سمائه، فيبرزه من خلال الصورة الضمنية التي نستشفها ونستخلصها عبر التشبيه التقليدي المعروف بـ (التشبيه الضمني)، ولكنه تصوير موحٍ بجمال ضياء الملهمة. فإن أراد أن يصور اختفاء الحبيبة وغياب نورها وضيائها، فيلجأ إلى ذكر اختفاء القمر في ظلال الغيوم:

الحب أنت، فما للحب يستتر
وقد جنا في ظلال الغيمة القمر

وإن أراد أن يصور مغيب الشمس، فقد أبقى الملهمة تحلّ مكانها، لتضيء وحشته وسكونه:

تغرب الشمس عن عيون البرايا
فتضيئين وحشتي وسكوني
فطاني بالليل لم يك ليلا
وكأن المساء صبحا بعيني

وثمة مزايا وخصائص أخرى في شعر العواجي الغزلي، منها: إعلان مقدار حبه للملهمة يساوي مقدار حبه للوطن. بل تصبح المحبوبة صورة جميلة ومتألقة للوطن، كما أن الوطن، في الوقت نفسه، يصبح في عين الشاعر صورة جميلة للمحبوبة، فذاك هو التلاحم الوجداني، والذوبان الساخن لكلا المحبوبين: الوطن والمرأة، لاكيان واحد. فنراه مثلا في إحدى قصائده يتساءل: أيهما يحب أكثر:

الملهمة التي ألهمته الشعر وسكنت دمه وقلبه أم الوطن الذي منحه الهوية فصار يعشقه أصلا ونسباً؟! فكان جوابه: إنه لافرق عنده، لأن كليهما سر حاضر في وجدانه وبراءة في شعره وشعوره..

ولأنهما، في الوقت نفسه، يمثلان له كل ماحققه ومالم يحققه من غايات مجيدة:

أحتار أيهما حبي وملهمتي
وأصل وجدي ومن كانت هي السببا
ذات العيون التي أسكنتها بدمي
وفي قصيدي وفي قلبي وماوجبا؟
أم أنها الأرض أعطتني هويتها
فصرت معشوقها والأصل والنسبا
لافرق عندي فالأشباه واحدة
كلاهما السر ماغابا ولا اغتربا
هما البراءات في شعري وفي سفري
ومابلغت ولم أبلغ بها الأربا

ومن سمات شخصية الشاعر العواجي الغزلية، هي دعوته الصريحة إلى الحرية في الحب، فالحرية يجب أن تسود أجواء العاشقين، ومن خلال إزالة القيود بينهم ورفض القوانين التي لاتتفق وطبيعة الهوى والغرام:

قولي كما تبغين لاتترددي
وتأملي ماشئتِ في درب الهوى
ودعي عروق القلب تنبض حرة
والحسن ينطق بالشغاف وبالجوى
فالعشق لاقانون يحكم مدّه
إلا انصهارٌ فيه قلبانا سوا

وإذا كانت هذه هي دعوته إلى حرية العشق، فإنه لايحسب حساب هيجان الحس والاندفاع والتنقل في عالم الملهمات؛ وربما كانت قصيدة (الهجرة إلى الربيع) هي التي يبرر ويدافع فيها عن تلك التهمة الخطيرة في آن واحد:

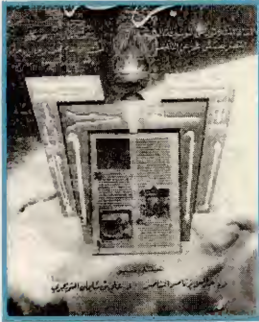
يقولون إني في الهوى مثل طائر
يهاجر من روض لروض ويرحل
له موطن في كل فصل وبقعة
ومن نبعه الصافي يعل وينهل
وفي كل عين تسلب اللبَّ جولةٌ
وفي كل قلب يسرقُ القلبَ موئل
ومأأنا إلا طائر يكره الشتا
ويحرقه صيف الصحاري ويقتل
فأبحث عن أرض شتاها وصيفها
ربيع كما عينيك شمس ومنهل

وهكذا ربما كان الشاعر العواجي لايقرُّ نداء العقل في الحب، فيفلسفه، ولايكون طوع قيده وحكمته، وإلا لو أطاعه لحرم مرارته، لأن المرارة هي العذوبة في الحب بعينها.. ومن هنا كان مذاق ثرى الوطن مراً، ولكن رغم تلك المرارة فهو عذب.

ولهذا كان تلاحم الحب ومذاقه في وجدان الشاعر، حب الملهمة وحب الوطن، لايفارق قلبه وحسه:

فللحبيب نداء العقل مهزلةٌ
وللتراب مذاق المرّ كم عذُبا

العنوان: الجراحة. المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية:
التصريف لمن عجز عن التأليف
المؤلف: العلامة رائد الجراحة الطبيب أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي
تحقيق وتعليق: الدكتوران: عبد العزيز الناصر وعلي التويجري. ١٤١٣هـ/١٩٩٣م



إن في إحياء التراث العلمي والأدبي لأمتنا العربية والإسلامية مفخرة كبرى لكل عربي، ومدعاة للأمل والثقة في تجديد الطاقات المبدعة التي كانت تساهم في بناء الحضارة الإنسانية، ورداً على المتفرنجين والعلمانيين الذين ما فتئوا، يجردون أمتنا من كل أسلحتها وفاعلياتها في العلوم والآداب، جاحدين دورها الحضاري والثقافي، بأن عزو الثقافات والحضارات إلى أمم أخرى، ليست أمة العرب منها، فهي في تصورهم لم يكن دورها الحضاري غير النقل والتقليد، لا الابتكار والتجديد.

ومن هنا يجيء هذا الكتاب المفخرة؛ كتاب «الجراحة»، وهو جزء من موسوعة الزهراوي الطبية «التصريف لمن عجز عن التأليف»؛ فكان أحدث كتب التراث العلمية العربية الرائدة. قام بتحقيقه والتعليق عليه وإعداده بهذه الصورة التي أمامنا كل من الدكتورين عبد العزيز الناصر وعلي التويجري؛ الأستاذين المشاركين بجامعة الملك سعود في الرياض، وهو جهد كبير يحمدان عليه.

إن الموسوعة الطبية «التصريف لمن عجز عن التأليف» للطبيب أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي تضم ثلاثين مقالة أو كتابًا، كل كتاب مستقل عن الآخر. وقد اشتملت هذه الكتب على ثلاثة أقسام: الأول - في الطب والتشريح «مقالتان»، والثانية - في الأدوية والأغذية «سبع وعشرون مقالة»، والثالث - في الجراحة «مقالة واحدة»؛ أي المقالة «الثلاثون»، وهي الكتاب الذي بين يدينا، ونعرضه الآن:

لقد أشار الزهراوي في مقدمته إلى سبب تسمية كتابه بذلك الاسم، فقال: «وإنما سميته بذلك لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب وكثرة حاجته إليه في كل الأوقات، وليجد فيه جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف».

وولد الزهراوي في «الزهراء» وهي ضاحية لمدينة قرطبة الأندلسية، عام ٣٢٥هـ/٩٣٦م، وعاش في بيئة علمية فكرية. ولقد قيل عنه الكثير في المراجع العربية والأجنبية، التي تناولت جوانب عديدة من حياته وسيرته وعلمه وشهرته وريادته ومؤلفاته.

قال عنه صاحب كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» موفق الدين بن أبي أصيبعة:

«كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بـ (الزهراوي). ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب: كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه». وقال عنه صاحب كتاب «تاريخ الطب وآدابه وعلومه» أحمد شوكت الشطي: «يُعَدُّ أبو القاسم الزهراوي حقًا فريد عصره في فنه.. حفظ علم الجراحة في القرون الوسطى، وكان دعامة استندت إليها صروح الجراحة الحديثة، نقل عنه (غي دو شواليك) - المعتبر من أعظم الجراحين في القرن الرابع عشر - كثيرًا من آرائه، واستشهد في كتبه أكثر من مائتي مرة». وقال عنه (جورج سارتون) في كتابه «المدخل إلى تاريخ العلوم»: «هو أبو القاسم خلف الزهراوي أول من نبغ في الجراحة من بين العرب، بل هو فخر الجراحة العربية، وثالث ثلاثة من نوابغ الأطباء العرب وهم: الرازي وابن سيناء، والزهراوي. كانوا بمثابة المصابيح التي أضاءت منها أوربا قناديلها في العلوم الطبية». كما ذكرت بعض المراجع الفرنسية بأنه أحد أركان الثالوث الطبي: أبقراط، وجالينوس، والزهراوي.

ورغم ذلك كله فقد غمط الغربيون فضله، وأهملوا ريادته في كثير من الأمور الطبية التي سبق فيها غيره، فقد أكّدوا أنه ينسب للطبيب الفرنسي (آمبر واز باي: ١٥١٠-١٥٩٠م) أول طريقة لإيقاف نزيف الدم في الشرايين، وذلك باستعمال خيوط خاصة لربط النازف منها مع أن الزهراوي كان هو أول من قام بهذا العمل قبل ستمائة سنة من ظهور ذلك الطبيب الفرنسي.

ولقد وقف المحققان عند أمور طبية عديدة نسبها الغربيون إلى أطبائهم متناسين أسبقية الزهراوي فيها؛ منها: تمكنه من ربط الأوعية الدموية في حال إصابة الإنسان بالتمدد الوعائي «الأنيورزم». وعلاجه بنجاح لمرض السل الناشئ في فقرات الظهر، ولمرض المصابين بداء التهاب المفاصل، وبعض أمراض الكلى والمثانة والمجاري البولية، وإخراج الحصاة من المثانة، واستئصال العينية «البوليب أو الأورام الليفية» من الأغشية المخاطية.

اشتمل كتاب الجراحة - على ثلاثة أبواب: الأول (في الكي)، وتضمن ستة وخمسين فصلاً، والثاني - (في الشق والربط والعضد والجراحات ونحوها)؛ وهو أطول الأبواب، إذ استغرق تسعة وتسعين فصلاً. أما الثالث، فكان (في الجبر) وكسور العظام، وتضمن خمسة وثلاثين فصلاً. وإن مجموع تلك الفصول لتشكل غالبية الأمراض التي تصيب الإنسان وتتطلب عمليات جراحية، وهي أمراض لا تعد ولا تحصى.

على أننا نود أن نستعرض بعض ما جاء (في الكي). مثلاً: في كي الرأس كية واحدة، وكي الشقيقة، وكي أوجاع الأذنين، وكي الصرع، والفالج، واسترخاء جميع العيون، والمانخوليا، وآلام الناصور، والأضراس، وبحوحة الصوت، ومرض الرئة والسعال، والمعدة، وورم الكبد، والإسهال، والمثانة، والدرن، وعرق النساء، ووجع الظهر، والجذام... وغيرها.

بدأ الزهراوي كتابه بمقدمة أوضح فيها أهمية الجراحة، وبخاصة الجراحة باليد، بعد أن رأى أن فن الجراحة في أوربا غير مقبول لدى الأطباء؛ لذا قال:

«لما أكملت لكم يا بنيّ هذا الكتاب، الذي هو جزء العلم في الطب بكماله، وبلغت الغاية فيه من وضوحه وبيانه، فرأيت أن أكمله بهذه المقالة التي هي جزء العلم باليد، لأن العمل باليد محسنة في بلدنا وزماننا معدوم البتة، حتى كاد أن يندرس علمه وينقطع أثره». وربما هذا ما حدا صاحبة كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» الدكتورة الألمانية زيجريد هونكه أن تقول «وقد مثّل القسم الثالث من هذا الكتاب دورًا مهمًا في أوربا، إذ وضع أسس الجراحة الأوربية وسما بهذا النوع من الطب - الذي طالما نظر إليه أصحاب الأمر والشأن من البلاد الغربية نظرة احتقار وتسفيه - إلى مقام رفيع، فأصبحت الجراحة مستقلة بذاتها ومعتمدة في أصولها على علم التشريح»

قام الزهراوي بسرد للحالات المرضية الكثيرة التي مرّ بها، وهي بعدد فصول الكتاب. إذ وصف حالة مريضه، ودرجة خطورته، وطريقة العلاج، ونوعية الأدوية التي تستخدم إثر العملية. وكان يحرص على الوضع الجيد للمريض قبل أن يجري له العملية الجراحية، فإما أن يكون المريض بين يديه أو في حجرة، أو في وضع آخر. وكثيرا ما يذكر اسم الآلة المستخدمة في الجراحة، ويصفها بالشكل المصوّر المرفق مع متن كتاباته.

ولهذا فقد احتشدت صور كثيرة لآلات جراحية في هذا الكتاب. وقد نبّه المحققان إلى أن ثمة تغييرًا طفيفًا رافق الصور الأصلية لما كانت تحتاجه من توضيح. ولذلك استعانا برسام ثقة لنقل الصور كما هي حتى تكون واضحة.

وإذا كان الزهراوي قد أورد في نهاية وصف العلاج الجراحي شكل آلته المصورة، فإنه رسم صورًا أخرى إيضاحية لأشكال الشقوق والأربطة في عملياته الجراحية.

إن المجال لا يتسع لذكر العديد من مزايا هذا الكتاب الرائدة، ولكننا نود أن نشير أخيرًا إلى أنه يضم مادة علمية وعملية، عَبَّر عنها الزهراوي بلغة تستوعب جُلّ المعاني.. وهذا دليل على مقدرة اللغة العربية على احتواء العصر ومواكبته والتعبير عن مستجداته وابتكاراته العلمية الجديدة. ولهذا فقد أورد المحققان في نهاية الكتاب (مفردات) أو مصطلحات علمية عربية في الطب.. وردت تتفق والحالة العلمية في العلاج، ووضع المريض، والدواء، ونوع المرض.. وغيرها مما يحتاجه الطالب أو الطبيب في ذلك الفن العلمي.. فضلاً عما ورد في الكتاب من كشاف خاص في أسماء بعض الأدوات الجراحية، وما يقابلها في اللغة الأجنبية.. وقد أوضح المحققان وصف بعضها.

ونخرج من هذا الكتاب بما شهد الباحثون والمؤرخون الغربيون والعرب للزهراوي بأنه الرائد الأول في علم الجراحة.

برج لندن

٩٠٠ عام من الغرائب والأسرار

قسم الترجمة بالمجلة

نجلاء حسن حامد

برج لندن أو البرج الأبيض أو البرج الدامي، أسماء متعددة لمكان واحد يقصده سنوياً نحو مليوني زائر. ولعل الاسم المناسب له أكثر هو برج «البريق والانطفاء»، فالبريق هو ضوء الألماس الصادر عن مجوهرات التاج المحفوظة هناك منذ مئات السنين، والانطفاء خاص بالأرواح البريئة التي أزهقت في البرج دون ذنب..

ورغم أن البرج أنشأه الملك وليم الأول - الذي عُرِفَ بوليم الفاتح - في عام ١٠٧٨م، كقلعة وقصر في آن واحد، إلا أن الملوك المتعاقبين أضافوا له أبراجًا وقلاعًا وقصورًا وخنادق وبوابات، حتى أصبح أكبر حصن وأمنعه في أوروبا كلّها، يمتد على مساحة ١٢ أكرًا..

برج لندن
٩٠٠ عام من الغرائب والأسرار

أمنع حصن

مرّ الآن أكثر من ٩٠٠ عام على إنشاء برج لندن، أو بالأحرى البرج ذي الأسماء العديدة. وكان قد أقيم في الركن الجنوبي الشرقي من الحائط القديم الذي كان يحيط بالمدينة الرومانية القديمة المعروفة باسم **Londinium**، فبعد أن غزا وليم الفاتح بريطانيا عن طريق الشواطئ الجنوبية المعروفة باسم **EastSus-sex**، أحضر معه في أسطوله عددًا كبيرًا من القلاع الخشبية الجاهزة، وكانت تُركّب الواحدة تلو الأخرى في خلال ساعات قليلة، تحوطها خنادق مائية كبيرة على امتداد زحف قواته إلى داخل البلاد، حتى بلغ مجموعها ٤٩ قلعة. وعندما بلغ أسوار لندن اقتحم المدينة عن طريق نهر التيمس، وأجبر الجميع على الاستسلام، وبعدها أعلن نفسه ملكًا في كاتدرائية ويستمنستر.

بعد اعتلائه العرش خشي من وقوع انقلاب ضده، فأمر ببناء برج من الحجر الصلد ليكون بمثابة قصر وحصن له في آن واحد، حتى إنه أحضر الأحجار خصيصًا من نورماندي.



طلاء جدران البرج باللون الأبيض جعله يحمل اسم البرج الأبيض

ومثل حلقات تنمو في تدرج وثبات في جذع شجرة، أضاف الملوك المتعاقبون قلاعا وأبراجا عديدة وبوابات وأسوارًا وخنادق حتى أصبح أكبر وأمنع حصن في أوربا تغطي مساحته ١٢ أكرا. ACRE (أربعة آلاف كيلو متر مربع).

يتراوح سمك جدران برج لندن بين ١٢، ١٥ قدمًا عند القاعدة، ويتراوح ارتفاعها بين ٩٠، ١١٨ قدما، ويبلغ عرضها ١٠٧ أقدام، وقد طليت جميعها باللون الأبيض.

ولم يكن البرج محلاً أساسيا للإقامة بالنسبة للجالس على العرش منذ الملك هنري السابع الذي توفي عام ١٥٠٩م، ذلك أن ابنه هنري الثامن فَضَّلَ الحياة في أعلى النهر داخل قصر له جدران بيضاء يساير العصر. ومع ذلك بقي البرج مكانا للسكنى ومقرا للراحة للأشخاص المغضوب عليهم حتى منتصف القرن



الحرس الملكي في أحد الاحتفالات ويحمل رجاله الحراب والسيوف، وبعضهم يقيم في البرج مع عائلاتهم

الميلادي الحالي.

استعمالات متعددة

على امتداد العصور، بل القرون المتعاقبة، اسْتُخدم برج لندن في مجالات متعددة منها:

سك العملة: ظلت عملة البلاد تُضرب في البرج مدة ٥٠٠ عام، ابتداءً من أواخر القرن ١٣ في منطقة الجناح الخارجي المعروف باسم «شارع العملة».

سجن منيع: رغم أن البرج لم يكن قد أُعِدَّ كسجن، ولم يكن مزودًا كذلك بأية مرافق رسمية للسجن، إلا أنها أضيفت إليه، وسُجن في سراديبه نحو ١٧٠٠ سجين، نُفِّذَ الإعدام في عدد كبير منهم، بينهم أسماء لامعة مثل توماس مور، السير والتر رالف، الملكة آن بولين وغيرهم.

كذلك استخدم في الحرب العالمية الثانية كمعتقل لأسرى الحرب.

حديقة حيوان: كان الملك هنري الثالث يحرص على مشاهدة استعراض النمور والدببة القطبية في القرن الثالث عشر، ثم نمت المجموعة، وكانت هواية الملك جيمس الأول مشاهدة تصارع الأسود مع الكلاب في القرن١٧، بعدها انتقلت محتويات البرج من الحيوانات إلى حديقة حيوان لندن سنة ١٨٣٥م.

قصر: اشتمل البرج على حجرة العرش الضخمة الخاصة بالملك إدوارد الأول في القرن الثالث عشر الميلادي.

قلعة: على مدى ٩٠٠ عام لم يمر يوم واحد على البرج دون وجود جنود فيه.

كاتدرائية: لم تنجح كاتدرائية سانت جون الموجودة في البرج في حماية أسقف كانتربري عام ١٣٨١م، فقد اقتحمها الفلاحون وسحبوه وقتلوه.

سرداب: ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي، عُرِضَتْ مجوهرات التاج في برج لندن، وقد كُثِّفت إجراءات الأمن بعد محاولة توماس بلود عام ١٦٧١م سرقة المجوهرات من برج مارتن، والآن تُعرض المجوهرات في ثكنات واترلو.

ابنة الكنّاس

استغرق العمل في بناء برج لندن ١١ سنة كاملة، وكان «وليم الفاتح» قد كلف المهندس الإنجليزي جوندولف - الذي أصبح فيا بعد أسقف روتشيستر - بالبناء، وخلفه في إتمام البناء الأسقف رانولف فلمبرد.

والغريب أن الأسقف فلمبرد كان يُجبر الناس على التبرع بالنقود من أجل استكمال البناء وقد استعمل معهم كل أساليب البطش والقهر، مثل الخوزقة وحلاقة الشعر والضرب بالسياط.

ورغم هذا أصبح الأسقف فلمبرد أول سجين في البرج بعد إنشائه مباشرة، حيث قضى ستة أشهر سجينًا في أحد سراديبه، حتى تمكن من الهرب بمساعدة أصدقائه الذين وضعوا له حبلاً داخل زجاجة شراب، ونتيجة معرفته بمسالك البرج ودروبه، تمكن من الهبوط إلى الأرض من ارتفاع ٦٥ قدمًا، بعدها هرب إلى فرنسا، وعاش هناك حتى نهاية عمره، وكان بذلك أول وآخر سجين ينجح في الهرب من البرج الحصين.

لم تكن السياط والخوازيق هي كل أدوات التعذيب داخل البرج، وإنما كانت هناك أدوات تعذيب رهيبة، مثل ابنة الكناس وهو جهاز حديدي هائل يتألف من عدة متاريس تتصل بسلاسل فولاذية سميكة، يُرفع الشخص من يديه وتُعصر أصابعه تدريجيا، ثم يُبدأ في عصر جسده، وكانت الضحية لا تستغرق عادة أكثر من دقيقة لتُدلي باعتراف بجريمة قد تكون بريئة منها كل البراءة.

أمـا زنـزانـة «الــراحـة القليلـة» فكـانـت عبـارة عن قفص حـديـدي لاتتجـاوز مسـاحته أربعـة أقـدام، وبالطبع زنزانـة في مثل هذا الحجم لم تكن تسمح للسجين بالوقوف وقامته منتصبة أو النوم وجسمه ممدود.

أشهر السجناء

من بين السجنـاء في بـرج لنـدن كانت هناك أسماء لامعة ذاع صيتها في العالم كلـه، مثل تومـاس مور، السير والتر رالف، والملكــة آن بــولين، وغيرهم. مئـات مـن تعســاء الحظ الذيـن دلفوا وراء بوابـات السجن إلى المجهول المشؤوم حيث ضربت أعناق عدد كبير منهم.

وكان الملك هنري الثامن (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧م) مسـؤولاً عـن كثيــر من حوادث سفك الـدماء داخل البرج، فقد أصدر حكمًا بإعدام زوجته الملكة «آن بـولين» بعد مـرور ثلاث سنـوات على تتـويجهـا، وكــانت التهمـة هي الـزنـا، أمـا الحقيقـة فهي فشلهـا في إنجاب ابن له.

وكـان الطلـب الأخير لها هـو أن يُضرب عنقهــا بــالسيـف بــدلاً من البلطة، وفعلاً أُجيب طلبها، وأُحضر لها سياف خاص من فرنسا.

كذلك كان السير والتر رالف من ضحايـا البرج، وكان نبيـلاً ذا شعبية كبيرة، كما كـان له أعـداء لأيستهـان بهم. وفي البـدايــة ألقت بــه الملكـة إليزابيث في السجن لزواجه من إحدى وصيفـاتها دون علمهـا، ثم أفـرجت عنـه. وفي عهـد الملك جيمس الأول دخل السير والتر سجـن البرج، رغم أن دليل تـورطه في مـؤامرة لـلإطاحـة بـالملك جيمـس الأول عـام ١٦٠٣م كان ضعيفًا، وبدلاً من الإعدام حُكم عليه بالسجن أعوامًا غير معلومة.

وقد قضى أولاً في البرج ١٣ عــاما سجينًا يعيش في ترف نسبي، بعد أن وضع فراشـا إضافيـا في مكان إقـامته بـالبرج وأحضر زوجتـه وابنـه للعيش معه، وخلال هذه الأعوام زرع تبغًا في الحديقـة، وحوّل قن دجـاج إلى مختبر كيميـــائي، وكتب في وقت فـراغــه كتابًا بعنوان «تاريخ العالم».

وفي عــام ١٦١٦م، بـــدأ حظ السير والتر يتحول إلى الأفضل، فقد أقنع الملك جيمس بأن يرسله في حملة إلى أمـريكـا الجنــوبيـة للبحث عن الـذهب، ولكن عندمـا عاد خـاوي اليـدين أُلقي ثـانيـة في البرج سجينـا وصدر أمر بإعدامه.

وفي هـذا الـوقت كــان والتر قــد أصبح هـرما ومريضـا، وعندمـا بلغ منصة الإعدام، نظـر إلى شفرة البلطة الحادة، وقال مخاطبًا الجلاد: «هذا هو الـدواء المر ولكنـه عـلاج أكيـد لكل أمراضي».

الأميران الصغيران

كذلك شهـد البرج الدامي مقتل أميرين صغيريـن هما إدوارد الخامس وشقيقـه ريتشـارد، بنـاءً على أوامـر عمهما ريتشـارد الثالـث، وقد اتهمـه كل من شكسبير وتوماس مور، بقتل الأميرين.

ولكن أحـد المؤرخين المعـاصرين يقـول بأنـه لايستطيع أحـد التـوكيـد بشأن ما حدث للأميرين الصغيرين، فبعد وصولهما إلى البرج عام ١٤٨٣م، أعلن عدم شرعيتهما بـالنسبة للتاج، واختفى الأميران بعد ذلك حتى لم يعد يراهما أحد.

وبعد مـرور ١٩١ عامًـا عُثر على هيكلين صغيرين مـدفــونين أسفل درج البرج، ولكن لايستطيع أحد أن يجزم بأنهما لــلأميرين الصغيرين، أو أن الملك ريتشارد الثالث كانت له يد في قتلهما، هذا إذا كان الهيكلان لهما.

وقـد نقلت منصــة الإعـدام من داخل البرج إلى التل المجــاور عــام ١٦٤٢م.

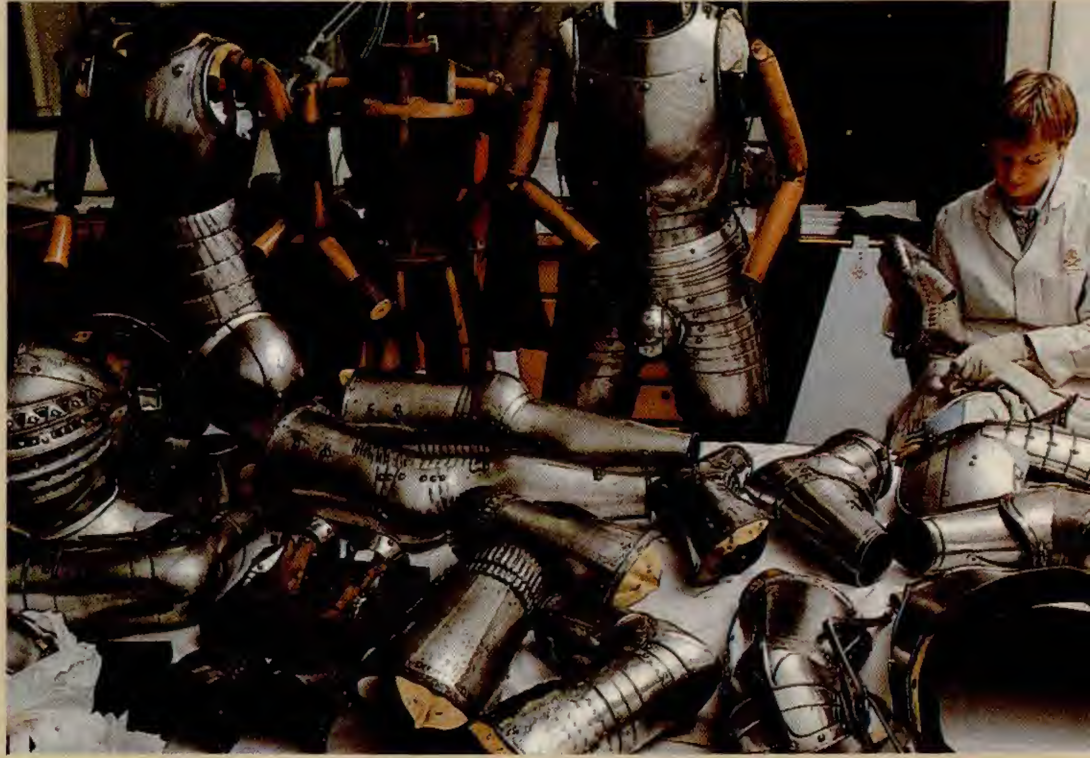


المفاتيح الضخمة في البرج

الإعدام الأخير

نُفـذ آخـر حكم بـالإعـدام عـام ١٩٤١م، في جـاسـوس ألماني يُـدعى جـوزيف جـاكوبس، كـان رقيبـا في الجيش الألماني، وقـد هبط بالمظلـة في لنــــدن في أوائل ١٩٤١م، حيـث أصيبت ســاقـه بعــد أن بلغ الأرض بمظلته.

وعند تنفيذ حكم الإعدام أُجلس في كـــرسي بني اللـــون من طـــراز وندسور، وتولت فـرقة إطلاق النار في الجيش تنفيــذ الحكم فيـــه، حتى إن مسند ظهـر الكرسي انشطـر من سيل طلقـات الرصـاص المنهمر، ولايـزال



الشمع يجعل الملابس المصفحة للملك هنري الثامن تبدو جديدة رغم مرور ٤٧٠ عاماً



قص ريش أحد جناحي الغربان يجعله لا يهرب، ومن ثم لا ينهدم البرج كما تزعم الأسطورة

هذا الكرسي موجودًا في البرج، يُحتفظ به بعيدا عن الأعين من قبيل المحافظة على كرامة البرج.

كذلك شهد البرج كثيرا من الأحداث التاريخية القريبة نسبيا، فخلال الحرب العالمية الثانية مكث أدولف هيس الساعد الأيمن لهتلر في البرج أربعة أيام تحت التحفظ.

ذلك أن هيس قاد طائرته بنفسه متوجها إلى لندن، وعندما هبط في سكوتلندا، ألقي القبض عليه بمجرد خروجه من باب الطائرة، واعتقل حيث كان قادمًا في مهمة تفاوض مع الحكومة البريطانية.

جواهر التاج

تعتبر جواهر التاج هي عامل الجذب الرئيس في البرج، وقد يعتقد البعض أن جواهر التاج المعروضة هنا زائفة، ولكن في الواقع أن التيجان والصولجانات والسيوف والتحف والشعارات الملكية، وكل ما يُعرض خلف الزجاج السميك أشياء حقيقية تمامًا.

وأكثر القطع المعروضة أهمية تاج الدولة الإمبراطوري المرصع بالألماسة الضخمة، المعروفة باسم «نجمة إفريقيا»، والتاج الإمبراطوري للهند، وكل منهما مرصع بآلاف الألماسات. كذلك يعتبر تاج سان إدوارد البسيط من الأشياء التي تسترعي البصر بأسطحه المتعددة الملساء، وهو من الذهب والأحجار شبه الكريمة، ويعود في شكله الحديث إلى عهد تشارلز الثاني، وقد استخدم فقط في ذروة طقوس التتويج لكي يوضح أهمية هذه المجموعة في التراث البريطاني.

والغريب أنه لاتوجد أية تأمينات على هذه المجوهرات، فقيمتها لاتقدر بثمن، ويقول أمين متحف المجوهرات في البرج: «فيما وراء هذه المعادن والأحجار، كيف تضع ثمنا لأثر ارتداه في الواقع كل ملك وملكة في بريطانيا؟».

السرقة الوحيدة

جرت محاولة لسرقة جواهر التاج عام ١٦٧١م، ففي هذه الآونة كانت المجوهرات محفوظة في «برج مارتن»، وهو أبعد برج من البوابة الرئيسة، وقد قام مغامر آيرلندي يُدعى توماس بلاد - أو كولونيل بلاد كما كان يحب أن يُنادى - بسرقة جزء من المجوهرات حينما انتحل صفة رجل دين ووطد علاقته بحارس بيت المجوهرات.

وتمت السرقة في سهولة ويسر ودون إراقة قطرة دم واحدة، عندما توجه بلاد في صباح أحد الأيام إلى البرج ومعه ثلاثة أصدقاء، وطلب من الحارس رؤية المجوهرات، وعندما فتح الحارس الباب، انقض الأربعة عليه، وفروا هاربين بعد أن أخذوا معهم تاج سان إدوارد والكرة الملكية والصولجان.

وبالفعل نجح اللصوص في الخروج من بوابة البرج ومعهم المسروقات، ولكن ثلاثة منهم، بما فيهم بلاد، أُلقي القبض عليهم أثناء تواجدهم على رصيف أحد المرافئ، وقد أصر بلاد على عدم الحديث إلا أمام الملك تشارلز الثاني فقط،

برج لندن
٩٠٠ عام من الغرائب والأسرار

وبالفعل أجيب طلبه، وبعد أن استمع إليه تشارلز قرر أنه غير مدان وأمر بالعفْوِ عنه، ومنحه معاشا سنويا قدره ٥٠٠ جنيه.

ويقول البعض إن تشارلز كان في حاجة إلى النقود، ولهذا السبب كان متورطًا في مؤامرة سرقة المجوهرات وبيعها!

الحرس

يلاحظ زائر برج لندن وجود صف طويل من المنازل الخاصة بُنيت أمام الواجهة الداخلية للحائط الخارجي الذي يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وفي هذه المنازل كان يعيش خدم تابعون للحرس الملكي، كانوا في الماضي يعرفون باسم «آكلي لحوم البقر». ويقول البعض إن هذا الاسم يعود إلى عام ١٦٧٠م، عندما كان هؤلاء الأفراد يتذوقون طعام الملك قبله لحمايته من أي محاولة لوضع السم له في الطعام.

وخلال حكم إدوارد السادس عام ١٥٥٠م، كان هؤلاء الخدم يعملون أعضاءً غير عاديين في الحرس الملكي، الذي كان يضم النخبة، البالغ عددهم ٢٠٠، والذين كانوا يخدمون في قوة الأمن الشخصية للملك.

وعلى مر العصور التالية عملوا حراسًا خصوصين وسجّانين في البرج، وفي مدة الثلاثمائة عام التالية، أو نحو ذلك، عملوا مرشدين في جولات السائحين.

وعندما تولى دوق ويلنجتون مسؤولية الأمن في البرج عام ١٨٢٦م، استاء من حال الحرس، وأصدر أمرًا بأن جميع الحرس يجب «أن يكونوا جديرين بمركزهم، أنيقي الملبس، وأهلاً للتقدير والمكافأة». واليوم، من يعمل في الحرس الملكي في البرج يجب أن يكون من ضباط الصفّ، وله أقدمية في الخدمة تبلغ ٢٢ سنة على الأقل، وأن يكون حائزًا على نوط السلوك.

وفي النهار يرتدي رجال الحرس ملابس قرمزية وقبعات مرتفعة من جلد الدب، يمشون الهوينا أو بخطى موزونة، أو يقفون في اطمئنان في صناديق الحرس الخشبية السوداء. وفي المساء يمرون في دوريات مزودين ببنادق أتوماتيكية، ويطلبون كلمة المرور أو «كلمة السر» من أي أحد يخرج للتريض على قدميه.

وفي الاحتفالات المهيبة يستخدم رجال الحرس الحَرْبَة ببراعة، واضعين السيوف على أحد الجانبين، إشارة للدفاع عن العرش الذي تكون حروفه الأولى مطرزة بالذهب على زي الدولة، الذي يلبسه الحارس ويزن ١٥ رطلاً.



تاج الدولة الإمبراطوري ترصعه ٢٨٠٠ ماسة

الغربان السوداء

في البرج يعيش عدد كبير من الغربان السوداء.

وهناك أسطورة قديمة تقول بأنه إذا تركت الغربان البرج الأبيض - برج لندن ـ فإن هذا يعني تهدّم البرج وسقوط العرش.

وفي البرج يوجد حارس مخصص للغربان، مسؤوليته تشتمل على قص أجنحة الطيور حتى لاتفر، ويقال إن هذا العمل لايسبب أي ألم للطيور، ذلك أن تقليم الريش يتم في جناح واحد فقط، وهذا يسبب ارتفاعًا أقل في الجناح، ونتيجة لهذا، فإن أقصى ما في استطاعة الغربان فعله هو التحليق بين أقواس البناء.

وتعتبر الغربان من الطيور المحمية في إنجلترا، وهناك برنامج يهدف إلى زيادة معدل تكاثرها في برج لندن.

الرهبة والخيال

من يزر برج لندن يجد نفسه يعيش في جو أسطوري خيالي.

فمنذ إنشاء البرج عام ١٠٧٨م، لم يطرأ عليه أي تغيير، ولم تمسه يد الإصلاح، وكل ما طرأ عليه هو تحويل فتحات إطلاق السهام في الجدران إلى شرفات ونوافذ.

كذلك تمرح الغربان السوداء بين أقواسه في حرية دون أن يجرؤ إنسان على طردها، أو إصابتها بسوء.

ويردد بعض قاطني البرج ـ من عوائل الحرس ـ أن هناك أشباحًا تجوس ليلاً في ردهاته. ويبدو أن كل هذه الأشياء على غرابتها، من عوامل جذب السائحين الذين يبلغ عددهم نحو مليوني زائر سنويًا، يأتون لزيارة البرج من شتى أنحاء العالم.

---

(1) NATIONAL GEOGRAPHIC VOL 189, NO.4 - OCTOBER 1993.

(٢) المقتطف جزء ٣٠ ـ سنة ١٩١٦م.



كيف نتخلص من التجاعيد؟

د . إبراهيم عادل الأدغم

تعتبر التجاعيد في أيامنا هذه من المشاكل المؤرقة للإنسان أنثى كان أم ذكرا؛ لأنها تُوضح له انتهاء مرحلة ودخوله في مرحلة أخرى من العمر، ودخوله في سن اليأس أو الشيخوخة ، ولما كان الإنسان حريصا على الحياة ومظاهرها، وأضحى كثير السفر والترحال؛ لأن العالم أصبح هذه الأيام قرية صغيرة، نظرا لتوفر وسائل التنقل المريحة ورؤيته ما يحدث في العالم من خلال نافذة التلفاز، فإنه بدأ ينفق الكثير على مظهره لحرصه الشديد على أن يبدو دائما شابا صغيرا، يتمتع بالقوة، والحيوية، والرشاقة الدائمة، وذا مظهر جذاب، خاصة للأجزاء الظاهرة كالوجه والأطراف، ليشار إليه بالبنان والإطراء على جاذبيته، ولما كان الوجه هو مرآة الإنسان، فإننا هنا سوف نركز عليه بصفة خاصة، وعلى باقي أجزاء الجسم بصفة عامة، إذ إن كثيرين لايدركون مدى الأذى الذي يمكن أن يلحق بالبشرة نتيجة تعرضها لعوامل داخلية وخارجية، تؤدي بها إلى شيخوخة مبكرة، لايدركون ذلك إلا متأخرًا، وعندها يبدأ عناء البحث عن العلاج المناسب الذي قد يكون هذه الأيام فعالاً ولكنه مكلفا .

ولأن كثيرين أيضا ليس لديهم دراية كافية بالمحافظة على بشرة نضرة صافية خالية من العيوب والتجاعيد والترهلات، فقد واجهنا خلال عملنا نساء ورجالاً في مقتبل العمر وفي مرحلة الشباب والحيوية، يبدون أكبر من سنهم الحقيقي، نتيجة لإهمالهم أو لجهلهم وعدم قدرتهم على الحصول على استشارة طبية فعالة تمكنهم من المحافظة على بشرة سليمة .

ونحن هنا لسنا بصدد وصف بعض الوصفات البلدية أو الشعبية، فهذه متوفرة بكثرة في الأسواق الشعبية، وبين عامة الناس بل وحتى في محلات بيع أدوات التجميل، ولدى معاهد وخبيرات التجميل المنتشرة بكثرة هذه الأيام، ولكننا هنا نبين للعامة، ونستعرض لهم بأسلوب علمي حديث العوامل المساعدة على ظهور التجاعيد من وجهة النظر الطبية، حتى يمكن تلافيها في المستقبل، مع طرق الوقاية والعلاج .

أولا: ثبت علميا مع مادلت عليه التجارب والأبحاث أن البشرة الدهنية من أهم العوامل والأسباب المؤدية

كيف نتخلص من التجاعيد؟

لتشوه البشرة، لأن وجود الدهون يؤدي إلى تكوين الحبوب (ACNE)، والبقع (PIGMENTATIONS)، وأيضا الالتهابات الجلدية (SEBORRHEIC ECZEMA)، مع مايتركه ذلك من آثار بشكل نتوءات وحفر، وتلوين للجلد مع ظهور بقع بنِّية صغيرة على سطح الجلد تسمى (SEBACEOUS KERATOSIS)، أو تحت سطح الجلد كغدد دهنية (SEBACEOUS CYSTS)، وقد اتضح أن وجود الدهون يؤدي إلى عدم تماسك ألياف الجلد القابضة والمانعة للترهل، إضافة إلى ضعف في مناعة الجلد الذي يصبح عرضة لمهاجمة البكتيريا والفطريات، مع ما يمكن أن تسببه من أمراض مختلفة للجلد، وكل ذلك يُعجل في ظهور التجاعيد مبكرا. وللوقاية من ذلك فإننا ننصح الأفراد الذين يعانون من بشرة دهنية بالإقلاع عن أكل المأكولات المشبعة بالدهون العالية والموجودة في الدهون والشحوم الحيوانية، والسمن الحيواني، والزبدة، واللحوم الحمراء، ومشتقات الحليب العالي الدسم، والاعتماد في الأكل على الخضار والفواكه الطازجة واللحوم البيضاء (السمك والدجاج) والبقوليات النباتية الغنية بالألياف، مع ممارسة الرياضة والحركة والمشي لحرق الدهون الزائدة، وللأفراد الذين يعانون من تراكم الدهون على البشرة فانه ينصح باستعمال المنظفات الجلدية (SCIN CLEANERS)، أما إذا كان هنالك مضاعفات بالجلد نتيجة وجودها، فإنه ينصح بشفطها موضعيا ومن خارج الجلد بعد إزالة الطبقة الدهنية الخارجية وتنظيفها، من خلال عملية تسمى (AIR VACCUM SUC- TION) تحت إشراف استشاري ذي خبرة بهذا الأسلوب، مع إعطاء بعض الكريمات المنشطة للجلد والدورة الدموية. أما إن كان هنالك بقع داكنة فإنها تزال بالكريمات المبيضة، أما البقع الظاهرة فوق سطح الجلد فإنها تزال تماما، وهنالك عدة طرق لازالتها، كهربائيا (ELECTRICAL REMOVAL) بحيث لاتترُك آثارًا على الجلد، أو بالتبريد الخفيف لسائل النيتروجين (LIQUID NITROGEN)، أو باستعمال الليزر (LASER)، أو باستخدام بعض المواد الكيميائية كالفينول (PHENOL)، ولكن بحرص شديد نظرا لتأثيرها الضار على الكلى، حيث إنها تسبب تسممًا كلويًا(NEPHROTOGICITY).

ثانيا: هناك عامل آخر مهم جدا يؤدي إلى التجاعيد والشيخوخة المبكرة للجلد عكس العامل الأول وهو جفاف الجلد (XEROSIS)، إذ يؤدى جفاف الجلد إلى تشقق (FISSARING)وتكسر (CERACKING)، لأنسجة الجلد مع ما يصاحب ذلك من تكوين لقشور سطحية وآلام حادة نظرا لوصولها للأعصاب الجلدية السطحية، مع مايؤدي إليه ذلك من أن يصبح الجلد رقيقا (THIN)، مع ظهور ما يسمى علامات شيخوخة الجلد، (AGING OF THE SKIN)، وبالتالي يصبح الجلد غير مطاط (يفقد خاصيته المطاطية) (INELASTIC)، مع ازدياد إفراز المادة السوداء، والتي تظهر على الجلد بشكل بقع صغيرة بنية داكنة وملساء (LENTIGO)، أو (FRECKLES) أو خشنة وتسمى (SOLAR KERATOSIS)، وهذه تكون غالبا على المناطق المعرضة



لتفادي التجاعيد يجب تجنب مشتقات الحليب العالي الدسم والاعتماد على الخضروات والفواكه الطازجة





الرياضة تساعد على شد العضلات وألياف الجلد

لأشعة الشمس كالوجه واليدين وقد تكون مقدمة (PRECANCEROUS) لحدوث سرطان الجلد بأنواعه الثلاثة (BASAL& SQUAMOUS CELL CARCINOMA) والميلانوما (MELANOMA) وهو سرطان الجلد الداكن، وللوقاية من جفاف الجلد فإنه ينصح بتجنب التعرض المباشر لأشعة الشمس، وخاصة في فترة الظهيرة نظرا لارتفاع نسبة الأشعة فوق البنفسجية المسمى (UVB)، ووجودها بتركيز عال مع تأثيرها الضار والحارق للجلد، وانخفاض نسبة الرطوبة في هذه الفترة، كما ينصح بأخذ حمامات الشمس (SUN BATH) لمن يرغبون في تحويل بشرتهم إلى اللون القرمزي (بني داكن) (TANNING) في فترة الصباح أو بعد العصر نظرا لوجود الأشعة الملونة (UVA) بتركيز عال ولمن يعانون من جفاف الجلد دون أية مضاعفات فإنه ينصح باستعمال المرطبات الطبية المعروفة (MOISTURES) وإن كان هنالك تشققات وتكسر بالجلد فإنه يعالج بالأدوية المناسبة لمثل هذه الحالات، أما بالنسبة للبقع البنية فإنها تزال بالطرق المذكورة السابقة، كما تزال أنواع سرطان الجلد جراحيا أو بالأسلوب السابق نفسه.

ثالثا: تستخدم مستحضرات التجميل والعطور بكثافة عالية لدى الأفراد، وفي الأسواق أنواع كثيرة منها من مختلف شركات العالم، وتحتوي أرفف العديد من محلات ومراكز بيعها على آلاف الأصناف والأنواع من شركات كبرى لديها الإمكانات والمعامل والمختبرات للتحقق من صلاحية المنتج وعدم وجود أضرار جانبية له، وشركات أخرى مقلدة المصنف نفسه، ولايمكن للفرد العادي أن يميزها من الأصلية، مع مايتبع ذلك من أضرار خطيرة للبشرة، خاصة لمن يعانون من بشرة حسّاسة تؤدي لظهور حساسية موضعية (CONTACT DERMATITIS) على الأماكن التي توضع عليها، ولأن الكثيرين ليس لديهم الوعي الكافي لمعرفة ما يناسب بشرتهم، أو ما إذا كان لديهم أية مضاعفات من استخدامها، مع ما يسببه ذلك من اضطراب لوظائف الجلد المختلفة، فكثيرًا ما نرى أناسًا يعانون من الهالة السوداء تحت العينين، والتي غالبًا ما يعزونها إلى التعب والإرهاق وقلة النوم، وهي غالبا ما تكون عبارة عن حساسية تبدأ بالظهور تدريجيا من اللون الرمادي الفاتح إلى اللون البني الغامق مع ازدياد سماكة الجلد وتسمى (SUBORBITAL ECZEMA)، وتكون ناتجة عن استخدام ظلال العيون، وبعض الكريمات والعطور تؤدي إلى ترهل الجلد وانتفاخه تحت العينين، وأناس آخرون يعانون من زيادة الإفرازات السوداء على الجبهة والوجنتين(MELASMA)وهو ناتج عن استخدام مستحضرات التجميل التي قد يكون الجلد حساسًا تجاهها مع وجود الحرارة والشمس (PHOTOSENSITIZER)، وبالتدريج يبدأ الجلد بالاحمرار مع حكة وقشور سطحية والتهاب موضعي، يؤدي في النهاية إلى زيادة الإفرازات الدهنية، والمادة الصبغية السوداء التي تظهر على الأماكن المذكورة سابقا، وللوقاية من ذلك فإنه يعمل اختبار للمستحضر قبل البدء في استخدامه، فإن ظهرت علامات حكة أو احمرار بالجلد فيجب عدم استعماله، كما إن الاستخدام الصحيح للمكياج يكون بوضع طبقة خفيفة مع ملاحظة عدم بقائه مدة طويلة، حيث يزال بأحد مزيلات المكياج أو بالماء والصابون، لأن وجود طبقة كثيفة وبقاءها مدة طويلة يحرم البشرة من التهوية والأكسجين الضروري لنضارتها، كما

كيف نتخلص من التجاعيد؟

إنه يمنع خروج الإفرازات العرقية والدهنية، مع ما يسببه ذلك من أمراض جلدية مختلفة، ولهذا يجب عدم التعرض لأشعة الشمس مع استخدام مستحضرات التجميل، ويستعاض عنها بالكريمات الواقية من هذه الأشعة والتي تسمى (SUNSCREEN PROTECTORS CREAMS)، أما عن الأضرار الجانبية الناتجة فإنها تعالج بالكريمات الموضعية المضادة للحساسية، وقد يصاحبها بعض الأدوية عن طريق الفم أو حسب الحالة ومرئيات الطبيب المعالج.

رابعا: تعمل العوامل البنيوية للإنسان على الإضرار إضرارا بالغا بالجلد، فزيادة الوزن أو محاولة التخلص منه (من الوزن الزائد) يؤديان إلى تمدد الأنسجة الضامة للجلد وارتخائها، وبالتالي تقل سماكة الجلد ولونه ومطاطيته، وتظهر بالتالي خطوط بيضاء (STRIAC) ويرتخي الجلد ويتمدد ويترهل خاصة في البطن والأرداف، ولتجنب ذلك يجب المحافظة على وزن ثابت باتباع نظام غذائي سليم، يعتمد في معظمه على الخضار والفواكه، ويجب تجنب الإفراط، والابتعاد عن الدهون المشبعة الموجودة في اللحوم الحمراء ومشتقات الألبان العالية الدسم، والتركيز بدلا منها على اللحوم البيضاء ومشتقات الألبان قليلة الدسم، إضافة لممارسة الرياضة والحركة والمشي، وكل ذلك يساعد على شد العضلات وألياف الجلد، أما بالنسبة للخطوط البيضاء أو تمدد الأنسجة الضامة، فلايوجد لها علاج ناجح حتى الآن ولاننصح مَنْ يُعانون منها بالانخداع لبعض الشركات التي تروج لبعض أنواع الكريمات المتوفرة في الأسواق، والتي تزعم تلك الشركات أنها تقوم بعلاج ذلك.

خامسا: تعمل العوامل البيئية المحيطة بالإنسان كارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها، ووجود رياح حارة وباردة، وارتفاع نسبة الرطوبة في الجو وانخفاضها، تعمل في تأثر الجلد وتضرره، كما إن طبيعة عمل الإنسان تساهم في ذلك مساهمة كبيرة، فالمزارعون والبحّارة وبعض العمال والفنّيون الذين تفرض طبيعة عملهم الخروج والتعرض لأشعة الشمس نهارًا، هم أكثر الناس عرضة لظهور التجاعيد، خاصة على الوجه، والرقبة، والصدر من أعلى، واليدين، وتظهر بشكل أخاديد (FURROWS)، أو خطوط مطوية داخليا، خاصة بجانب العينين، مع أو بدون حبوب سوداء (NODULAR ELASTOSIS)، وفوق الشفة العليا وعلى جانب الشفتين (SOLAR ELASTOSIS) وفي الرقبة خاصة من الخلف، مع زيادة سماكة الجلد (CUTIS RHUMBOIDALIS NUCHEE)، كما إن الرياح الحارة والباردة تؤدي إلى جفاف البشرة مع حكة جلدية، قد يتبعها التهاب جلدي يعرف بالأكزيما الجافة (XEROTIC ECZEMA)، وتساعد نسبة انخفاض الرطوبة في الجو على حدوثها، أما ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو فإنه يؤدي إلى زيادة الإفرازات العَرَقية، ووجودها فترة طويلة في بعض أماكن الجسم المغلقة؛ كالإبطين، وتحت الثديين (غالبا المرأة)، وبين الفخدين؛ قد يؤدي إلى التهابات فطرية (FUNGAL INFECTIONS)، وقد يصاحبها التهابات بكتيرية (BACTERIAL INFEC-



التعرض المباشر لأشعة الشمس يسبب ظهور البقع البنية

TIONS) مما يؤدي إلى تهتك في الأنسجة وتلونها وضمورها. وللوقاية مما سبق يجب عدم التعرض لأشعة الشمس الحارقة مع لبس قبعات واقية، ومحاولة الخروج في الفترة الصباحية أو المسائية، ولمن لايستطيع ذلك تستخدم الكريمات الواقية عند الخروج (SUNSCEEN PROTECTORS CREAMS)، أما الالتهابات الجلدية الجافة فإنها تعالج باستعمال المراهم الموضعية (OINTMENTS) لإزالة الحكة وهي مرطبة للجلد في آن واحد.

أما لمن يعاني من التجاعيد فيستخدم الآن وبنجاح كبير الكريمات الشادة للبشرة (FASCIAL FIRMING CREAMS) التي تحتوي على فيتامين أ (RETIN - A)، ولفترة زمنية قد تصل إلى ستة أشهر أو أكثر، كما تستخدم الكريمات المنشطة للدورة الدموية وزيادة تدفق الأكسجين، والتي تعمل بطريقة غير مباشرة على تنشيط الخلايا والألياف الجلدية، عن طريق إمدادها بالدم والأكسجين اللازمين لحيويتها ونشاطها، وبالتالي تساعد في القضاء على التجاعيد، وتحتوي هذه الكريمات على فيتامين هـ (H)وتسمى (HEDROXO CREAMS)، كما إنه بدأ استعمال الليزر (LASER) في علاج هذه الحالات، من خلال عمل جلسات للمناطق المصابة، إذ يؤدي ذلك إلى إزالة التوتر من الألياف العضلية، مع ما يصاحبها من ارتخاء للأعصاب الشادة، كما إن هنالك مدارس طبية أخرى لعلاج التجاعيد بإعطاء حقن من مادة الكولاجن الحيواني (COLLAGEN) الشبيهة بالمادة الضامة الموجودة تحت الأدمة بين أخاديد التجاعيد التي تصبح في مستوى الجلد المحيط بها، وهنالك آخرون يقومون حديثا بحقن دهون من الشخص نفسه تؤخذ من مناطق معينة في جسمه وتحقن في فراغات أخاديد تلك التجاعيد كما سبق وبالتالي تخفيها، وهنالك الأسلوب الجراحي تحت تأثير مخدر موضعي، حيث يرخي مشرط الجراح من خلاله الألياف المشدودة.

وبعد.. فهذه أهم الأسباب والعوامل المساعدة على تكوين التجاعيد وطرق الوقاية والعلاج وأما إن كان هنالك ترهل وتمدد في الجلد مصاحب لها، فإن عمليات شد الجلد باتت سهلة ولايستدعي إجراؤها البقاء في المستشفى.

المشكلات العالمية لعصرنا الحاضر

تأليف:
ن. ن إينوز يمتسيف
N.N. INOZ EMTSEV

ترجمة وإعداد:
بهاء الدين محمود عبدالحميد

ياله مـن عصر متميز ذلك العصر الذي نعيشه! ، فإذا مـا حاولنا مقارنته بـالعصور التي سبقته كان السبق لعصرنا هذا، فخـلال هذا العصر وحده (القرن العشرين الحالي) زاد عدد سكان العـالم ثلاثة أضعـاف (من ٤ر١ بليون ـ ٥ر٤ بليـون نسمة)، بينما لم يزد عـدد سكان العـالم في كل العصور السـابقة إلا بمقـدار (٢ر١ بليـون نسمة). كما تميـزت سنوات القـرن العشرين الحالي بقدرة الإنسـان على سيادة عصر الطاقـة الكهربـائية والذريـة، كما استطاع الإنسان ابتداع مواد جـديدة، مهدت له الطريق لغزو الفضـاء، واستكشاف محيطات العالم كخطـوة أولى للاستفـادة من ثـرواتها، كما تميز هـذا العصر بـاختراع السيارات والطـائرات والمذياع والتلفاز ووسائل الاتصال المتعددة بين الأفـراد والدول، إنه لعصر معجز حقا بما فيه من إنجازات ومتناقضات.

جوهر المشكلات العالمية

يبـدأ المؤلف كتابـه بـالبحث عن جـوهر هـذه المشكلات العالمية وأصولها في محاولـة جادة للوصول إلى حلول لها، فيذكر أن جـوهر هذه المشكلات إنما يكمن في دعم نشاطات الإنسـان وإمداده بالمصادر الطبيعية، كما يتعلق كذلك بالاحتياطي الموجود من هذه المصادر، ويذكـر المؤلف أن الإنتاج العالمي من مصادر الطـاقة قـد ازداد بمقدار ستة عشر ضعفًا خلال الخمسة والسبعين عاما الأولى من هذا القرن الحالي كما ازداد نمط استهلاك الطاقة (من البترول على وجه الخصوص) بنحو أحد عشر ضعفا خلال الفترة نفسهـا، وهنا يبرز إلى الأذهـان سـؤال مهم، وهو: هل يستطيع الإنسان أن يستمد احتيـاجاته من هـذه المصـادر الطبيعيـة التي يـزداد عليهـا الطلب باطّراد؟!

ثم ينتقل المؤلف إلى مشكلة الغذاء، فيعلن أنه من الصعب على الإنسان أن يجد حـلا جذريا لها، تلك المشكلـة التي تـرتبط ارتباطـا وثيقـا بالمشكلـة السكـانية؛ إذ إن هنـاك أكثر من نصف بليـون من البشر يُعانـون في الوقت الحاضر من الجوع والقحط وأمراض سـوء التغذية، وقد أعلنت منظمـة الغذاء العالمية (الفاو) في تقرير لها يتناول مستقبل الغذاء في العـالم في عام ٢٠٠٠ ميـلادية، أن أكثـر من ٨٠٠ مليـون من البشر سـوف يعـانـون نقصـا حـادًا في الغذاء، ويجب على الجهـود العالمية أن تتضـافر لمنع حـدوث مثل هـذه الكـارثـة، ولاينفي المؤلف مـا للظروف السيـاسية والعلاقات الـدولية من تأثير في توزيع المقدرات والثروات في أنحاء شتى من العالم.

وقـد تناول المؤلف الطـاقـة النـووية كمـدخل لـرفاهيـة الإنسـان، وعـامل من عوامـل تقدمـه في العصر الحالي، كما يتحـدث في مـوضع آخـر عن وجوب إبعاد خطـر نشوب حرب نوويـة لخير العالم ورفـاهيتـه، كما يتحـدث عن الحرب البـاردة التي استمـرت لفترتي السبعينيات والثمانينيـات من هـذا القرن بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي.

دور التعاون الاقتصادي الدولي

تحت عنوان (المشكلـة الحرجة للعصر الحديث ومحاولة التغلـب على تخلف الدول النـامية)، يـذكر المؤلف أن الدول الحديثة العهد بالاستقلال ـ أغلبها بطبيعة الحال مـن الدول النامية ـ لم تكـن إلا قِطعًا من الإمبرياليـات الاستعمارية، ومن ثم فقـد عانت

Global Problems of Our Age
Edited by Academician N. N. Inozemtsev



معظـم هـذه الـدول ـ على مدى حقب كثيرة من الزمـن ـ التخلف والإهمال. وهـذا يرجع إلى تخلفها عن ركب التطور الزراعي والصناعي، بالإضافة إلى المشكلات الداخلية لهذه الدول، ومن أهمها:

مشكلـة زيـادة السكان، وتـورد إحصـائيـات الأمم المتحـدة أن أكثـر من نصف بليـون من البشر يموتون في الدول النـامية كل عام من جراء الجوع، كما يعاني أكثر من بليون آخـرين من سوء التغذية، كما يبلغ عدد الأطفال الذين يموتون في هذه الدول قبل سن الخامسـة مـايتراوح بين ٢٠ ــ ٢٥ مليـون طفل سنويـا. ولذا يتسـاءل مؤلف الكتـاب: ماذا يحمل المستقبل لمثل هذه الشعوب؟

يحاول المؤلف الإجابـة على هذا السؤال بعـرضه لأبعاد وطبيعـة ظاهرة التخلف في البلدان النـامية، ويعـزو المؤلف حـدوث هــذا التخلف إلى عـــدم مواكبة هـذه الدول للتقدم الحادث في كثير من دول العالم المتقـدم في العلوم والتقنيـة، وعدم استخـدام هـذه العلـوم لـرفع مستـوى إنتـاجيـة العـامل في القطاعين الزراعي والصناعي على حد سواء.

وينتقل المؤلف في موضـع آخر إلى الحديث عن الخصـــائص الـداخليـــة للتخلف INTERNAL CHARCTERISTICS OF BACWARDNESS.

ويـــؤكـــد حقيقـــة لاتقبـل الجدل، وهي أن التخلف الحادث في الـــدول النـاميـــة ليس تخلفـــا اقتصـــاديـــا فحسب، وإنما هـــو تخلف اجتماعي وسياسي واقتصادي على حد سواء.

ويحاول المؤلف أن يجد مخرجـــا لحل مشكلـــة التخلف الصنـــاعي والــزراعي والتقني في الـــدول النـاميـة، فيـذكـــر أن الحل الـوحيـد إنما يكمن في استكمال البنيـة الأساسيـة لاقتصـاد هذه الـدول، الذي من شأنه الحدّ من مشكلة البطالة وتزايد عدد السكـــان، ومن ثم القضـــاء على شبح الفقـــر والمجـاعـات، الـذي كثيرا مـايهدد شعـوب هـذه الـــدول. ويختتم المؤلف هـذا البـــاب فيـذكـــر أن للتعاون الاقتصادي الـدولي دورا مهما في بناء البنية الأساسيـة للدول المتخلفـة، وهذا يلقـي عبئا كبيرًا على الـدول المتقـدمـة لمدّ يـد العـون لـدعم خطط وبـرامج التنمية في الـدول النـامية، بـالقدر الـذي يحقق لها اللحاق بركب التقدم والحضارة.

المشكلة السكانية

يتحدث المؤلف عن المشكلـة السكـانية فيـذكر أن معدل زيادة السكان الرهيب والحاد والحادث في بعض دول قارة آسيا وأفريقيـا وأمريكا اللاتينية إنما يثير اهتمامـا بالغـا، ليس لدى البـاحثين فحسب، وإنما لـدى العـديد من السـاسـة والحكـام في شتى أنحاء العالم، ومن ثم فقد أعلنت الأمم المتحدة عام ١٩٧٤م عاما للسكـان، ثم أعلنت بعد ذلك عدة أعـوام للطفل وللمرأة وللشبـاب، ثم يؤكـد المؤلف تلك العـلاقة الـوثيقـة بين زيـادة عدد السكـان في العالم والعـديد مـن المشكلات العـالمية، وأخطـرها مشكلة المصادر الطبيعية والمواد الخام ومدى كفايتها لسد احتيـاجات الـزيادة المطـردة في عدد السكـان العالمي، وكـذلك مشكلة تلـوث البيئة النـاتجة عن تلك الـزيـادة الـرهيبـة، ومن ثم زيـادة استهـلاك الطاقـة والوقـود، ثم يؤكـد المؤلف في موضـع آخر حقيقة مهمـة، هي أن زيادة عـدد السكان في كثير من منـاطق العـالم يـزيـد المشكـلات الاقتصـاديـة والاجتماعية والسيـاسية تعقيـدًا، إضافـة إلى تقليل معدلات التنمية، ثم يتحـدث المؤلف بعد ذلك عما أسماه بـ (متنـاقضـات التخلف PARDOXES OF BACKARDNESS) وأوردها كما يلي:

١ ــ إن التفـاوت بين زيـادة عـدد السكـان في الـدول النـاميـة والدول المتقـدمـة أدى إلى حـدوث تفـاوت ملحـوظ بين دخل الفـرد في كل من هـذه الدول، فـازداد الأغنياء ثـراء والفقراء فقـرًا، وذلك على الرغم من الـزيادة الملحوظـة والحادثة في إجمالي الإنتاج العالمي (GROSS GLOBAL PROD-UCT) في السنوات الأخيرة.



٢ـ إنه على الرغم من بعض التوقعات بحدوث ارتفـاع في مستوى معيشـة بعض الـدول النـاميـة في نهاية هـذا القرن، بحيث تصبح بعض هـذه الدول في زمرة الـدول المتقدمـة، إلا أن إجمالي أعداد البشر التي تعيش على خط الفقر في هذا العالم سوف يزداد زيادة ملحوظة، ويتركز معظم هؤلاء البشر في أربع وثلاثين دولة تقع في نطاق دول جنوب آسيا وأواسط قارة إفريقيا.

٣ــ إنـــه على الـرغم من التقـــدم الملحـوظ في معـدلات محو الأميـة في العـديـد من دول العـالم في الآونـة الأخيرة إلا أنه بحلـول عـام ٢٠٠٠ ميلاديـة سوف يُفاجأ العالم بـزيادة رهيبة في أعداد الأميين في أنحاء كثيرة من أرجاء المعمورة.

ثم يتنـــاول الكـــاتـب مشكلـــة الجوع وســـوء التغذيـة، فيتحدث عن تأزم مشكلـة الغذاء في فترة



الزيادة السكانية، هل هي حقيقة مشكلة؟



سوء التغذية من الأمراض الشائعة في الدول الفقيرة

السبعينيات لتناقص متوسطات الإنتاج في نهايتها عن متوسطاته في بدايتها، حيث تناقص متوسط إنتاج الفرد من الغذاء في بعض مناطق إفريقيا خلال هذه الفترة بمقدار ١٠٪، وعلى هذا فقد عانى العديد من دول العالم خلال هذه الحقبة من المجاعات والقحط ما لم يشهدوه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ويتحدث المؤلف في موضع آخر عن الجذور الاجتماعية والاقتصادية لمشكلة الغذاء، فيعترف أن مشكلة الغذاء ليست مشكلة قائمة بذاتها، ولكنها ذات أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية معقدة، فحدوث فيضانات أو فترات من الجدب أو انتشار الأوبئة في منطقة بعينها يخلق تركيباً متناقضاً، ومن ثم يؤدي إلى نقص حاد في الإنتاجية الزراعية، ولايغيب عن الأذهان أن الدول المتقدمة قد استطاعت تحقيق أكبر إنتاجية للفدان من الحبوب الاستراتيجية مثل القمح، عن طريق المكننة الزراعية المتقدمة، وذلك على النقيض من الدول النامية أو الفقيرة، التي مازالت تفتقر إلى هذه المقومات، ولذا ظل إنتاجها الزراعي دون تقدم يُذكر، بل إنه قد تناقص في بعض هذه الدول لاختلاف الظروف الجوية والسياسية والاقتصادية.

أزمة الطاقة

يتحدث المؤلف عن المواد الخام والطاقة، ويبدأ المؤلف حديثه عن أزمة الطاقة التي حدثت بين عامي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م، والتي عانتها الكثير من دول العالم الغربي، وبخاصة في مجال البترول. ويدعو إلى انتهاج برنامج موفر للطاقة، كما يدعو إلى ابتداع أساليب جديدة موفرة للطاقة في تشغيل المكننة الزراعية والصناعية؛ وذلك في محاولة للحد من تكرار المزيد من الأزمات في الطاقة والمواد الخام.

في المحيطات حل لمشكلة الغذاء

تناول الكتاب استغلال المحيطات في حل مشكلة الغذاء والطاقة واستغلال المواد الخام، هذا المجال الذي اقتصر خوضه على بعض الدول المتقدمة.

ويؤكد المؤلف أهمية هذا المجال. وتزداد أهميته، إذا ما علمنا أن العديد من التقارير الاقتصادية تؤكد وجود احتياطات استراتيجية عالمية من الطاقة، وبخاصة البترول والغاز الطبيعي في قاع العديد من محيطات العالم وبحاره، وقد كان يقدر احتياطي حجم البترول الموجود في محيطات العالم بنحو ٥٥ بليون طن (طبقاً للتقارير بين عامي ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠م)، وقد ازداد هذا الاحتياطي الاستراتيجي بعد مزيد من الاكتشافات في المحيطات والبحار فأصبح ٢٠٧ بليون طن عام ١٩٦٩م، ثم قفز إلى ٣٠٠ بليون طن عام ١٩٧٤م، ثم استقر أخيراً عام ١٩٧٥م على مايربو على ٤٠٠ بليون طن، وهذه الأرقام ربما تُقرِّب إلى الأذهان مدى أهمية استغلال البحار والمحيطات في هذا المضمار. ويدعو المؤلف في نهاية هذا الباب إلى الاستغلال الأمثل للبحار، في مجال الصيد واستغلال البروتينات البحرية لسدِّ فجوة الغذاء التي تزداد حدَّتها في الكثير من دول العالم.

التعاون لاستكشاف الفضاء

وفي الحديث عن استكشاف الفضاء: EX-PLORATION OF OUTER SPACE يذكر أن هذا المجال يُعدُّ من أهم المجالات التي تشغل الإنسان، حيث يجسد قمة علاقته بالطبيعة التي من حوله، ولذا فالتعاون في هذا المجال من المهام



البنـاءة التي يجب أن تتضافـر حولها جهـود البشر. ويتحدث المؤلف عن بـداية عصر الفضـاء والدول السـابقـة في هـذا المجـال مثـل الاتحاد السـوفيتي والـولايـات المتحــدة الأمـريكيـة، وذلك في أوائل الستينيـات وأواخـر الخمسينيـات، ويقـرر المؤلف حقيقة مهمة وهي أن التعـاون في مجال الفضاء كان ولايـزال يعتمد اعتمادا كليـا على المواقف السياسيـة للعـديـد من الـدول، وكـان هـذا التعـاون يشمل العـلاقـات الأمـريكية السـوفيتيـة في بـدايـة عصر الفضاء، ثم أضحى يشمل العديد من الدول التي خاضت هذا المجال بعد ذلك، ثم يتحدث المؤلف عن الإنجـازات التي تحققت في مجال استكشـاف الفضـاء فيـذكـر أن أفضل هـذه الإنجـازات على الإطلاق هي مجال الاتصـال عبر الفضاء SPACE COMMUNICATION SYSTEM.

وتكمن أهميــة هــذا المجـال في قــدرة الأقمار الصنـاعيـة على الربـط بين أي نقطة في هـذا العـالم بنقطـة أخـرى، كما يمكن لهذه الأقمار بث البرامج التلفـازية للعـديد من القـارات في آن واحد، وقـد أدت المفــاوضــات الــدوليــة للتعــاون في مجال الاتصـــالات الفضـــائيـــة إلى إنشــــاء محطـــة INMARSAT لـلاتصالات البحـرية وذلك عـام ١٩٧٦م، والتي تُعْتَبَرُ قمة التعاون بين المعسكرين الغـربي والشرقـي في هـذا المجــال، وبهذه المحطـة المتقـدمة تستطيع أي سفينـة في أي بحر من بحـار العـالم أو محيطاتـه الحصول على خـدمة متميـزة من هــذه المحطـة التـي بـدأت العمل بــالفعل عــام ١٩٨٩م، ثم يتحـدث المؤلف عن نظـرتـه لمستقبل الأنشطـة الفضائيـة OUTLOOK FOR FUTURE SPACE ACTIVITIES فيذكـر أن التقدم العلمي الحادث في مجال استكشاف الفضاء قد أدى إلى حدوث نشاط متشعب في هذا المجال، ويأمل المؤلف في تـركيــز هـذه الأنشطـة في نشـاط علمي واحد، ويتحدث عن بعض الآمال والأحلام التي تحققت في هذا المجال ومن هذه المجالات:

١ـ مجال صناعـة المواد شبه الموصلـة SEMICONDUCTOR MATERIALS وبعـض المستحضرات الطبيـة التي تنتج في أجــواء انعـدام الوزن التي تتسم بها البيئة الفضائية.

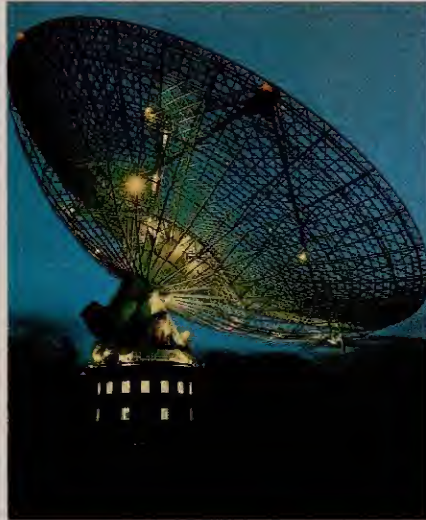
٢ـ مجال تـوليـد الطـاقـة وبخـاصـة الطـاقـة الكهـربائيـة حيث يقدر مـايستفاد بـه من الطاقـة الشمسية الساقطة على سطح الأرض بما لايزيد على (٠١ر٠٪) من هــذه الطــاقــة، ويأمل العلماء في إمكـان تحويل هـذه الطـاقـة الشمسيـة إلى طـاقـة كهربـائية، وذلك بـاستخدام المحطات الفضـائية التي توضع في مدارات ثابتة حول الأرض للاستفادة بأكبر قـدر ممكن من الطاقـة الشمسية السـاقطة في الفضـاء الخارجي، وقـد قدر العلماء الأمـريكيـون لوضعهم لأول محطـة شمسية لتوليد الكهـرباء في مدار حول الأرض بين أعوام (١٩٩٠ـ ٢٠١٠م) مما يمهد الطـريق لحل مشكلـة الطاقـة نهائيا في الفترة بين عام (٢٠٢٠ـ ٢٠٣٠م).

الإنسان والبيئة

تنـاول الكتاب عـلاقـة الإنسـان بالبيئـة تحت عنوان (مرحلـة جديدة في علاقة الإنسـان بالبيئة A NEW STAGE IN MANS RELATIONSHIP WITH THE ENVIRONMENT فيتحــدث عن الأوجــه المتعــددة للتلـوث البيئي في عصرنــا الحاضر، وبخـاصـة في الثلث الأخير من القــرن العشرين الحالي، وتشمل ملوثات البيئـة (الضوضاء وتجمعات النفـايات من جميع الأنواع في أمـاكن عديدة من العـالم، وكذلك انحلال التربة).

ويؤكد المؤلف أن الاختلافات البيئية الحادثة في أمـاكن شتى من العالم إن دلت على شيء فإنها تـدل على التناقضـات مابين المجتمـع البشري والطبيعة، الأمر الـذي يدعونا إلى مـزيد من الوقفـات الجريئة من البشر ومايفعلـونه حيال هـذا الكون الكبير. ثم يتحدث المؤلف عن الطاقـة الذرية وتفجيراتها التي بدأت في بداية الأربعينيـات من هذا القرن، ومدى خطـورة هذه التفجيرات، وكيف أنها تمثل مصـدر


في البحار والمحيطات حل لمشكلة الغذاء

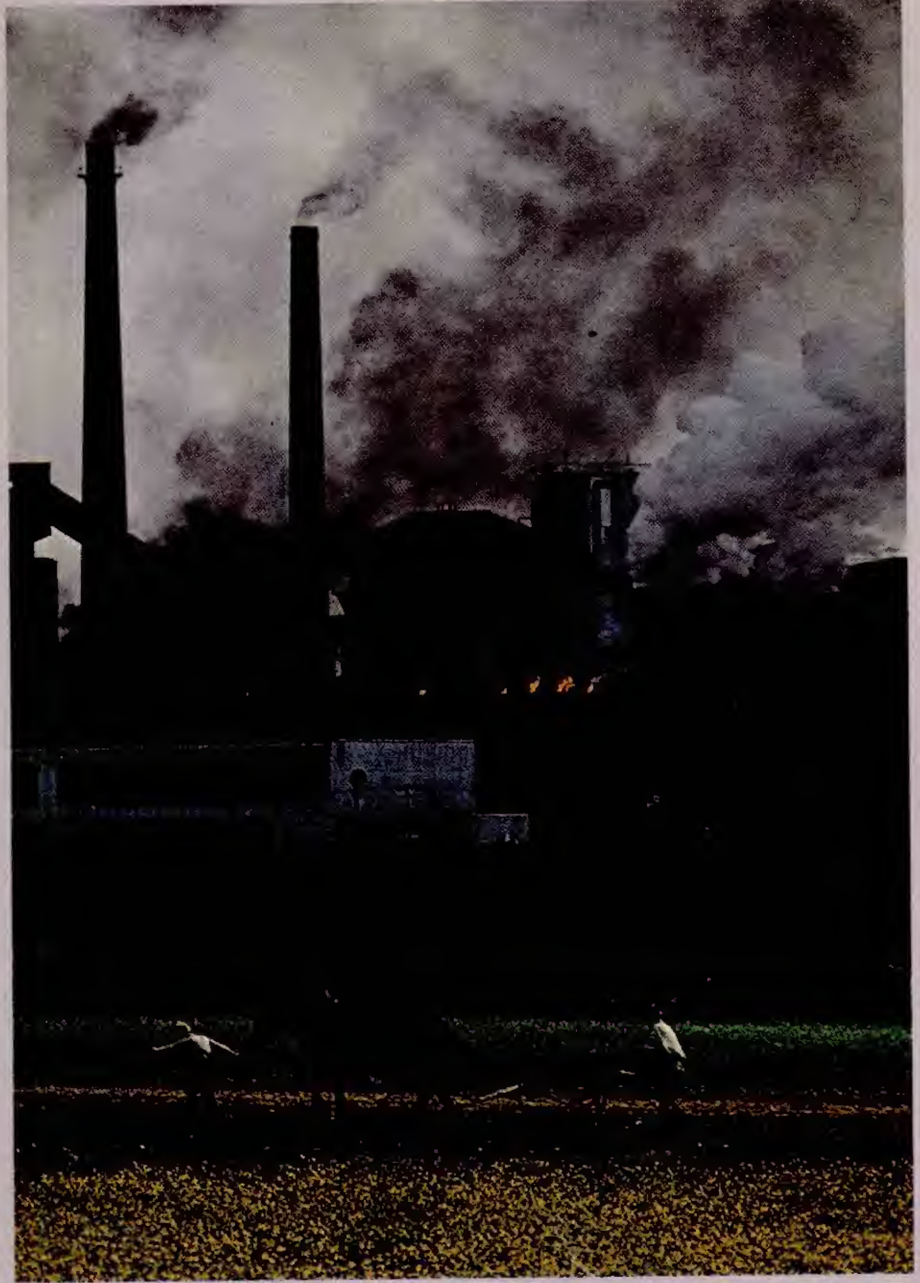

التعاون في مجال الفضاء يعتمد كليا على المواقف السياسية

البلطيق، إضافة إلى نهري الدانوب والراين.

سبل التغلب على المشكلات العالمية

يختتم المؤلف كتابه القيّم بالحديث عن أفضل السبل للتغلب على المشكلات العالمية، فيتحدث عن محاولةٍ أجرتها هيئة الأمم المتحدة للوقوف على هذه الحلول وتتمثل في تجنيد العديد من الخبراء في شتى المجالات لحصر المصادر الطبيعية الموجودة على سطح الأرض، وقد أقرّ هؤلاء الخبراء أن هذه المصادر الطبيعية كافية لسد احتياجات البشر المطردة من استهلاك المواد الخام، كما أكد ذلك خبراء آخرون في مجال الطاقة (وذلك أثناء انعقاد مؤتمرهم عام ١٩٧٩م في مونتريال بكندا).

إن السنوات القادمة سوف تشهد ميلاد أكثر من أربعين مصدرا جديدا من مصادر الطاقة المستحدثة، كما يتوقع خبراء الزراعة والتقنية الحيوية أن يتزايد إنتاج العالم من الغذاء بمقدار ثلاثة أضعاف خلال السنوات القليلة القادمة؛ كنتيجة حتمية للثورة البيولوجية والتقنيات المستحدثة، على الرغم من التحذيرات المتكررة التي يطلقها علماء الفلك والأرصاد مؤكدين فيها حدوث تغيير مفاجىء في البيئة المحيطة بالإنسان، مما يحمل معه احتمالات حدوث المزيد من الكوارث في أنحاء شتى من العالم كنتيجة للتلوث البيئي الحادث الآن، ويدعو بعض العلماء إلى التغلب على مشكلة الجوع وخطر المجاعات والقحط في العديد من دول العالم، وذلك عن طريق تنظيم النسل بين أبناء البشر. ويؤكد آخرون وجوب اتباع أساليب توزيع عادلة للغذاء بحيث تُعطى كمياتٌ أكبر لمن يعانون من أمراض سوء التغذية، كما يوصي آخرون باستخدام السبل الحديثة في المكننة الزراعية لضمان إنتاجٍ أوفر من الحبوب الاستراتيجية، وكذلك إلى وجوب تقليل الفاقد من هذه الحبوب خلال حصادها، إضافة إلى استخدام الأسلوب الأمثل في التخزين والشحن من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك.



الأدخنة المتصاعدة من المصانع تسبب زيادة حموضة التربة الزراعية

الخطر الرئيس على الأجيال المتعاقبة من البشر والبيئة التي يعيشون فيها. ثم يتحدث عن التربة الزراعية وظاهرة حموضة التربة التي نتجت عن زيادة الأدخنة المتصاعدة من مختلف الصناعات لتكوّن ما أسماه العلماء الأمطار الحمضية، والتي أدت إلى زيادة حموضة الأنهار ومصادر المياه العذبة، ومدى تأثير حموضة التربة في الإنتاج الزراعي، ويسرد المؤلف العديد من الأمثلة للتلوث البيئي، ويختتمها بتآكل طبقة الأوزون بطبقات الجو العليا التي تعد الدرع الواقي من الأشعة فوق البنفسجية الضارة بالإنسان، ويذكر العديد من الخطط التي أقرتها الأمم المتحدة والعديد من الدول المتقدمة، وبخاصة دول السوق الأوروبية المشتركة وذلك في مجال حماية البيئة المائية وبخاصة في بحر

من نوادر التصنيف

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

أنباء نجباء الأبناء

كتاب لأبي عبدالله محمد ابن عبدالله بن ظفر الصقلي المكي المتوفى سنة ٥٦٧هـ، وهو صاحب «سلوان المطاع في عدوان الأتباع» و«معاتبة الجريء على معاقبة البريء».

يستعرض ابن ظفر في كتابه «أنباء نجباء الأبناء» طائفة من الأعلام الذين منحوا مؤهلات النجابة والسيادة منذ صغرهم وعلى رأسهم صفوة الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

راح ابن ظفر يحدثنا عن طفولة هؤلاء الأعلام وصباهم: ماذا كانوا يعملون؟ وفيم كانوا يفكرون؟ وماذا كانوا يقولون؟ وهو ينتقل بنا من موضوع إلى آخر، ومن حكاية إلى حكاية، ومن لفظ إلى تفسيره، وكأننا في رحلة ممتعة نرى فيها نجابة الرسول صلى الله عليه وسلم في طفولته، وماكان يدور حوله من إرهاصات تبشر بمقدمه، وتوحي بحاجة البشرية إليه، ونرى فيها نجابة عشرة من الصحابة حين كانوا أطفالا، ثم عدد من التابعين ومن جاء بعدهم، كما نرى نجابة العباد والزهاد، وبعض الشعراء في الجاهلية، وبعض ملوك فارس ممن عرف منهم بالعدل بين رعيته.

يقول ابن ظفر في مقدمة كتابه: «إن هذا سلك انتظمت به من درر أنباء نجباء الأبناء ماهو كشررة من ضرام، بل كقطرة رِهام، لأني قصدت به تلقيح همة غلام، وتنقيح فطنة كَهام، إلا إني أجنيت قارئه من هذا النوع ألذه وأطيبه، وأجليته أشده وأعجبه، مضربا في الغالب عما سجع به الحمام هاتفا، وهمع به الغمام واكفا، لأنّ النفوس طَلِعة إلى الفائق الغريب، ذي المتناول القريب، فافتتحته بذكر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم للتيمن بذكره والتشرف بالإيماء إلى شرف قدره».

وقد نشر الكتاب مُحققاً إبراهيم يونس.

حدثت عتّابةُ أم الفضل وجعفر وَلَدي يحيى بن خالد البرمكي محمداً بن عبدالرحمن الهاشمي فقالت: كان الفضل وجعفر يلعبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغداء، وأحضرهما فطعما منه، ثم أقبل عليهما، وآنسهما بحديثه، فقال لهما: أتلعبان بالشطرنج؟ فقال جعفر - وكان أجرأهما -: نعم. قال: فهل لاعبتَ أخاك بها؟ قال جعفر: لا، قال: فإذا فرغتما من غدائكما فالعبا بها بين يديّ حتى أرى لمن الغلب منكما.

قال جعفر: نعم. قالت: وكان الفضل أبصر منه بها. فلما رُفع الطعام جيء بالشطرنج فصفت بينهما، وأقبل عليها جعفر، وأعرض عنها الفضل، فقال له أبوه: مالك لاتلاعب أخاك؟ فقال: لأحب ذلك، فقال جعفر: إنه يرى أنه ألعب بها مني فيأنف من ملاعبتي، وأنا ألاعبه مخاطرة، فقال الفضل: لاأفعل، فقال أبوه: لاعبه وأنا معك. فقال جعفر: رضيت، وقال الفضل: لا، واستعفى أباه فأعفاه.

قال محمد الهاشمي: ثم قالت لي أم جعفر: قد حدثتك عنهما فاقض، فقلت: قد قضيت لجعفر، فقالت: لو علمت أنك لاتحسن القضاء ماحكّمتك، فقلت: وماالذي أنكرت عليّ من قضائي؟ فقالت: ألا ترى أن جعفراً قد سقط أربع سقطات تنزّه الفضل عنهن؟ فقلت: في ماذا سقط؟ قالت: سقط أولاً حين قال إنه يلعب بالشطرنج، فاعترف على نفسه عند أبيه بالهزل وكان أبوه صاحب جد، فقلت: هذه واحدة، فقالت: وسقط في التزام ملاعبة أخيه وإظهار الشهوة لغلبه والتعرض لغضبه، فقلت: وهذه ثانية، فقالت: وسقط في قوله: ألاعبه مخاطرة، فأخبر عن نفسه بالمقامرة، وأظهر الحرص على انتزاع مال أخيه، فقلت: وهذه ثالثة، فقالت: وسقط العظمى وهي قاصمة الظهر حين قال أبوه: لاعبه وأنا معك، فقال أخوه: لاأوافق، وقال هو: نعم، فناصب أباه وأخاه وغالبهما.

فقلت: أحسنت والله، وإنك لأقضى من الشعبي، ثم قلت لها: عزمت عليك ياأماه، هل خفي مثل هذا على جعفر وقد فطن له أخوه؟ فقالت: لولا العزمة لما أخبرتك، إن أباهما لما خرج خلوت بالفضل فقلت له: مامنعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك؟ فقال: منعني منه وجهان، أحدهما: لو أني لاعبته لغلبته، ولو غلبته أخجلته، والثاني: قول أبي: لاعبه وأنا معك، ومايعجبني أن يكون أبي معي على أخي.

قالت: ثم خلوت بجعفر فقلت له: يابنيّ، يقول أبوك: تلعب بالشطرنج فتقول نعم، وقد سكت أخوك، فتسم نفسك بالهزل عند أبيك وهو صاحب جد. فقال: إني سمعت أبي يقول في الشطرنج: إنها لنعم لهو البال المكدود، وإنه يعلم مانلقاه من كد التعلم والتأدب، فظننت أنه لايعيب ذلك علينا، ثم إني لم آمن أن يكون نُمي إليه أننا نلعب بها، فبادرت بالإقرار إشفاقاً على نفسي وعلى أخي وقلت: إن كان من أبي نكير لقيته دون أخي.

فقلت له: يابني، علام قلت: ألاعبه مخاطرة؟ كأنك تقامر أخاك وتستكثر ماله؟ قال: كلا، ولكنه استحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين، فعرضتها عليه فأبى قبولها، وطمعتُ أن يلاعبني فأخاطره عليها، وهو يغلبني، فتطيب نفسه بأخذها.

قال محمد: فقلت لها: ياأماه، ماكانت هذه الدواة؟ فقالت: إن جعفراً دخل على أمير المؤمنين المهدي، فرأى بين يديه دواة كانت من العقيق الأحمر محلاة بالياقوت فرآه ينظر إليها فوهبها له.

قال محمد: فقلت: إيه، فماذا قلت؟ فقالت: قلت لجعفر: هبك اعتذرتَ بما سمعتَ، فما عذرك من الرضا بمناصبة أخيك حين قال: لاعبه وأنا معك، فقلتَ أنت: نعم، وقال هو: لا؟ فقال: عرفت أنه غالبي، ولو فتر لعبه لتغالبت له، مع ماله في ذلك من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه.

قال محمد بن عبدالرحمن: بَخٍ بخ، هذه والله هي اللبابة والسيادة، ثم قلت: بالله ياأماه، أكان منهما من بلغ الحُلُم؟ فقالت: يابني، أين يُذهب بك؟ أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول: أكان منهما من بلغ الحلم؟! لقد كنا ننهى الصبي إذا بلغ العشر أن يبتسم بحضرة من يستحى منه.



الجمجمة التي خدعت علماء التطور أربعين عاماً !!

د. محمد علي الجندي

يخطىء الكثيرون باعتقادهم أن "نظرية التطور" قانون علمي، بينما هي مجرد مسألة «اعتقاد»، أو بالأحرى "عدم اعتقاد"، شأنها شأن النزعات أو النزغات الفكرية التي قد لاترتبط في معظم الأحيان بأسباب عقلية أو منطقية، ولكن مع ملاحظة فارق واحد، وهو أن هذه النظرية، قدمت باسم العلم، واستغلت المفهوم الخاطىء السائد والقائل "إن العلم لايخطىء والعلماء لايخطئون"... استغلت هذا المفهوم الخاطىء أوسع استغلال.

إن كون العلماء أناسا يصيبون ويخطئون كأي أناس آخرين، حقيقة كثيراً ماتُنسى في عصرنا الحالي، بل لايتمالك بعض العلماء أنفسهم في كثير من الأحيان من التصرف، متناسين هذه الحقيقة.

إنسان بلتداون

Piltdown Man

وأمثلة وقوع العلماء في مصايد أوهام عديدة تقودهم إلى استنتاجات خاطئة، مبنية على معلومات وأحكام زائفة، ليست أمثلة نادرة.

فمثلاً استطاعت جمجمة عرفت باسم "إنسان بلتداون" أن تقيم دنيا العلم وتقعدها في عصرنا الحالي، وأن تخدع ولمدة أربعين سنة أشهر العلماء المدافعين عن نظرية التطور.

بدأت حادثة "بلتداون" في أوائل القرن الحالي وبالتحديد في عام ١٩١٢م حيث ذهب تشارلز داوصن Charles Dawson - وهو أحد هواة التنقيب عن الآثار، ويعمل محامياً في مدينة سوساك بإنجلترا - إلى المتحف البريطاني وقدم إلى سميث وودوورد Smith Woodword - وهو جيولوجي موظف في المتحف - بضعة قطع من الجماجم، قائلا بأنه عثر على أول قطعة منها سنة ١٩٠٨م في إحدى الحفريات في «بلتداون» قرب مدينة «سوساك» وأنه عثر على القطع الأخرى، بعد ذلك التاريخ في الحفريات التي أجراها في نفس تلك المنطقة.

كانت القطع تبدو قديمة جداً، وقد اتفق «داوصن» مع «وودوورد» - الذي كان رجل علم محترفاً - على أن قطع الجماجم

لاتعود إلى تاريخ قريب، ولكن الغريب في الموضوع هو أن الجمجمة، بالرغم من مظهرها القديم جداً، فإنها كانت تعود إلى الإنسان الحديث.

بعد هذا التاريخ بدأ «داوصن» و«وودوورد» بإجراء أبحاثهما معاً، وفي الحفريات التي أجرياها معاً في منطقة «بلتداون» عثرا على قطع أخرى من الجماجم، وعلى - وهذا هو المهم - عظام فك، كانت تبدو قديمة جداً أيضاً وفيها ضرسان. والشيء الذي يلفت النظر أن الفك كان يعود إلى قرد «الأورانج»، أما الضرس فيشبه ضرس إنسان. ومع أن القسم المفصلي من الفك، والذي يرتبط مع الجمجمة كان مكسوراً، الأمر الذي ينتفي معه إمكان معرفة إذا كان هذا الفك يعود إلى نفس الجمجمة المكتشفة سابقاً أم لا، إلا أن «داوصن» و «وودوورد» أصرّا على أن الفك يعود لتلك الجمجمة، دون أن يعيرا اهتماماً لعدم كفاية الأدلة على ذلك.

كانت قطع العظام هذه تعطي صورة محيرة جداً : صورة إنسان بفك قرد، أو قرد بجمجمة إنسان.

أطلق «داوصن» ورفيقه «وودوورد» اسم Eoanthropus Dauroni على هذا المخلوق الغريب. وفي ١٨ كانون الأول سنة ١٩١٢م قدما اكتشافهما هذا في الاجتماع المعقود في «اتحاد الجيولوجيين» في لندن.

إنسان بلتداون
بين المؤيدين والمعارضين

ومع أن بعض الحاضرين في الاجتماع، أشاروا إلى احتمال كون هذه القطع من العظام لاتعود إلى كائن واحد، بل إلى عدة كائنات، إلا إن "إنسان بلتداون" حاز على رضى رجال العلم بشكل عام، أما المتشككون والمتسائلون: ماهو الدليل على أن هذا الفك يعود لهذه الجمجمة؟ فلم يعد أحد يلتفت إليهم، وأصبح أشهر علماء (علم الأحافير) البلشنوجيا(١) آنذاك مقتنعين بوجود «إنسان بلتداون» وأقنعوا أنفسهم بذلك، بحيث لم يبق أمام من يجازف بإلقاء أي ظل من الشك حول العظام المستخرجة من "بلتداون" إلا توقع مختلف أنواع النقد والتهم.

وقد حسب التطوريون، أن اكتشاف تلك الجمجمة من قبل «داوصن»، قد سلط الأضواء على إحدى النقاط الغامضة في نظرية التطور، فقد كان النقاش الدائر آنذاك بين التطوريين هو: "هل تطور جسم الإنسان أولاً أم دماغه؟.. أما «إنسان بلتداون» بجمجمة إنسان وفك قرد، فقد كان يوضح أن دماغ الإنسان هو الذي تطور أولاً. وإليكم ماكتبه العالم الإنجليزي المعروف كرافتون إليوت سمث (١٨٧٠ - ١٩٣٧م) في هذا الموضوع:

" إن أهم نقطة في اكتشاف «رجل بلتداون»، هو إثباته للرأي القائل: إن الدماغ هو الجزء الذي تطور أولاً في الإنسان عند مراحل تكامله، وإن الإنسان تجاوز مرحلة القردية بفضل تطور وتكامل دماغه، فبالرغم من احتفاظ هذا الإنسان بخشونه فك وملامح وجسم أجداده القرود، بدرجة كبيرة، فإن دماغه وصل إلى مستوى الإنسان، وبعبارة أخرى، فإن الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نما دماغه بشكل كبير.

وهكذا فإن أهمية جمجمة «بلتداون» هي في إثباتها لهذه الحقيقة إثباتا لايأتيه الشك"(٢).

إلى جانب هذه الأحكام القاطعة، التي كان يسوقها أشهر علماء العالم حول جمجمة «بلتداون» أصبحت ترتفع بمرور الزمن بعض الأصوات التي بدأت تنبه على عدم جواز الاعتماد والثقة الزائدة عن حدها في تلك القطع من العظام. فقد صرح عالم التشريح الألماني المعروف فرانز ويدنريج Franz Weidenreich (١٨٧٣ - ١٩٤٨م) سنة ١٩٤٠م (أي بعد ثلاثين سنة تقريباً من اكتشاف هذه العظام) "يجب حذف «إنسان بلتداون» من سجلات المتحجرات، لأنه ليس إلا عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة



الجمجمة التي خدعت علماء التطور أربعين عاماً !!

إنسان وفك قرد الأورانج ووضع أسنان في هذا الفك بشكل اصطناعي" ولم ينج هذا العالم المشهور، بسبب شكوكه هذه، من الانتقادات الحادة والاتهامات القاسية.

ومضى العلماء على هذا المنوال أربعين سنة يكشف كل منهم دليلاً جديداً للتأييد أو المعارضة في موضوع جمجمة "إنسان بلتداون" هذا.

تجارب علمية بأساليب متطورة تفند مزاعم أصحاب نظرية «إنسان بلتداون»

في سنة ١٩٤٩م قام العالم «كنث أوكلي» من قسم دراسة السلالات البشرية في المتحف البريطاني بإجراء تجربة الفلور على عظام «إنسان بلتداون»، حيث تبين بالدليل القاطع أنها ليست قديمة بالدرجة المتصورة سابقاً. وتعتمد تجربة الفلور على حقيقة امتصاص العظام للفلور بمرور الزمن، لذلك فإن مقدار الفلور الموجود في العظام يعتمد على:

١ـ مقدار نسبة الفلور الموجودة في التربة المدفونة فيها العظام.

٢ـ الفترة الزمنية لبقاء العظام مدفونة في تلك التربة.

وقد تبين أن نسبة الفلور الموجودة في عظام «إنسان بلتداون» قليلة مما يشير إلى حداثة دفنها، ولكن مع صيحات المعارضين لم تفلح هذه النتيجة في إلقاء شكوك قوية على هذه النظرية، كل مافي الأمر أنهم اعتبروا أن العظام دفنت في الحقيقة في وقت أبكر مما كان يتصور سابقاً.

بعد ذلك قام «كنث أوكلي» و «سير ولفودلي كروس كلارك» من جامعة أكسفورد قسم التشريح مع «ج.س.وينر» سنة ١٩٥٣م بإجراء تجارب أكثر دقة على هذه العظام. وتمت مقايسة ومقارنة أجزاء العظام بعضها مع بعض بعناية كبيرة. والتقطت صورها بالأشعة السينية، كما تم قياس مقدار النتروجين والفلور الموجودين فيها. (كلما زادت مدة بقاء العظام مدفونة في التراب ازداد مقدار الفلور، وقل مقدار النيتروجين فيها. وتجربة النيتروجين تعطي نتائج أفضل من تجربة الفلور، لأنها تستطيع تحديد عمر العظام بدقة أكثر، وخاصة إذا كانت تعود إلى عصور قريبة).

وقد أظهرت هذه التجارب أن العظام دفنت في منطقة «بلتداون» في زمن قريب جداً... في عصرنا الحالي.

كذلك عندما وضع «أوكلي» وأصدقاؤه العظام في محلول حامضي اختفت البقع الموجودة عليها، واتضح أن هذه البقع لم تكن ـ كما حسبت سابقاً ـ ناتجة عن بقائها مدة طويلة مدفونة في التراب، بل إنها أحدثت بشكل اصطناعي للإيهام بأنها تعود إلى أزمان غابرة جداً. وليس هذا فحسب، بل تبين أن الأسنان المغروسة في عظم الفك بردت بمبرد للتمويه وللإيهام بأنها تآكلت على مر الزمن. وكانت علامات البرد ظاهرة لكل عين متفحصة خبيرة.

وأخيراً أُعلنت النتيجة في تشرين الثاني(أكتوبر) سنة ١٩٥٣م، وجاءت كما يأتي:

" إن «إنسان بلتداون» ليس إلا قضية تزوير وخداع تمت بمهارة، ومن قبل أناس محترفين. فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فهي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات، والأسنان هي أسنان غرست بشكل اصطناعي، وركبت على عظام الفك. وظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها".

بعد هذا التصريح، وهذه النتيجة القاطعة تحول «إنسان بلتداون» فجأة إلى «قنبلة بلتداون» التي نسفت افتراءات ومزاعم أولئك الذين تبنوا هذه النظرية، وأصبح السؤال الملح الذي يفرض نفسه هو: كيف

تسنى عدم انكشاف مثل هذا التزوير الواضح طوال أربعين سنة؟ على الرغم من وجود دلائل كثيرة، كانت تستوجب الشكوك والحذر. يقول "لي كروس كلارك" - وهو أحد أعضاء اللجنة التي كشفت عملية الخداع هذه متسائلا بحق:

"لقد كانت علامات المحاولة المقصودة لإظهار العظام قديمة ومتآكلة ظاهرة وواضحة إلى درجة أن الإنسان ليحتار كيف أنها لم تلاحظ حتى الآن من قبل أحد"(٣).

حول دوافع التزوير

إن هناك العديد من الاحتمالات التي تفسّر الدوافع لعملية التزوير، فهناك الحسد والغيرة، وهما ليسا من الحوادث النادرة في المحيط العلمي، فلعل الذين كانوا يكرهون «داوصن» ولايطيقونه، رتبوا له هذه اللعبة أو أن «داوصن» نفسه الذي كان باحثاً هاوياً غير محترف، رتب هذه الخدعة رغبة في الشهرة، وتهويناً من شهرة المحترفين، أو أن المسألة كلها كانت مزحة في البداية ثم انقلبت إلى جدّ فيما بعد.

وبالرغم من انقضاء ربع قرن على اكتشاف التزوير في موضوع «إنسان بلتداون»، فلاتزال هذه الحادثة حديث مجالس العلم في الغرب حتى الآن. وقد يكشف عن الشخص الذي كان وراء عملية الخداع هذه، أو لايكشف عنه، وهذا لايهم كثيراً، ولكن المهم هو أن حادثة «إنسان بلتداون» سلطت الضوء على حقيقة معروفة، وهي أن العلماء - شأنهم في ذلك شأن الناس الآخرين - معرضون للخطأ، فكما يستطيع محتال محترف خداع رجل بسيط، فكذلك من الممكن خداع أشهر العلماء وأكثرهم معرفة. لكن بشرط أن يكون المحتال على علم تام بنقاط ضعف ضحيته. وهذا ماكان يتحلى به بطل «إنسان بلتداون» إذ كان - على مايبدو - على علم تام بضحيته.

كلمة أخيرة

لاشك أن القابلية للخطأ لاتستطيع وحدها تفسير تبني نظرية تفتقر إلى الأسس الصحيحة مثل نظرية التطور، لذا يجب الأخذ بعين الاعتبار - بجانب هذه - ضوابط وعوامل أخرى، فإذا أضفنا لها الدعاية الضخمة المركزة عرفنا لماذا تهيأت كل الشروط اللازمة لتقبل نظرية ضعيفة متهافتة مثل نظرية التطور.

إن نظرية التطور تريد أن تقدم لنا كوناً وجد عن طريق المصادفة... كوناً سائباً... ومن الطبيعي أن الكون إن كان قد وجد مصادفة، وليس نتيجة إرادة محكمة، فإنه كون لاغاية له، ولاهدف، إذن فلامحل للتفكير في الغاية والهدف من خلق هذا العالم الرائع، ومن خلق الإنسان، ولاحاجة إذن للخوف من يوم يحاسب فيه المرء على ماقدمت يداه.

ولكن التطوريين - مع الأسف الشديد - لايدركون أنهم بذلك يستبدلون النار بالجمرة، وهم عندما يرفضون هذه المسؤولية التي هي مجرد مسؤولية العيش كإنسان يعرف خالقه، فإنهم يرفضون مع هذه المسؤولية، حياة أبدية، وسعادة أبدية للبشر، ويصورون الموت، الذي هو مصير كل كائن حي كأنه عدم أبدي.

من ناحية أخرى، يحتاج الإنسان إلى كسب رضى مجتمعه، لذلك فإننا نراه يتقبل كل مايقدم له باسم «المعاصرة» أو «التقدمية» أو «العلم» دون تحقيق وبحث كافيين، وعندما تكون نظرية التطور «موضة» في محيط ما، فمن الطبيعي أن تجد من يحس بالفخر والغرور عندما يظهر نفسه وكأنه بطل من أبطال نظرية التطور!.

الهوامش والمراجع :

١- البلنتولوجيا Paleonthologia فرع من علم الإنسان والسلالات البشرية، يبحث في إنسان ماقبل التاريخ، والكلمة يونانية الأصل وتتركب من Palaioo وتعني القديم، on, outos وتعني الموجود أو الكائن، logos وتعني العلم أو البحث.

2-Stephen Jay Gould,: Smith Woodwards Fally, New Scientist, 1979.

3- Kemeth Oklen,: Suspicous about Piltdown Man, New Scientist 1979.

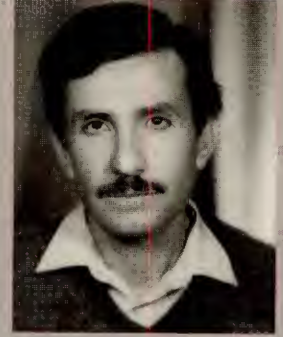
4- Calder, Nigel: The life came: Evolution and the new Biology, New York 1975.

٥- شمس الدين آق بلوت: داروين ونظرية التطور، ترجمة اورخان محمد علي.

٦- محمد علي يوسف: مصرع الداروني

رسائل الآباء إلى الأبناء

جاءت رسائل الآباء إلى الأبناء أصدق الرسائل عاطفة، تحمل في طياتها الحب كله والشوق أشده والتضحية أروعها، فهي بحق إضاءات منبعثة من قلوب الآباء الحانية إلى قلوب الأبناء المفتوحة لنسمات الحب والحنان لتنسم منها مايعينها على المضي في الحياة، وتقبس منها مايعينها على حالك الأيام والليالي فتزداد مضياً وعزماً، وتغدو أكثر نبلاً وعطاء وسخاء، لأن تأثير الآباء كبير جداً، من أجل ذلك لابد أن تبقى خطوط الاتصال بينهما مستمرة إذا مافرقتهم الغربة.



أحمد الخميسي

أقدم رسالة من أب إلى ابنه

ولعل أقدم رسالة موجهة من أب إلى ابنه هي من (أوسيا إلى ابنه شيلومام) التي وجدت مكتوبة على لفيفة من البردي باللغة الآرامية في مصر، ويعتقد أن تاريخها يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية ثم إلى العربية.

وعندما جاء عصر التدوين والكتابة، وجهت رسائل ورسائل من الأصول إلى الفروع، واعتبرت من طريف أدب المراسلة وعرفت بـ «رسائل الآباء». فماذا عن هذه الرسائل في أدبنا العربي؟

لقد اهتم الأدباء بـ «رسائل الآباء إلى الأبناء» فما من كتاب من كتب التراث يعنى بالرسائل إلا ويورد بعض هذه الرسائل، فمن الرسائل التي دوّنت لسلفنا الصالح:

- رسائل الخليفة عمر بن الخطاب إلى ابنه «عبدالله» حين خرج مغترباً غربة قصيرة.
- رسائل الإمام علي بن أبي طالب، وقد كتب لولده «الحسن» ناصحاً وموصياً ومذكراً، كما أرسل أيضاً إلى ابنه «محمد بن الحنفية».
- ماكتبه المهلب بن أبي صفرة إلى أبنائه من رسائل.
- ماكتبه خالد بن صفوان جليس عمر بن عبدالعزيز وهشام إلى ولده ناصحاً.
- ماكتبه عبدالملك بن صالح بن علي العباسي من زعماء العباسيين إلى ولده ناصحاً.
- رسالة نثرية وأخرى شعرية من موسى بن سعيد إلى ولده علي بن سعيد (وهما في الأندلس).

ولقد جمعت معظم رسائل الآباء التراثية بالإضافة إلى بعض الرسائل المعاصرة في كتاب «رسائل الآباء إلى الأولاد» مع فصل يضم رسائل الآباء من الأدب الغربي باللغة العربية. فقد جمع هذا الكتاب رسائل الآباء بالأدبين العربي والغربي باللغة العربية. أعد هذا الكتاب «ايفان جونس» وترجمه إلى العربية الدكتور محمود الأمين ولطفي الخوري، وقدم له الدكتور مصطفى حداد ونشرته مكتبة النهضة عام ١٩٦٢م.

من الرسائل المعاصرة

ومن الآباء المعاصرين الذين كتبوا رسائل إلى بنيهم وحزموها في كتب مستقلة خرجت للنور:

- الدكتور محمد حسين هيكل إلى ولده «أحمد».
- خليل السكاكيني إلى ولده «سرى».
- إسماعيل مظهر إلى ولده «جلال».
- بولس سلامة إلى حفيده «فادي».
- محمد فاضل الجمال إلى ولده «عباس».

- شكري شعشاعة إلى ولده «نزار».

- كتاب «رسائل إلى ولدي» بعنوان «منازل الأحلام الجميلة» للأديب السعودي الشيخ «عبدالعزيز التويجري».

- جرجي زيدان إلى ولده «إميل».

وهذه نبذة عن بعض الكتب التي جمعت رسائل الأدباء والمربين إلى أبنائهم:

كتاب «من والد إلى ولده»: وهو للكاتب الصحفي المصري «أحمد حافظ عوض» الذي ولد عام ١٨٧٧م وتوفي في القاهرة عام ١٩٥٠م. وكتابه هذا عبارة عن مجموعة من الرسائل تبلغ تسع عشرة رسالة جمعها ابنه جمال، وطبع لأول مرة في القاهرة عام ١٩٢٣م، ولقي الكتاب العناية فأعيد طبعه ضمن منشورات مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر بتحقيق سعيد المقداد. والرسائل في هذا الكتاب ذات طابع تربوي تعليمي عام، فهي إن كانت تعني الناشئة فإنها في الوقت نفسه تعني الآباء والمعلمين.

وكتاب «رسائل إلى ولدي خالد»: تضمن الرسائل التي أرسلها يعقوب العودات الملقب بـ «البدوي الملثم» إلى ولده «خالد» الذي التحق بالجامعة الأمريكية عام ١٩٦٨م، طبعت هذه الرسائل في سلسلة «اقرأ» المصرية العدد/٣٢٩/سنة ١٩٧٠م، وهي نوع من الاعترافات - من والد إلى ولده - ذات طابع مطابق لشخصيته، متسق مع رأيه، يتضمن المبادىء العالية والتوجيهات التي قدمها الكاتب لولده وللقراء بأسلوب سلس رشيق مما يجعل القارىء يمضي في مطالعتها بشوق ونهم إلى النهاية.

وكتاب «إلى ولدي»: من تأليف الكاتب «أحمد أمين» قال في مقدمته: "طلبت إليّ مجلة «الهلال» في آخر سنة ١٩٤٩م أن أكتب لها سلسلة مقالات بعنوان «رسالة إلى ولدي» تنشر خلال عام ١٩٥٠م فأتممتها اثنتي عشرة مقالة، في كل شهر مقالة واحدة، وجهت فيها نصائحي ونتائج تجاربي إلى ولدي، وصادف أن كان لي ابن يتم تعليمه في إنجلترا، فاستحضرته في ذهني عند كتابتها وهاهي اليوم تخرج كتابًا، والمأمول أن ينتفع بها الجيل كما انتفع بها ابني. ولقي الكتاب إقبالاً فطبع عدة مرات.

وكتاب «إلى ابنتي شيرين»: كتب رسائله الأديب الفيلسوف العربي السعودي «حمزة شحاته» الذي ولد بمكة عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م وتوفي بالقاهرة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م نشرت هذه الرسائل بإشراف ابنته السيدة «شيرين» وأصدرتها دار تهامة في سلسلة «الكتاب السعودي» عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م وهي رسائل توجيهية مملوءة بالحنو والعطف، لاتخلو من الاستفسارات عن صحتها وأحوالها الأسرية بأسلوب أدبي مشرق.

هذا عن الكتب التي حوت رسائل الآباء، أما الرسائل التي نشرت هنا وهناك فهي عديدة منها:

«رسالة إلى ابنتي»: كتبها الدكتور فاخر عاقل أستاذ التربية وعلم النفس ووجهها إلى ابنته، ثم ألقاها في الندوة النسائية التي عقدت في دمشق وحضرها جمهور كبير من سيدات وأوانس المجتمع الدمشقي ونشرتها مجلة «رسالة المعلم» الأردنية في عددها الثاني، السنة الخامسة لشهر نوفمبر/كانون الأول عام ١٩٦١م وهي رسالة تربوية كتبها خبيرٌ بالتربية وعلم النفس.

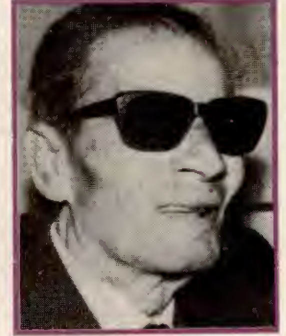
و «رسالة إلى ابني»: وهي أيضًا للدكتور فاخر عاقل أرسلها بعد أن تمنى ابنه أن يتحفه برسالة كما فعل مع أخته فوعده أن يفعل، وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره أرسل له رسالة تربوية، نشرت في مجلة «العربي» الكويتية في عددها /١٠٢/ شهر مايو - أيار ١٩٦٧م ونشرت أيضًا في الفصل الثاني من «الكتاب العربي» الثالث والعشرين ١٩٨٩م لمجلة العربي.

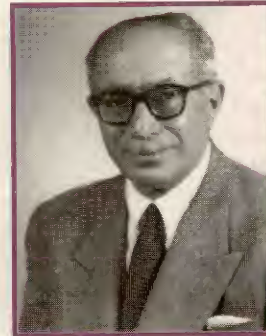
هذه الرسائل أدت مهمتها وآتت أُكلها بإذن ربها فتحقق للآباء ماكانوا يحلمون به من مستقبل زاهر لأبنائهم، فمعظم أبناء الذين ذكرناهم - إن لم نقل جميعهم - نالوا الشهادات العلمية العالية، وغدا لهم شأنهم في المجتمع يؤدون رسالتهم، ويقومون بواجباتهم خير قيام مما أقرّ بهم عيون آبائهم، وأثلج صدورهم لأن أبناءهم صاروا القدوة والمثل في النجاح.

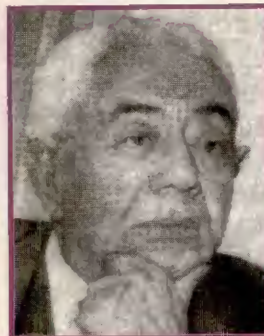
فما هي الدوافع النبيلة التي كانت تكمن وراء إرسال هذه الرسائل؟

إن الدوافع متعددة من أهمها:

أولاً: الوصية والنصيحة: وأكثر رسائل التراث كانت من هذا القبيل موجزة وبليغة، توصي وتنصح وترشد وتوجه، فهاهو ذا الخليفة العادل «عمر بن عبدالعزيز» يبيّن لنا


طه حسين


محمد حسين هيكل


اسماعيل مظهر

رسائل الآباء إلى الأبناء

الغرض من رسالته لابنه فيقول: "أما بعد فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وإن أحق من وعى ذلك وحفظه عني أنت".

ثانيًا: إطلاع الابن على خبرة الأب ونظرته في الحياة وتجاربه: يقول الكاتب «أحمد أمين»: "هذه يابني: بعض تجاربي في الحياة، وماأكثرها"، ثم يقول بعد عرض شيء منها "ستتوالى عليك كتبي، تقدم إليك تجاربي كأسًا كأسًا... والسلام عليك ممن يحب لك الخير ويود أن تكون خيرًا منه".

ثالثًا: رسائل أرسلت بناء على طلب الابن: فقد ورد في بداية رسالة الدكتور «فاخر عاقل» إلى ابنه قوله: "لعلك تذكر الرسالة التي كتبتها إلى أختك حين كانت في عمرك، تلك الرسالة التي طلبت قراءتها وتمنَّيت عليّ أن أكتب إليك مثلها... وهاأنذا أكتب إليك وقد ودعت عامك الثالث عشر". وهذا يدل على حرص الابن على توجيهات أبيه والاستفادة من أفكاره وآرائه.

رابعًا: إطلاع الولد على جانب من حياة الأب وسيرته ليحذو حذوه ويترسم خطاه: فالأديب «طه حسين» عميد الأدب العربي، يكتب لابنته وهو يعلم "أن كل فتاة بأبيها معجبة" ذاكرًا لها بعضًا من أيام حياته الدراسية فيقول:" أنت في التاسعة من عمرك، في هذه السن التي يعجب فيها الأطفال بآبائهم وأمهاتهم ويتخذونهم مثلاً في الحياة يتأثرونهم في القول والعمل ويحاولون أن يكونوا مثلهم في كل شيء، ويفاخرون بهم إذا تحدثوا إلى أقرانهم أثناء اللعب، ويخيل إليهم أنهم كانوا أثناء طفولتهم كما هم الآن عليها، يصلحون أن يكونوا قدوة حسنة وأسوة صالحة".

خامسًا: التوبيخ والإنذار: عندما ينحرف الولد ويسلك سلوكًا لايرضاه الأب، يوجه إليه تأنيبًا يلفت نظره إلى ماانتهى إليه. «فأحمد بن طولون» أرسل إلى ابنه العباس حين عصى عليه بالإسكندرية منذرًا وموبخًا إياه على أفعاله، جاء في مقدمة الرسالة: "من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه، العاصي لربه، الملم بذنبه، المفسد لكسبه، العادي لطوره، الجاهل لقدره، الناكص على عقبه.." ثم مضى في الرسالة يؤنبه ويأمره وينهاه.

سادسًا: مخاطبة الجيل من خلال الولد: وتعد الكتب المطبوعة التي ذكرناها، خير دليل على ذلك، فكتاب «أحمد أمين» : «إلى ولدي» هو رسائل موجهة إلى كل الناشئة، لأن مجلة الهلال المصرية طلبت إليه كتابتها لتنشر على صفحاتها فتقرأها الأجيال المتعاقبة فتأخذ منها الدروس والعبر.

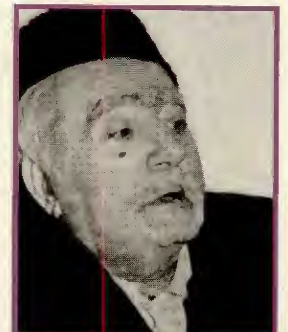
كذلك كتاب «البدوي الملثم» : «إلى ولدي خالد» يقول: «الملثم» في مقدمته:"التحق ولدي «خالد» بالجامعة الأمريكية في بيروت فعنّ لي أن أوجه إليه رسائل هي في الواقع «خطاب» لكل طالب عربي أيًا كانت إقامته، إذ أنظر لكل شاب عربي نظري لوحيدي «خالد» وأتمنى له ما أتمناه لولدي من الخير والغنم".

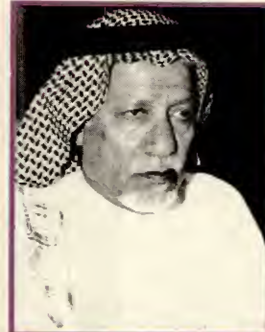
وهكذا نجد أن هؤلاء الآباء - وهم يمثلون في الحقيقة كل أب غيور على أبنائه يهمه مستقبلهم ونجاحهم - يرمون من وراء كل ذلك إلى التربية والتهذيب، ولقد بدا ذلك جليًا واضحًا في رسائل الدكتور فاخر عاقل التربوية إلى كل من ابنه وابنته، وفي كتاب «من والد إلى ولده» للكاتب «أحمد حافظ عوض» الذي تضمن آراء تربوية تدل على خبرة في هذا المجال، وفهم لكل العقبات والمشكلات التي يتعرض لها الأبناء الشباب.

لقد اتسع المجال لرسائل الآباء فوجدناها تترى عبر الأجيال تحمل في طياتها عبير الحب والحنان والعطف، وستبقى الأقلام الرقيقة تسطر أجمل العبارات وأنصع الكلمات وأصدقها من القلب إلى القلب حاملة أمنيات النبي «زكريا» عليه السلام حين قال: ﴿ فَهَبْ لي مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُني وَيَرِثُ من آلِ يَعْقُوبَ واجعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٥،٤). ومامن أب إلا ويدعو الله لابنه قائلاً: ﴿واجعله رب رضيا﴾.

المراجع:

١- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب.
٢- ايفان جونس. «رسائل الآباء إلى الأولاد» في الأدبين العربي والأجنبي، ترجمة محمود الأمين.
٣- أحمد حافظ عوض «من والد إلى ولده» منشورات مؤسسة الوحدة للصحافة بدمشق.
٤- البدوي الملثم «رسائل إلى ولدي خالد» سلسلة «اقرأ» المصرية» العدد/٣٢٩.
٥- أحمد أمين «إلى ولدي».
٦- مجلة «رسالة المعلم» الأردنية، العدد الثاني، السنة الخامسة لشهر كانون أول/نوفمبر عام ١٩٦١م.
٧- كتاب العربي - الطفل العربي والمستقبل - الكتاب الثالث والعشرون ١٥ نيسان/ أبريل ١٩٨٩م.


بولس سلامة


عبد العزيز التويجري


جرجي زيدان

أقاصيص

فاروق حسان

شتات :

أمام الباب المفتوح وقفت الأم والولد والبنت يُودّعون الأب. بدأ الرجل متماسكا رغم أنه كان حزينًا، أما الولد فكان يرتدي فانلة واسعة، عليها حروف أجنبية ملونة، والبنت تقبض على عروسة مستوردة لها ابتسامة عذبة.

قال الولد وهو يلكز أباه:

- لاتنس السيارة ... سيارة كبيرة ...

أومأ الأب برأسه مهمومًا، فيما كانت الأم تقبض على ذراعه وشفتاها ترتعش.

قالت البنت متعلقة بذراعه:

- أريد لعبا كثيرة ..

غمغم الأب بكلمات غير مفهومة، وخلّص ذراعه من قبضة الأم، ثم استدار حاملاً حقيبته. وعندما صار الرجل بعيداً، استدار الولد يركب دراجته، وطفقت البنت تغني لعروستها ذات الابتسامة العذبة، أما الأم فهرعت إلى غرفة النوم، وألقت بنفسها على الفراش واحتضنت الوسادة وأجهشت بالبكاء.

زيارة :

قيل إنهم قادمون مساء اليوم التالي. جلجلت الدماء في أُذُنَيْ البنت وأمها تربت على كتفها:

- لن يجدوا عروسا أفضل منك .. مبروك يا ابنتي

في الصباح كنسوا الشقة، وأعادوا ترتيب أثاثها المتواضع، ثم انهمكوا في صنع «تورتة» كبيرة.

في الظهيرة استحمت البنت، واقترضت عقدا من الجارة، ثم عقصت شعرها بالدبابيس. في المساء بدا الأب متوتراً وهو يرتدي بدلة كاملة رغم حرارة الجو، والأم تتنقل مستثارة بين أكواب الشربات والنافذة و «التورتة» والبنت تروح وتجيء رافضة الجلوس كي لاينبعج فستانها.

ومضت الدقائق والساعات وثلاثتهم ينتظرون وينتظرون.

تأثيم :

الصديق العزيز لأول ولآخر مرة أجدني مضطرا للكتابة إليك بعد أن بلغ انحدارك مداه وفاض حولك. لقد حاولت مرارا أن ألفت نظرك الكليل إلى ما وصل إليه حالك، لكنك - لغبائك - لم تفهم، (هل لأنك لم تمارس الفهم طوال حياتك؟).

والحق أن أمرك أعياني، فعلى مدى سنوات عمرك وأنت تعيش في الركن كالكلب.. عـذرا... ليس كالكلب وإنما كالجرذ.. نعم كالجرذ حتى بلغ انسحاقك حده الأقصى دونما ومضة تعلن انتماءك إلى عالم الأحياء.

واسمح لي أن أسأل: هل حقا عشقت الموات؟.

لاتغضب، فالواقع يقول إنك ميت باليقين ، ميت لم يبق منه حتى الهيكل، ميت لاتنقصه إلا شهادة الوفاة حتى يأخذ الأمر شكله الرسمي. فماذا بعد أيها المتضائل.. ماذا بعد؟.

هل ستقضي ما بقي من عمرك هكذا، مجرد صفر كبير بلانبض أو قيمة، يترنح في غمار الهوان دون أن يحاول مرة مجرد البحث عن كرة للخروج، أم أنك سوف تلملم بقاياك المبعثرة بطول عمرك لتصوغ منها شيئا جديداً مفرود القامة؟.

أطرح هذا التساؤل ولآخر مرة، أكرر: لآخر مرة، فهل ستدير ظهرك لكل ماجرى مادا بصرك للأمام؟.

فهل تفعل؟؟.

هل ياترى تفعل؟.

أملي..

ودمت لتوأمك ،،،

وما أن انتهى من تحرير الخطاب، وأعاد قراءته مرتين حتى تنهد في راحة. قال:

- خطاب جيد .. يحرك الجماد.

ووضع الخطاب في ظرف عليه طابع بريد، وكتب الاسم والعنوان بخط واضح، وبعد أن ارتدى ملابسه على عجل، هرول ليلقي به في صندوق البريد.

وفي الصباح استيقظ مبكرًا على غير عادته، وحلق ذقنه، وارتدى حلة كاملة، ثم جلس في الصالة مرهفا أذنيه منتظرا طرقة ساعي البريد.

تقريع :

المعلم الكهل الذي اكتشف فجأة أن الأيام تمر سراعا دون أن يلحظها أحد، كان يجلس أمام عائلة فتاة شابة تحمل وجها صادقا نبيلا.

قال المعلم:

- يشرفني ياسادتي أن ...

وأرتج عليه فتوقف، وعرك أذنه ، ومد يده إلى كوب الماء ثم عاد وقرر ألا يشرب.

وهرع رب الأسرة لنجدته:

- فهمت ياسيدي فهمت.. تريد الاقتران بابنتنا.. أليس كذلك؟.

المعلم الكهل هز رأسه وعيناه في السجادة.

- لكن .. واعذرني .. ألا ترى أن فارق السن .. أعني .. أنت تفهمني بالطبع.

المعلم الكهل لم يستطع أن يفسر إلى أن مات من أين واتته الجرأة ليلهث قائلاً::

- السن ليس مهما.

- وما هو المهم اذن ياسيد؟

الـ .. الإحساس ياسيدي .. قلبي - وأسأل الله لي ولكم العافية - مازال شابا.. بل مازال طفلا.

قاطعه شقيق الفتاة مقهقها:

- يبول على نفسه.

ولم تستطع الأسرة أن تحافظ على تقاليد الضيافة أكثر من ذلك فانطلقت تضحك.. تضحك.

لصوص :

اقتنص اللص حافظة نقود العجوز ولاذ بالفرار. وقف الجمع مبهوتا مشفقا على العجوز التي بدأت عيناها تدمعان.

شقّ الجمع شاب يفيض إخلاصا، ربت على كتف العجوز في حميمية ظاهرة ثم سابق الريح.

وقف الجمع محبوس الأنفاس، وهو يرى المسافة تضيق بين الشاب واللص. وما كادت المسافة بينهما تحتضر حتى ألقى اللص بالحافظة.

توقف الشاب دفعة واحدة حتى كاد يتكفئ والتقط الحافظة دون أن يلقي بالا إلى اللص الذي واصل الفرار.

كانت سعادة العجوز لاتوصف، والجمع يهلل ويصفق ويضرب الأرض بقدميه مستثاراً . وللحظة وقف الشاب يدير الطرف بين الجمع البعيد وبين حافظة النقود في يده، وما لبث أن أفرغها في جيبه وأطاح بها بعيدا، وانطلق يجري في اتجاه مغاير.



الجزيرة تكفيك



تثري مساءك

المسائية

تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

المدينة العربية الإسلامية

د. تماضر حسون

من عمق المحيط إلى جوف الصحراء، نشر الإسلام حضارة الاستقرار والأمن في المدن العربية، وهيأ المناخ الملائم لولادة الفن، ونموه، وازدهاره، وتفرده على طول وعرض رقعة هذا الوطن، فأصبحت المدن العربية بمثابة متاحف أبدعتها، وصنعتها حضارة العرب والمسلمين. ففي أحياء هذه المدن وعلى جوانب طرقها وحاراتها تنتشر آثار خالدة، تحكي حضارة العرب والمسلمين، فهذه الآثار بقصورها وأعمدتها وأروقتها، وتلك المساجد بمآذنها وقبابها، وتلك البيوت، ونقوشها، وساحاتها، وأسوارها، لوحات فنية، تنطق بالروعة والجمال، وتناغم الأشكال، وتداخل الأبعاد والألوان، فالفن الإسلامي هو لغة التعبير عن وحدة الأرض والسماء، وعن عظمة الخالق وبديع صنعه.

وفن العمارة العربية الإسلامية لها طابعها الخاص، وشخصيتها المميزة، سواء من حيث التصميم كالشكل، وفتحات الأبواب والنوافذ والعقود، أو من الناحية الجمالية كالتشكيل والزخرفة. ويتجلى الفن المعماري الإسلامي بأبدع صوره في المساجد، وأعمدتها، وقبابها، ومآذنها، كونها أماكن عبادة مقدسة، لذا فقد جاءت تلك المساجد تحفًا فنية رائعة، ومساجد المغرب والأندلس مازالت بارزة للعيان، تشهد على مهارة الفنانين المسلمين وذكائهم وإبداعهم في مجال العمارة والزخرفة، فقبة الصخرة في القدس نموذج فني رائع للقباب الإسلامية وهي خير مثال، حيث يبلغ قطرها حوالي عشرين مترًا، مقامة على قاعدة مستديرة، ترفعها أربع دعائم، وبين كل دعامتين أربعة أعمدة، وتحمل الأعمدة والدعامات ستة عشر عقدًا مدببًا، يعلو العقود رقبة أسطوانية فيها ست عشرة نافذة. وكانت القبة قد صنعت من الخشب وغلفت بمادة الرصاص.

أما المآذن فقد اتخذت أشكالاً مختلفة، ونُقشت بأجمل الزخارف، ورصعت بالذهب والأحجار الكريمة، ومئذنة أحمد بن طولون شاهد على روعة التصميم ودقة البناء وجماله.

أما القصور، فقد جاءت مثال العظمة الفنية، ومازال قصر الحمراء في غرناطة يعد أعظم ماشهده الفن الإنساني حتى يومنا هذا. وإذا انتقلنا إلى تخطيط المدينة العربية الإسلامية التي تتميز بالأصالة والعراقة، نجد أنها تنمو وتتحلق حول المسجد، وقصر الأمير لابد أن يقام قرب المسجد، ويحيط بالمسجد الأسواق، وتمتد على الأطراف البيوت والمساكن، ومن زار دمشق وجد هذا التصميم والتخطيط مازال ماثلاً للعيان في المسجد الأموي بتاريخه، وجماله، وروعته، كان نواة مدينة دمشق، وقصر الأمير قريب كل القرب من المسجد، وحول المسجد انتشرت الأسواق، واكتسب كل سوق اسمه من اسم الحرفة التي يمارسها الصناع فيه، فهذا سوق الحرير، وذاك سوق النحاسين، وثالثهم سوق الصاغة.... إلخ.

أما البيوت، فلها طابعها العربي الإسلامي، فهي متراصة متلاصقة مع بعضها بعضا، تفصل بينها أزقة وحارات ضيقة، حتى إن الشرفات الداخلية العليا للبيوت تكاد تلتصق بعضها ببعض. ومع ذلك فلكل بيت استقلاليته الخاصة به، وعادة يتوسط البيت صحن الدار، وفي وسطه بركة ماء صغيرة، تُرصّ حولها أُصص الزهور والنباتات الجميلة الفواحة، وتحيط الغرف بصحن الدار. وفي الوقت نفسه فقد صممت لتكون انعكاسًا لروح الإسلام، وتقاليده، وتراثه، فالبيت في الإسلام له حرمته، لأنه حرم الأسرة، ولابد أن يكون مستورًا بعيدًا عن أعين الآخرين، لذا فنوافذ البيوت عالية، وضيقة، وتحيط بها جدران عالية من كل جانب، ويقول الدكتور عبدالإله عباس في كتابه «أزمة المدينة العربية»: "إن البيت الإسلامي حافظ على حرمة الأسرة واستقلاليتها من ناحية، وعمل على التراحم والتآلف بين الناس من ناحية ثانية، وذلك بتقارب وتلاصق البيوت، فالدين الإسلامي يحض على التقارب والتعاون بين المسلمين في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية، ولهذا تميزت المدينة العربية الإسلامية بتقارب مساكنها وبتراص أحيائها. وكان يحيط بالمدينة سور عال لحماية السكان، وكانت في الأسوار أبواب لدخول الناس، والقوافل للمدينة، وخروجهم منها. ومن يزور دمشق يجد آثار الأبواب مازالت شامخة واقفة شاهدة على حضارة راقية".

وفي ختام هذه اللمحة الموجزة نقول: إن المدينة العربية التي قامت، وازدهرت تحت ظلال وأجنحة الإسلام، وجوهره، وتعاليمه، مازالت تحتفظ ببعض خصائصها، ولكنها تتعرض اليوم لعمليات تدمير وهدم وتخريب تحت ستار التحضر والتحديث.

قصة قصيرة

الشائعة



محمد حمد الصويغ

ـ أ ـ

ـ ياللمهزلة .. عَمُّنا الكبيرُ يعشق (الخادمة).

هكذا همهم الجميع بعد أن أشاع الابن بينهم علاقة الأب الحميمة مع خادمته اللعوب.

ولكن السؤال الذي تراقص أمام أنظار كبار العائلة هو الآتي:

ـ أصحيح ماأشاعه الابن عن علاقة بين الأب والخادمة؟ وعلى أي مستند يستند الابن في ترويج (شائعته) هذه؟

ولفّت الحيرة الأسرة بردائها.. بعضهم صدق الشائعة.. وبعضهم كذبها.. وبعضهم لم يشأ التكذيب أو التصديق.

حاول الابن أن يبرر الشائعة بأكثر من برهان أمام أولئك الذين لم يصدقوا ماقاله لهم:

ـ لقد رأيته بعيني يحتضن الخادمة ويقبلها.

غير أنه لم يستطع استمالة البعض إليه.. لقد سخروا منه.. فسخر هو منهم أيضا.

ـ ب ـ

أم الفتى بدأت تشعر بالغيرة من الخادمة الجميلة فهي مانفتأ تردد على مسامع زوجها:

ـ من قال لك أنني أريد خادمة في بيتي؟ اطردها قبل طلوع الفجر.

ـ لقد كثرت عليك أعمال البيت.. ووجود هذه الفتاة سوف يساعدك كثيرا.. ولاتنسي أنك كنت تُلحِّين بضرورة الحصول على خادمة.

ـ هذا صحيح.. ولكنني غيرت رأيي الآن.. لاأريد خادمة.. لاأريد أحدا يساعدني على أعمال المنزل.. سوف أقوم بها بنفسي.

ـ يبدو أنك مازلت تصدقين أقوال ابنك المعتوه.. أؤكد لك أن أقواله عارية من الصحة.

ـ لاتحاول أن تجادلني في الأمر.. قلت لك إن وجود هذه الخادمة داخل بيتي أمر يضايقني.. فاطردها من البيت حالا.

ـ ولكن ماذنبها؟

ـ اسمع.. سوف أحزم حقائبي الليلة وأغادر منزلك إلى منزل أبي.. ومتى ماطردت الخادمة من البيت رجعت أنا إليه.

ـ جـ ـ

ويحاول أن يهدىء من ثورتها.. وثَنْي عزمها عن مغادرة البيت.. ولكن دون جدوى:

ـ أمهليني بعض الوقت ريثما أدرس الموضوع جيدا.

ـ سوف أعطيك من الوقت ماتشاء.. ولكنني لاأستطيع البقاء معها في بيت واحد.

وغادرت بيتها إلى بيت والدها متذمرة ساخطة على تصرفات زوجها. ولكن..

ألا تظن أنها ظلمته وظلمت الخادمة معه؟

لماذا لم تتروَ قليلا قبل مغادرتها البيت؟

قال لها والدها بعد أن سمع الحكاية:

ـ كيف يتصرف معك هذا الرجل الأبله بهذه الطريقة الرعناء.. أهذا جزاء العِشْرة؟

ابقِ هنا يابنتي إلى أن يعود صوابه إلى رأسه.. فلعل وعسى.

ويتمتم والدها بكلمات لم تفهم منها شيئا سوى قوله:

ـ هذا رجل مجنون.. رجل مجنون.. مجنون..

ـ د ـ

ويمضي الوقت دون أن يتصل بها زوجها.. مر شهر كامل دون أن يسأل عنها.. أو تسأل هي عنه.

ـ لو كان يحبني حقا لطرد الخادمة من البيت.. ولكنه يحبها..

أجل.. يحبها.. لقد كان ولدي صادقا إذن.

هكذا كانت تردد بينها وبين نفسها كلما خلت إلى الوحدة.

ولكن..

أيعقل هذا..؟

أيعقل أن يعشق رجل في مثل سنه ومركزه (خادمة) بعد عشرة طويلة ـ مع زوجه ـ امتدت عشرين عاما؟

لا..

هذا كلام لايُعقل..

وبدأت (الحقيقة) تطفو على السطح.. لقد أيّد الجميع الابن في أقواله.. ولم يعد أحد يكذبه.

وفي يوم مشؤوم على الزوجة جاء ولدها لاهثا واحتضنها بقوة وراح يجهش في البكاء فسألته:

ـ ماذا بك يابني؟ لماذا تبكي؟

فأجابها والدمع يكاد يخنق صوته خنقا:

ـ لقد تزوج أبي من الخادمة ياأمي..

من تقاويم الشعوب

د. إحسان هنيدي

(ج)

التقويم[1] الجاهلي: عرف العرب حساب السنين منذ أقدم العصور، فقد استخدم «الثموديون» - على سبيل المثال - التقويم القمري، وسمّوا أشهر السنة القمرية: موجب - موجر - مورد - ملزم - مصدر - هوبار - هوبال - موها - ديمر - دابر - حيفل - ميسل.

وفي عهود الجاهلية الأولى، قبل حوالي ٥٠٠سنة من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تسمية الشهور عند العرب: المؤتمر - ناجر - خوان - بصان - ختم - زباد - الأصم - عادل - ناتق - وغل - هواغ - برك.

التقويم الجريجوري (الميلادي) : CALENDRIER GREGORIEN

أخذ (التقويم اليولياني) اسم (التقويم الميلادي) منذ عام ٣٢٥م وذلك باعتبار أن بناء مدينة روما حدث قبل ٧٥٠سنة من ميلاد السيد المسيح. ولكن بالرغم من ذلك بقيت بعض المناطق المسيحية تتبنى أحداثا شهيرة أخرى كبداية للتأريخ، مثل ميلاد الإسكندر المقدوني، أو فتحه مدينة بابل... الخ.

والمثال على ذلك الهدنة التي وقعها الظاهر بيبرس مع أحد القادة المسيحيين في الحروب الصليبية، حيث كان تاريخها «يوم الاثنين رابع رمضان سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية، الموافق لليوم الثلاثين من أيام سنة ألف وخمسمائة وتسعة وسبعين للإسكندر بن فيلبس اليوناني» كما جاء في كتاب «صبح الأعشى/ ج٢ - ص ٤٣٣» للقلقشندي.

ونعودُ الآن إلى التقويم الجريجوري فنقول: إن التقويم الذي فرضه يوليوس قيصر عام ٤٥ق.م قد اعتبر السنة بطول ٢٥، ٣٦٥يوما. ولكن السنة الفلكية الفعلية هي أقصر من ذلك إذ إن طولها بالدقة هو ٣٦٥ يومًا وخمس ساعات وثمان وأربعون دقيقة وست وأربعون ثانية وست أعشار الثانية، ومعنى هذا أن طول السنة الحسابية يزيد بإحدى عشرة دقيقة وحوالي أربع عشرة ثانية على السنة الفلكية الفعلية. وهذا الفرق قد تراكم حتى أصبح حوالي عشرة أيام عام ١٥٨٢م.

ولهذا أصدر البابا «جريجوار الثالث عشر» مرسومًا بابويًا BULLE، يوم ٢٤ فبراير / شباط ١٥٨٢م، أمر فيه باقتطاع عشرة أيام من السنة في الرابع من أكتوبر من العام نفسه، وبهذا تحوّل يوم الخميس الرابع من تشرين الأول (أكتوبر) إلى يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر نفسه والعام نفسه. ولإطفاء الفارق الذي بقي بين السنة الفلكية والسنة الحسابية الميلادية بالنسبة للمستقبل لاحظ الفلكي «كلافيوس» - الذي وضع أسس التقويم الجريجوري - أن فارق الإحدى عشرة دقيقة يشكل ثلاثة أيام ونيفًا (٧٣ساعة) كل أربعة قرون، ولذا أوصى بألا تعتبر السنوات التي تشكل خواتم للقرون (١٦٠٠- ١٧٠٠ - ١٨٠٠ - ١٩٠٠ - ٢٠٠٠ .... الخ) سنوات كبيسة (بطول ٣٦٦ يومًا) إلا إذا كانت خانتا المئات والألوف فيها تقبل القسمة على الرقم ٤، ولهذا لم تعدّ أعوام ١٧٠٠- ١٨٠٠ - ١٩٠٠ سنوات كبيسة، بالرغم من أنها كذلك حسب التقويم اليولياني، بينما تم اعتبار عام ١٦٠٠ سنة كبيسة، وكذلك سيكون عام ٢٠٠٠ سنة كبيسة لأن رقمي المئات والألوف فيهما (١٦ و ٢٠) يقبلان القسمة على الرقم ٤ .

وأدى هذا التدبير إلى إطفاء فارق ٣ أيام كل أربعة قرون، وبهذا أصبحت السنة الحسابية بطول السنة الفلكية تقريبا، ماعدا فارقًا بسيطًا لايتجاوز بضع ثوان في العام الواحد، ولن يصبح أكثر من ثلاث ساعات كل أربعة قرون، ولكنه سيصبح يومًا كاملاً بعد ثلاثة وثلاثين قرنًا (٣٣٠٠ سنة) وهذا مايستدعي التفكير بإصلاح جديد للتقويم الجريجوري يجعله أكثر دقة، وبشكل تتطابق فيه السنة الحسابية مع السنة الفلكية تمام التطابق.

وقد تم تبني التقويم الجريجوري من قبل فرنسا وإيطاليا في العام نفسه (١٥٨٢م)، وفي بروسية عام ١٦١٠م، وفي الدانمرك وسويسرا عام ١٧٥٢م، وفي السويد ١٧٥٣م. كما تم تبنيه في إنجلترا عام ١٧٥٢، بناء على طلب من اللورد تشسترفيلد، وقد حصلت طرفةٌ فريدة عند تبنيه، حيث إن الجماهير البريطانية، المحافظة بطبيعتها، قد استهجنت هذه القفزة في الزمن التي تتمثل بأن ينام المرء مساء الثاني من أيلول (سبتمبر)، لكي يستيقظ صباح الرابع عشر منه، لذا كان المواطنون البريطانيون يلاحقون عربة اللورد تشستر فيلد ويرجمونها بالحجارة صائحين: «أعد لنا الأيام الأحد عشر التي ضاعت من عمرنا»؟

وأما الروس واليونان والنصارى الشرقيون عامة، وخاصة طائفة الأرثوذوكس منهم، فقد بقوا على التقويم اليولياني، وهذا ماجعل الفرق

بين التقويمين الغربي (الجريجوري) والشرقي (اليولياني) في حدود ثلاثة عشر يومًا حاليًا.

وبعد ثورة تشرين الأول (أكتوبر ١٩١٧م) هجر الاتحاد السوفياتي التقويم اليولياني الشرقي، وأخذ بالتقويم الجريجوري الغربي في العام التالي لنشوب الثورة (١٩١٨م)، وهذا يفسر لنا سبب احتفال الاتحاد السوفياتي بثورة أكتوبر في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) كل عام.

والتقويم الجريجوري، بالرغم من مزاياه التي جعلت أغلب شعوب العالم تتبناه وتأخذ به، سواء أكانت تدين بالنصرانية أو بغيرها، فإنه لايسلم من النواقص والعيوب، وأهم ما يؤخذ عليه في هذا المجال اختلاف عدد أيام السنة بحسب ماتكون عادية أو كبيسة (٣٦٥ أو ٣٦٦يوما)، واختلاف عدد أيام الشهر (٣٠ أو ٣١) ماعدا شهر فبراير (شباط) الذي يكون (٢٨ أو ٢٩)، واختلاف تواريخ وقوع أيام الأسبوع في كل شهر، وكذلك رأس السنة الذي يمكن أن يقع في أي يوم من أيام الأسبوع، ومثله رأس كل شهر، وعدم ارتباط بدء كل سنة جديدة بأية ظاهرة فلكية أو طبيعية.

ولهذا حصلت محاولات كثيرة في فرنسا والاتحاد السوفياتي وغيرهما لتجاوز هذه الانتقادات، ولكن جميع هذه المحاولات فشلت في جعل شعوب العالم تتخلى عن التقويم الجريجوري.

هذا ومن الجدير بالذكر أن معظم البلدان العربية تتبنى هذا التقويم، ولكنها تختلف في تسمية الشهور بين التسمية السريانية (في سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق) والتسمية المحرفة عن الإنجليزية (مصر والسودان والصومال واليمن ودول الخليج) وتلك المحرفة عن الفرنسية (في جيبوتي ودول المغرب العربي).

وهكذا يسمى شهر AUGUST «آب» في البلدان التي تتبنى التسمية السريانية، ويسمى «أغسطس» في البلدان التي تبنت التسمية الإنجليزية، كما يسمى «أوت» في البلدان التي تبنت التسمية الفرنسية إلا بالنسبة للمغرب حيث يسمى «غُشْت»، وَقِسْ على ذلك بالنسبة لبقية الشهور.

(ر)

التقويم الروماني: بُدئ بتطبيق هذا التقويم بعد بناء مدينة روما بأربع سنوات، أي في عام ٧٥٠ ق.م. وكان هذا التقويم قمريًا، يعتمد على السنة القمرية (٢) ومدتها ٣٥٥ يومًا.

وكانت السنة تبدأ في شهر آذار (مارس)، وهذا ما يفسر تسمية أشهر سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر بهذه الأسماء التي تعني الشهر السابع، الثامن، التاسع، العاشر، على التوالي، بينما ترتيبها الفعلي هو التاسع، العاشر، الحادي عشر، الثاني عشر. ثم عُدل عن ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبحت السنة تبدأ في شهر كانون الثاني (يناير).

ولما لاحظ كهنة الرومان حدوث فرق بين سنتهم الحسابية(٣) التي تحوي ٣٥٥ يومًا والسنة الشمسية(٤) (الفلكية) بدؤوا يضيفون شهرًا تكميليًا، طوله عشرون يومًا كل سنتين، بذلك أصبحت سنتهم ٣٦٥ يومًا بالرغم من أنها قائمة على أساس السنة القمرية.

ولما بقي الفرق - ولكن بدرجة أقل - بين السنة الرومانية والسنة الفلكية، بدأ الكهنة يضمون كل أربع سنوات معًا: الأولى بطول ٣٥٥يوما، والثانية بطول ٣٧٧يوما، والثالثة بطول ٣٥٥يوما، والرابعة بطول ٣٧٨يوما، بحيث يكون متوسط طول السنة خلال أربع سنوات ٣٦٦.٢٥يوما، ولعل اليوم الزائد عن الطول الفعلي للسنة الفلكية (٣٦٥.٢٥يوما) كان لإطفاء فرق ربع اليوم في السنة الحسابية الرومانية. وهذه التغييرات سببت اختلافات ملحوظة بين السنة الفلكية، والسنة الرومانية الحسابية، وهذا ما دعا الكاتب الفرنسي الساخر «فولتير» للقول بعد ذلك بحوالي ألفي سنة: «كان قادة روما يكسبون المعارك، ولكنهم لم يكونوا أبدًا يعرفون تاريخ المعارك التي كسبوها »

(س)

التقويم السرياني: يبدأ هذا التقويم من تاريخ فتح بابل من قبل الإسكندر المقدوني عام ٣٣٠ ق.م.

وأسماء الأشهر فيه ذات تسمية عبرية مع بعض الاختلافات في أسماء أربعة منها، وهي تتسلسل كما يلي: كانون الأول، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني.

وأطوال هذه الأشهر كمثيلاتها في التسمية لدى شعوب بلاد الشام والعراق حاليًا، ماعدا شهر تشرين الأول الذي اعتبروه ٣١ يوما بدلاً من ٣٠، وشهر كانون الثاني الذي اعتبروه ٣٠ يوما بدلا من ٣١. ولايزال هذا التقويم يتبع الطريقة اليوليانية في الحساب، وقد كان تاريخ الرابع من أبريل عام ١٩٣٥م حسب التقويم الجريجوري يوافق الثاني والعشرين من آذار عام ٢٢٤٦ سرياني.

التقويم السوفياتي: في شهر تشرين الأول من عام ١٩٢٩م تم تطبيق تقويم ثوري جديد في الاتحاد السوفيتي، تم فيه قسمة السنة إلى اثني عشر شهرًا، كل شهر منها يحوي ثلاثين يومًا، وهذا مايجعله يشبه تقويم الثورة الفرنسية من جهة والتقويم المصري من جهة ثانية.

والشيء الجديد في هذا التقويم أنه ألغى أسبوع السبعة أيام، واعتبر الشهر بدلاً من ذلك ستة خماسيات، كل منها يحوي خمسة أيام، ووزع الأيام الخمسة أو الستة التي كان الفرنسيون يضيفونها إلى آخر كل عام دفعة واحدة على طيلة السنة بحيث تتوافق مع مناسبات العطل الرسمية. ولكن هذا التقويم لم يُعمّر طويلاً إذ ألغاه ستالين بعد عدة سنوات من بدء تطبيقه.

التقويم السومري ـ البابلي: كان البابليون والكلدانيون ومن قبلهم السومريون، يتبعون سنة قمرية عدد أيامها ٣٥٤ يوما.، ولما ازداد الفرق بين السنة الفلكية ٢٥، ٣٦٥ يوما وسنتهم الحسابية طبقوا ما يسمى (دورة ميثون LE CY-CLE DE METON) ومؤداها أن كل ١٩سنة شمسية أو ٢٢٨ شهرًا شمسيًا تعادل ٢٣٥ شهرًا قمريًا، ومعنى هذا وجود سبعة أشهر قمرية فرق كل تسع عشرة سنة شمسية بين التقويمين، ولذلك بدأوا يضيفون سبعة أشهر قمرية كل تسعة عشر عامًا لكي يتطابق التقويم القمري مع التقويم الشمسي.

هذا ومن الجدير بالذكر أن العبرانيين اقتبسوا «دورة ميثون» هذه عن البابليين كما سيظهر معنا عند شرح التقويم العبراني.

(ع)

التقويم العبراني: يبدأ التاريخ العبري يوم ٧ أكتوبر ٣٧٦١ق.م، على أساس أن هذا اليوم هو تاريخ خلق العالم، وهذا خطأ تاريخي ظاهر؛ لأن الأبحاث الحديثة تدل على أن عمر العالم يتجاوز عدة ملايين من السنين!

وقد تبنى العبرانيون الطريقة البابلية في حساب السنين، ولكنهم عدلوها بعض الشيء، حيث إنهم أخذوا «دورة ميثون»التي مدة كل منها ١٩ عاما، وبدلاً من أن يضيفوا الأشهر السبعة التي تشكل الفرق بين التقويمين الشمسي والقمري في نهاية الدورة دفعة واحدة كما كان البابليون يفعلون، فقد جزؤوها على سنوات، وهكذا اعتبروا السنوات رقم ٣ و ٦ و ٨ و ١١ و ١٤ و ١٧ و ١٩ من أصل هذه الدورة سنوات كبيسة تتضمن ثلاثة عشر شهرًا بدلاً من اثني عشر، وبهذا تتكون السنة العبرية العادية من اثني عشر شهرًا تحوي ٣٥٣ ـ ٣٥٥ يومًا، بينما تتكون السنة العبرية الكبيسة من ثلاثة عشر شهرًا وتحوي ٣٨٣ ـ ٣٨٥ يومًا، والشهر الإضافي الثالث عشر يُسمى «آداربيت» أي «آذار الثاني» لأنه يأتي بعد شهر آذار.

وأطوال الأشهر العبرية كالتالي: نيسان ٣٠ يوما ـ آيار ٢٩ ـ سيوان ٣٠ ـ تموز ٢٩ ـ آب ٣٠ ـ أيلول ٢٩ ـ تشرين ٣٠ ـ مرهشفان ٢٩ ـ كسلو ٣٠ ـ طيبث ٢٩ ـ شباط ٣٠ ـ آذار ٢٩.

واختلاف طول السنة العبرية بين سنة وسنة جعلت مواعيد الأعياد والمناسبات اليهودية تختلف في تواريخ وقوعها: فمثلا يوم ١٤ مايو عام ١٩٤٨م ـ وهو يوم إعلان ما يسمى بدولة إسرائيل ـ حسب التقويم الميلادي (الجريجوري) صادف الخامس من أيار ٥٧٠٨ حسب التقويم العبري، وعام ١٩٨٤م صادف عام ٥٧٤٤ عبري وهكذا...

(ف)

التقويم الفرعوني القديم: بدأ العمل به عام (٢٤٣٦) ق.م، وهو تقويم حسابي مدني، إذ كان يعتبر السنة اثني عشر شهرًا، وفي كل شهر ثلاثون يوما، وتتبع الشهر الأخير خمسة أيام أعياد يخصص كل منها للاحتفال بواحد من آلهة المصريين القدماء الخمسة: أوزيريس، إيزيس، حورس، سيث، نفيتس، وهذا مايجعل السنة المصرية المدنية ٣٦٥يوما، وهي أقل من السنة الفلكية بربع يوم تقريبا، وإغفال إضافة ربع اليوم هذا جعل الأيام تتراكم، وجعل الأحداث الطبيعية تأتي في غير مواعيدها المعتادة ، مما جعل أحد الكهنة يشتكي من هذه الظاهرة، ويكتب: «جاء الشتاء في الصيف وانقلبت الأشهر واضطربت الساعات ...». وقد ظل هذا الفرق يتراكم حتى قام بطليموس الثالث عام ٢٣٧ ق.م بإصدار مرسومه المعروف باسم «مرسوم كانوب» ويقضي بإضافة يوم كل أربع سنوات، وبهذا أصبحت السنة المصرية المدنية (الحسابية) ٣٦٥يومًا وربع اليوم، حيث إنه من أصل كل أربع سنوات هناك ثلاث سنوات صغيرة طول كل منها ٣٦٥ يوما، وسنة كبيرة (كبيسة) طولها ٣٦٦ يوما. وهذه الطريقة في جبر ربع اليوم وإضافته إلى السنة كل أربع سنوات هي التي تبناها الإصلاح اليولياني بعد ذلك بحوالي قرنين من الزمن. ولكن يبقى هناك فارق أساسي بين التقويم الفرعوني والتقويم اليولياني. فعدد أيام الشهر موحدة في التقويم الفرعوني (٣٠ يوما في كل منها بالإضافة لخمسة أيام عطل في السنة الصغيرة، وستة أيام في السنة الكبيرة) بينما عدد أيام أشهر التقويم اليولياني تتراوح بين ٢٨ و ٣١ يوما كما أسلفنا.

وقد استخدم كهنة المصريين السنة القمرية بالإضافة للسنة الشمسية، وللمواءمة بين التقويمين القمري والشمسي اعتبروا كل ٩١٢٥ يومًا «دورة زمنية» تتكون من ٢٥ سنة شمسية كل منها ٣٦٥يوما، وهي تعادل في الوقت نفسه ٢٥ سنة قمرية: ١٦ منها صغيرة تحوي كل منها ١٢ شهرًا قمريًا، و٩ سنوات كبيرة تحوي كل منها ١٣ شهرًا قمريًا. وهذه الطريقة في المواءمة بين التقويمين القمري والشمسي هي التي تبناها التقويم العبراني أيضًا.

وقد استخدم الأقباط المصريون السنة الحسابية (المدنية) الفرعونية كما شرحناها آنفا، ولهذا نرى الأشهر القبطية يحوي كل منها ٣٠ يوما دون زيادة أو نقصان، وهي بالترتيب التالي: طوبة ـ أمشير ـ برمهات ـ برمودة ـ بشنس ـ بؤونة ـ أبيب ـ مسري ـ توت ـ بابة ـ هاتور ـ كيهك ، مع إضافة خمسة أيام عطلة أو ست أيام في نهاية السنة القبطية.

التقويم الفرنسي: نعني به التقويم الذي استقاه زعماء الثورة الفرنسية عن التقويم المصري القديم (الفرعوني)، وطبقوه اعتبارًا من ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٧٩٣م. ويقوم هذا التقويم الثوري على قسمة السنة إلى اثني عشر شهرًا، طول كل منها ٣٠يومًا، مع خمس أيام كأعياد في نهاية السنة (٦أيام في السنة الكبيسة). وسميت الأيام الخمسة في نهاية العام باسم «أيام الشعب»، واليوم السادس الذي يأتي ختامًا للسنوات

من تقاويم الشعوب

الكبيسة سموه «يوم الثورة».

وقد ألغوا تقسيمات الشهر إلى أسابيع، وقسموه بدلا من ذلك إلى ثلاث عشاريات 'DECADES' بأسماء، الأولى والثانية والثالثة. وجعلوا اليوم العاشر في كل منها للراحة.

ولإتمام عملية التغيير فقد ألغى زعماء الثورة الفرنسية أسماء الأشهر الجريجورية بالفرنسية (جانفيه، فيفرييه، مارس ...) وتبنوا بدلاً منها أسماء أشهر ترتبط بالحوادث الطبيعية المزامنة لها، وهكذا أصبحت أسماء الأشهر: فاندمير (بمعنى شهر الرياح)، بروفير (شهر الضباب)، فريمير (شهرالبرد)، بليفيوز (شهر المطر)، فلوريال (شهر الزهور). فريكتيدور (شهر نضج الفواكه)... الخ.

هذا بالنسبة للأشهر، وأما بالنسبة للسنين فإن تاريخ البدء كان ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٧٩٣م، وكل سنة في تقويم الثورة بعد ذلك تحمل ترتيبها مثل (العام الثاني L'AN DEUX) و(العام الثالث L'AN TROIS) ومثال ذلك أن يوم ١٨ بروميير من السنة الثامنة في تقويم الثورة يقابل التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٩٩م في التقويم الجريجوري. وبالرغم من أن تقويم الثورة هذا تلافى كثيراً من الانتقادات التي تم توجيهها للتقويم الجريجوري، فإنه قاد بدوره إلى كثير من المساوئ من حيث العلاقات التجارية والاجتماعية بين الفرنسيين وجيرانهم من الشعوب الأخرى، وهذا مادعا الامبراطور نابليون بونابرت إلى إلغاء هذا التقويم والعودة إلى التقويم الجريجوري القديم في ١٠ نيفيوز من العام ١٤ الموافق ليوم ٣١ (كانون الأول) ديسمبر ١٨٠٥م.

(هـ)

التقويم الهجري: التقويم الإسلامي من حيث طريقة حساب الشهور والسنين هو في الحقيقة آخر تقويم طبقه العرب في الجاهلية، ولكن التغيير الأساسي الذي أحدثه الإسلام هو اعتبار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة يوم ١٦ تموز/ يوليو ٦٢٢م بمثابة نقطة البدء في التاريخ الإسلامي، ولم يتم هذا الأمر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال لكُتابه: «فأرِّخوا بها - أي بالهجرة - وبالمحرم لأنه منصرف الناس بعد حجتهم».

والتقويم الهجري هو تقويم قمري يقوم على حساب الأشهر، ومتوسط طول الشهر الهجري هو ٢٩يوما و ١٢ ساعة و٤٤ دقيقة، وهذا ما يجعل السنة الهجرية بطول ٣٥٤يومًا و٨ساعات و ٤٨ دقيقة تقريبًا.

ولضبط ذلك درج علماء المسلمين على اتباع دورة كل ثلاثين عاما، ١١ عامًا منها أعوام طويلة بمعدل ٣٥٥ لكل منها، و ١٩عامًا منها أعوام قصيرة بمعدل ٣٥٤ لكل منها.

وأما بالنسبة لضبط الأشهر فيتم اعتبار شهر بدء القياس ٣٠ يوما، والشهر الذي يليه ٢٩ يومًا، ثم ٣٠ يوما وهكذا، بشرط أن يكون ذلك متطابقًا مع ظهور الأهلّة.

والأشهر الهجرية تتسلسل كما يلي: محرم - صفر - ربيع الأول - ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية «الآخرة» - رجب - شعبان - رمضان - شوال - ذو القعدة - ذو الحجة.

وإذا استثنينا شهر «ذي الحجة» الذي يرتبط اسمه بالحج فإن بقية أسماء الأشهر الهجرية لاترتبط بمسميات معينة، فشهر «ربيع الأول» لايعني مثلا ظهور الربيع، وشهر رمضان يحتمل أن يأتي في الصيف أو الخريف أو الشتاء أو الربيع ، وهكذا.

(ي)

التقويم اليولياني CALENDRIER JULIEN : نتيجة للتغييرات المفاجئة التي تعرض لها التقويم الروماني الأول، ولاضطراب الحسابات، وزيادة الفرق بين السنة الفلكية والسنة الحسابية الرومانية، أحدث يوليوس قيصر في عام ٤٥ق.م إصلاحًا أساسيًا للتقويم الروماني القديم، وأمر أن يطبق التقويم الجديد - الذي حمل اسمه - اعتبارا من أول العام التالي (٤٤ق.م).

ولقد انطلق التقويم اليولياني من أن كل سنة فلكية تحوي ٣٦٥ يومًا وست ساعات، أي ٣٦٥ يومًا وربع اليوم، وقد تم جبر ربع اليوم لكي يصبح يومًا كاملاً كل أربع سنوات. وبكلمة أخرى فإن التقويم اليولياني يحوي نوعين من السنوات:

- السنوات العادية: وتحوي ٣٦٥ يومًا فقط.
- السنوات الكبيسة، وهي التي تقبل أرقامها القسمة على ٤ (مثل ٤٤، ٤٠، ٣٦، ٣٢، ٢٨)، وتحوي ٣٦٦ يوما. ويضاف هذا اليوم في آخر شهر شباط (فبراير) - وهو آخر شهر من شهور السنة الرومانية القديمة - فيصبح عدد أيامه ٢٩ يوما بدلاً من ٢٨ وهو عدد أيامه في السنين العادية.

الهوامش :

(١) التقويم لغة يعني: «تصحيح الخلل أو الاعوجاج» واصطلاحًا: «طريقة حساب الزمن استنادًا إلى الظواهر الطبيعية المتكررة». وقد يتساءل القارئ عن العلاقة بين المعنيين، والجواب على ذلك أن طريقة حساب الزمن، مهما كانت دقيقة، لابد أن تحوي خللاً ما، ومن الواجب إصلاح هذا الخلل، ومن هنا جاءت العلاقة بين معنى «التقويم» لغة ومعنى هذه الكلمة نفسها اصطلاحًا.

(٢) السنة القمرية: هي ما مجموعه اثنا عشر شهرًا، قمريًا والشهر القمري هو دورة القمر حول الأرض من مولد الهلال إلى مولد الهلال الذي يليه، ويتم ذلك خلال ٢٩.٥٣ يومًا. واليوم هو اكتمال دورة الأرض حول محورها دورة واحدة ويعادل ٢٤ ساعة. وتعادل السنة القمرية ٣٥٥ يومًا في المتوسط، ولكن طولها بالدقة هو ٣٥٤ يومًا و٨ساعات و٤٨ دقيقة و٣٦ ثانية.

(٣) السنة الحسابية: هي المدة المعتبرة معادلة للسنة كوحدة حسابية، ويمكن أن تكون أطول من السنة الفلكية (كالسنة الحسابية في التقويم الروماني الأول والتي كانت تعادل ٣٦٦.٢٥يومًا)، أو أقصر من السنة الفلكية (كالسنة المدنية في زمن الفراعنة والتي كانت تعادل ٣٦٥ يومًا).

وبما أن السنة الفلكية (أو الشمسية) ليست رقمًا مدورًا تسهل قسمته إلى شهور وأيام وساعات وثوان، لذا فإن السنة الحسابية (أو المدنية) لابد من أن تتضمن فرقًا ضئيلاً أو معتبرًا بينها وبين السنة الفلكية، ولو كان هذا الفرق بمقدار ثانية واحدة، حيث إن هذه الثانية تصبح يومًا كاملاً بعد ٨٦٤٠٠ سنة، ومن هنا تجيء أهمية التقاويم.

(٤) السنة الشمسية: هي المدة التي تستغرقها دورة الأرض حول الشمس دورة كاملة، ويتم ذلك بثلاثمائة وخمسة وستين يومًا وخمس ساعات وثمان وأربعين دقيقة وست وأربعين وستة أعشار الثانية. وتسمى هذه السنة أيضًا (السنة الفلكية) لأن حركة الأفلاك هي التي تحدد مدتها.



تأسيس
ثلاثة أندية أدبية جديدة

إنشاء مركز الملك فهد الثقافي في النيجر

جائزة الكتاب الأمني عن البيئة وحمايتها

جامعة بوخارست ومؤتمر لشؤون اللغة العربية

لندن تنظم مهرجان «شكسبير للجميع»

سويسرا تحتفل بذكرى شكيب أرسلان

السعودية

وفاة الشيخ عفيفي

فقد العالم الإسلامي واحداً من صفوة علمائه بوفاة الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية (٩٢ عامًا) نائب رئيس هيئة كبار العلماء «سابقًا» وعضو لجنة الإفتاء في إدارة البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.

وُلد الشيخ عفيفي بشنشور بمحافظة المنوفية في مصر عام ١٣٢٣هـ، وحصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام ١٣٥١هـ، وعين مدرسًا للفقه وأصوله في العلمية الأزهرية، ثم نُدب عام ١٣٦٨هـ للتدريس في السعودية، وعمل مدرسًا في دار التوحيد في الطائف، ثم انتقل إلى الرياض، حيث قام بالتدريس في كليتي الشريعة واللغة العربية، وكان من مؤسسي المعهد العالي للقضاء في الرياض، الذي تولى رئاسته عام ١٣٨٥هـ إلى عام ١٣٩١هـ، حيث انتقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد نائبًا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، وعضواً في هيئة كبار العلماء. وأشرف وشارك في مناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

من مؤلفاته: مذكرة في التوحيد، تعليق على كتاب الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، وتعليق على الجزء المقرر في التفسير من الجلالين لطلاب المعاهد العلمية.

ثلاثة أندية أدبية جديدة

قرر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب تأسيس ثلاثة أندية أدبية جديدة في الباحة وحائل وتبوك، وبذلك يبلغ عدد الأندية الأدبية بالمملكة اثني عشر نادياً، واعتمد سموه ميزانيات للأندية الجديدة التي تعد روافد ثقافية لمناطقها.

ويرأس مجلس إدارة الأندية الجديدة: سعد عبدالله المليص (الباحة)، د.رشيد فهد العمرو (حائل)، سداد محمود الفاخري (تبوك).

وذكر رئيس نادي الباحة الأدبي سعد المليص أن إنشاء هذه الأندية بشرى عظيمة لمن يهمهم أمر النمو الثقافي، وأضاف أن تأسيس النادي - في حد ذاته - منار للثقافة، وسوف تتسع رحابه لكل الميول والاتجاهات والمعارف ضمن القيم الإسلامية الرفيعة.

معرض بيئي

يفتتح المعرض البيئي العام في مدينة الرياض في إطار مشروع التوعية البيئية السعودي في شهر شعبان القادم، ويستمر لمدة شهر.

تشارك في المعرض ١٢٠ جهة عارضة حكومية وأهلية، وترعاه وزارة الدفاع والطيران ممثلة في لجنة التوازن الاقتصادي ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة.

يضم المعرض سبعة أجنحة للتوعية تحاكي الواقع السعودي، يجسد أولها بيئة صحراوية من الربع الخالي وإلى جانبها بيئة متوازنة من حيوانات ونباتات، ويشتمل الجناح الثاني على بيئة رملية جبلية، ويصور الثالث بيئة جبلية متوازنة في منطقة عسير، ويجد زائر الجناح الرابع نفسه أمام بيئة قعر البحر الأحمر وسطحه من شعب مرجانية وأسماك ونباتات، ويتصل هذا الجناح موضوعيًا بالجناح الخامس الذي يصور سطح البحر

الملوث، ويجسد الجناح السادس بيئة شاطئ البحر، ويحتوي الجناح السابع على بيئة الصناعة غير المرشّدة، وبيئة الصناعة الرشيدة، وتشرح هذه الأجنحة ما تعانيه بيئاتها، من خلال نماذج لتأثير انصراف الإنسان عن حماية بيئته.

أول معرض شخصي للكتاب

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير أول معرض شخصي للكتاب.

نظم المعرض نائب رئيس نادي أبها الأدبي الأديب أحمد مطاعن، وتضمن محتويات مكتبته الشخصية من الكتب التاريخية والأدبية والتراثية وأغراض المعرفة المختلفة، إلى جانب جناح خاص للمجلات والنشرات.

مجلة سعودية للأزياء

صدرت عن المعهد الفني للتفصيل والخياطة في الأحساء أول مجلة أزياء نسائية تراعي قيم الإسلام وأعرافه، تحت مسمى «أناقة وأزياء»

اشتمل العدد الأول من ضمن موضوعات عديدة على لمحة تاريخية عن تطور فن التفصيل والأزياء.

معرض «العلوم الإسلامية أساس الحضارة»

ينوي معرض جدة للعلوم والتكنولوجيا تنظيم معرض علمي تحت عنوان «العلوم الإسلامية أساس الحضارة». وسيضم المعرض نحو مائة جهاز علمي، يعود الدور الأساسي لابتكارها إلى علماء المسلمين، مما يجسد صورتهم لدى الأجيال، ويوضح الدورالرائد للحضارة الإسلامية في عصور ازدهارها.

يضم المعرض عدة أجنحة تشرح تاريخ الحضارة الإنسانية بعامة والإسلامية بخاصة، كما تقام على هامشه عدة محاضرات تهدف إلى تبادل الخبرات بين الجهات العلمية.

وفاة إسحق عزوز

فقدت الأوساط التربوية والعلمية السعودية أحد أعلامها بوفاة الشيخ إسحاق عقيل عزوز (٨٥ عامًا) أحد الرعيل الأول لمدارس الفلاح، ووكيل إمارة منطقة مكة المكرمة الأسبق.

وُلد الفقيد بباب الباسطية في مكة المكرمة عام ١٣٣٠هـ، وبها تلقى تعليمه الابتدائي، وابتعث عام ١٣٤٨هـ ضمن ٢٠ طالبًا إلى بومباي بالهند لدراسة الفقه والعلوم الشرعية، وبعد حصوله على الشهادة العليا عاد مدرسًا في مدارس الفلاح عام ١٣٥٢هـ، وتنقل في الوظائف التربوية بوزارة المعارف، واختير لعضوية مجلس الشورى، وتولى الإشراف على مدارس الفلاح، وعين عام ١٣٨٠هـ وكيلاً لإمارة مكة المكرمة، ولم يمكث فيها سوى عام واحد، إذ استقال منها في ١٣٨١هـ وظل مشرفًا على مدارس الفلاح حتى وفاته.

وللراحل كتب ومؤلفات كثيرة منها في المجال التربوي بالاشتراك مع إبراهيم نوري: «الهجاء» للصف الأول الابتدائي، «مقرر السيرة النبوية» للسنة الثالثة التحضيرية، «المطالعة العربية» للصفوف من الثاني إلى السادس الابتدائي، «دروس في التاريخ الإسلامي» للصفوف من الثالث إلى السادس الابتدائي، وله مؤلفات أخرى لاتزال مخطوطة هي: الاتباع والابتداع، القول الوجيه في تنزيه الله تعالى عن التشبيه، الفرق الإسلامية، المنسك اللطيف، الآيات البينات في وصول ثواب الطاعات والقراءة إلى الأموات، الوجيز في سجدات التلاوة، دفع الشبهات، صلاة التراويح في الحرمين الشريفين من عهد النبوة إلى هذا العصر، أطيب الذكرى في مناقب وأخبار خديجة الكبرى، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله وسيد الشهداء.

صحيفة رياضية يومية سعودية

صدرت - مؤخرًا - صحيفة «العالم الرياضي»، وهي صحيفة سعودية يومية تعنى بشؤون الشباب والرياضة والثقافة بالمملكة والوطن العربي.

يرأس مجلس إدارة الصحيفة سمير الفوزان الذي يتولى أيضا منصب مديرها العام، فيما يرأس التحرير محمد البنعلي.

البيئة وحمايتها موضوع جائزة الكتاب الأمني

اختير مجال «حماية البيئة» ليكون موضوعًا لجائزة الكتاب الأمني لعامي ١٩٩٤ - ١٩٩٥م التي ينظمها المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض تحت عنوان «أمن البيئة وحمايتها».

وتحدد نهاية شهر ديسمبر من العام المقبل ١٩٩٥م موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات التي يشترط أن تكون باللغة العربية ومطبوعة على الآلة الكاتبة، ولم يسبق نشرها أو تقديمها لجائزة علمية، وأن تحقق إضافة علمية جديدة.

معرض بجدة للفن الحديث

يقيم بيت التشكيليين في جدة معرضًا للفن الحديث بالتعاون مع إحدى المؤسسات الأهلية في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى الجاري، وسيضم أعمالاً لفنانين وفنانات سعوديين ومن المقيمين في المملكة العربية السعودية ذوي الاتجاهات الفنية الحديثة.

كتب جديدة

«عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين» تأليف د. أكرم ضياء العمري. صدر الكتاب السابق عن دار العلوم والحكم في المدينة المنورة.

«ذو القرنين: القائد الفاتح والحاكم الصالح» تأليف محمد خير يوسف، صدر عن دار البشير في جدة.

«مبادئ تعلم وتعليم اللغة» تأليف هـ. دوجلاس براون، ترجمه إلى اللغة العربية الدكتوران إبراهيم بن حمد القعيد وعبد الله ابن عبد الله الشمري، وصدر عن مكتب

التربية العربي لدول الخليج بالرياض.

«فضل مـاء زمـزم» تأليف سـائد بكداش، صدر عن المكتبة المكية في مكة المكرمة.

الإمارات

مهرجان
الفنون والألعاب الشعبية

يختتم في الثاني من شهر جمادى الأولى الجاري مهرجان دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية للفنون والألعاب الشعبية.

استضافت المهرجان ـ الذي يعد الأول من نوعه ـ دولة الإمارات العربية المتحدة، وأقيم على هامشه معرض للألعاب الشعبية وآخر فني يتميز بالطابع التراثي لمعروضاته.

من ناحيـة ثانية تسـتضيف الإمارات المعرض الدوري الثالث للفنون التشكيلية لدول مجلس التعاون خلال الفترة من ١٢ إلى ١٩ جمادى الآخرة المقبل ١٤١٥هـ، ويشـارك في المعـرض فنانون ينتمـون إلى مدارس تشكيلية مختلفة.

البحرين

مجلة «البحرين الثقافية»

أصـدر المجلس الوطني للثقـافـة والفنون والآداب مجلة فصلية ثقافية جديدة تحمل اسم «البحرين الثقافية». تسعى المجلة لأن تكون منبرًا للإشعاع الفكري والثقافي والحضاري، من خلال تأصيل الثقافة، وتدوين العطاء المتميز للأفلام البحرينية، وأن تكون همزة وصل ثقافية بين أبناء البحرين وإخوانهم في الوطن العربي.

يرأس تحرير المجلة خليل إبراهيم الذوادي، وتضم هيئتها الاستشارية أعضاء المجلس.

معرض للكتاب العلمي

تشارك قرابة ثلاثمائة دار نشر عربية وأجنبية في معـرض «الكتاب العلمي الدولي الأول» الذي تنظمه جامعة الخليج العربي في البحرين بالتعاون مع مؤسسة البحر المتوسط للناشرين. ينتظر أن يضم المعرض ما يقـارب مائة ألف عنوان لكتب مرجعية ودراسية ومنهجية في مجالات العلوم المختلفة.

الكويت

مهرجان
لحرف السعودية وفنونها

أقيم في بيت لوزان بالسـالمية مهـرجـان للحرف والفنون السعودية في منتصف شهر ربيع الآخر الماضي استمر عشرة أيام.

تزامن المهرجان مع احتفال السعودية بيومها الوطني، وتضـمـن معـارض للكتاب والأزياء والفنون التشكيلية، وقدم الحرفيون السعوديون الأساليب الحرفية في صناعة الحلي والفخار والخوص ومنتجات النخيل وتشكيل النحاس والأخشاب ونسيج الصوف، وغير ذلك من الحرف.

توقف «الطليعة»

قررت إدارة صحيفة «الطليعة» الأسبوعية الكويتية إيقاف الصحيفة عن الصدور لفترة مؤقتة لأسباب مالية. وتعد هذه ثاني مرة تتوقف فيها «الطليعة» حيث توقف صدورها من قبل لثمان سنوات، ثم عاودت الصدور في يناير ١٩٩٣م

كتب جديدة

«عثمان وتقاسيم الزمان» مجموعة قصصية لحمد الحمد، صدرت عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع.

«آلاف السنين من الطاقة» تأليف فلاديمير كاتسيف وبيوتر، ترجمه إلى اللغة العربية محمد غياث الزيات، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

مصر

مكتبة القاهرة الكبرى

تفتتح حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك «مكتبة القاهرة الكبرى» في قصر الأميرة سمية بنت السلطان حسين كامل في الزمالك، خلال الشهر الجاري. تضم المكتبة ٦٠ ألف كتاب ومخطوط تقدم تاريخًا للحياة والبشر في مدينة القاهرة منذ نشأتها وإلى الآن، في إطار نظرة شاملة للمدينة عبر آلاف السنين.

وأكد رئيس مجلس إدارة المكتبة كامل زهيري أنها ستضم كل ما نشر عن القاهرة بكل اللغات الحية، ومن مختلف العصور، إضافة إلى ١٧٨ فيلمًا تسجيليًا صورتها دول مختلفة عن المدينة.

جائزة النيل الكبرى

قرر المجلس الأعلى للثقافة في مصر إحداث جائزة عالمية مفتوحة لكل الجنسيات تحت مسمى «جائزة النيل الكبرى» تبلغ قيمتها مائة ألف جنيه مصري، تمنح سنويًا لشخص واحد له عطاء إبداعي متميز في أحد المجالات الثقافية.

وتقرر أيضا رفع قيمة جائزة الدولة التقديرية من خمسة آلاف جنيه إلى ٢٥ ألفًا، مع قصر منحها على سبع جوائز بدلاً من عشر، بواقع جائزتين للفنون، ومثلهمـا للآداب، وثلاث للعلوم الاجتماعية، ورفع قيمة جائزة الدولة التشجيعية من ألف جنيه إلى خمسة آلاف،

وزيادتها إلى ٢٦ جائزة بدلاً من ٢٤، وأحدثت جائزة جديدة تحت مسمى «التفوق الإبداعي» قيمتها ١٥ألف جنيه، وتتكون من جائزتين للفنون ومثلهما للآداب وثلاث جوائز للعلوم الاجتماعية.

جامعة الفنون والعلوم الحديثة

يجري العمل حاليا لإنشاء «جامعة الفنون والعلوم الحديثة» في مدينة ٦أكتوبر بالقرب من القاهرة، وهي أول جامعة خاصة سوف تضم تسع كليات، وستبدأ الدراسة فور الانتهاء من الخطوات التنفيذية في أربع منها هي: الهندسة الكهربائية والإلكترونيات وعلوم الحاسب الآلي والاقتصاد ، وتقام في مرحلة لاحقة كليات علوم البيئة والآداب والفنون والإعلام وتكنولوجيا الصحراء.

تقبل الجامعة الطلاب من مختلف الجنسيات شرط حصولهم على الثانوية العامة أو ما يعادلها، والدراسة في جميع الكليات ـ ما عدا الهندسة ـ مدتها أربع سنوات.

مشروع ثقافي

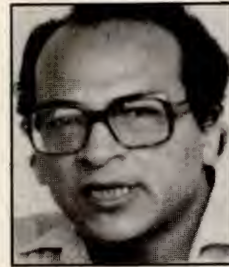
تتبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب مشروعا ثقافيا يعد الأضخم من نوعه منذ حقبة الستينات الميلادية.

يتضمن المشروع سلاسل جديدة من الكتب تقدم لقارئها ـ بسعر رمزي ـ ثقافة جادة ورفيعة، أهمها سلسلة عن روائع الأدب العربي. تتضمن مجموعة أعمال إبداعية لكبار الروائيين والقاصين المصريين والعرب، وسلسلة «تراث الإنسانية» التي تقدم ملخصًا لأهم الكتب والأفكار التي رسمت أو شكّلت مسيرة الحضارة الإنسانية، من التراث العربي أو الأجنبي على حد سواء.

يهدف هذا المشروع إلى نشر الثقافة من خلال إتاحة الفرصة للأسر لتكوين مكتبات خاصة بمبالغ زهيدة لاترهق ميزانياتها، حيث لايتجاوز سعر الكتاب نصف جنيه مصري (ما يزيد قليلاً على نصف ريال سعودي).

ألفية التوحيدي

يعد المجلس الأعلى للثقافة في مصر للاحتفال بمرور الذكرى الألفية لوفاة العالم الأديب واللغوي أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٥هـ) في أكتوبر ١٩٩٥م.


جمال الغيطاني

وشُكلت لهذا الغرض لجنة تضم كلا من: د.الطاهر مكي، د. صلاح فضل، جمال الغيطاني، وفريال صقر، لوضع مقترحات الاحتفال وتصوراته.

وينتظر أن يتم في إطار الاحتفال إعداد قائمة بيليوجرافية شاملة في كتاب تتضمن أسماء مؤلفات التوحيدي، وأيضا الدراسات والكتب التي تناولت أعماله سواء باللغة العربية أو اللغات الأخرى، وإجراء مسابقات أدبية حول كتبه، وإعداد شريط وثائقي عنه، إلى جانب تبني نشر أعماله الكاملة.

متحف النوبة

يُفتَتَح متحف النوبة في مدينة أسوان مع مطلع الشهر الميلادي المقبل، بعد انتهاء الترتيبات الخاصة بإنشائه. أقيم المتحف على مساحة خمسين ألف متر مربع، وتكلف ٥٧ مليون جنيه مصري، أسهمت اليونسكو فيها بمبلغ ٣٫٥ مليون جنيه، وزود بأحدث أجهزة حماية المتاحف، بدءًا بوسائل العزل الحراري، وانتهاء بالأبواب الإلكترونية والدوائر التلفازية المغلقة.

روعي في تصميم المتحف الذي استوحي من العمارة الإسلامية القديمة، أن يحسَّ زائره بأنه داخل البيئة التاريخية والطبيعية للمنطقة، حيث أقيم على ربوة عالية تتكون من الحجر الرملي والجرانيت، وتطل على منظر عام لمدينة أسوان، ويتكامل تصميمه مع البيئة المحيطة به، حيث يبدو كأنه جزء من الصخور والأحجار المكونة للربوة، وتشمل معروضاته نموذجًا مكشوفًا للقرية النوبية بملامحها المعمارية وبيئتها الخاصة، قباب ومنازل فاطمية، وبحيرة صناعية وحديقة متحفية لحيوانات ما قبل التاريخ.

يضم المتحف خمسة آلاف قطعة أثرية اختيرت من مقتنيات خمسة متاحف مصرية، ويتكون من ثلاثة طوابق، ففي الطابق الأرضي حيث المدخل الرئيسي هناك تمثال لرمسيس الثاني، ويضم هذا الطابق قاعات لعرض الآثار وأخرى للمحاضرات، أما الطابق تحت الأرضي فيحتوي على قاعة العرض الرئيسة والمعامل الفنية وورش الترميم، فيما يوجد بالطابق الأول مركز معلومات ومكتبة تاريخية متصلة بمراكز الأبحاث والمعلومات في العالم، وقاعات عرض متحفية مغلقة.

ندوة آفاق الثقافة العربية


ثروت عكاشة

تعقد في القاهرة ندوة بعنوان «نحو آفاق مستقبلية للثقافة والفنون العربية في ضوء النظام العالمي الجديد» خلال شهر أكتوبر الحالي، برئاسة وزير الثقافة المصري الأسبق د.ثروت عكاشة.

تناقش الندوة ثلاثة محاور رئيسة: النظام العالمي الجديد، والرؤية المستقبلية للثقافة والفنون والآداب العربية، والنظام العالمي الجديد والعلاقة الجدلية مع الإبداع.

سجل للعلماء العرب المتميزين

تعتزم أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا في القاهرة إصدار أول سجل للعلماء العرب المتميزين.

وتجري حاليًا ترتيبات لإنجاز هذا السجل الذي يتضمن أسماء أبرز العلماء على مستوى الوطن العربي، ومؤهلاتهم، وإنجازاتهم، ووظائفهم الحالية.

زيادة قيمة منحة التفرغ للمبدعين

قررت الحكومة المصرية رفع الحد الأقصى لمنحة التفرغ للمبدعين والباحثين من مائة وخمسين جنيها إلى ألفي جنيه شهريا، والحد الأدنى خمسمائة جنيه.

يشترط لنيل المنحة أن يتقدم الراغب في الحصول عليها بمشروع أدبي أو اجتماعي أو ترجمة.

دعوة لإنشاء جمعيات لمحبي التراث والمتاحف

شارك ٢٥ متحفًا مصريًا في مؤتمر للمتاحف المقامة بالجهود الذاتية نظمه قصر الحرف البيئية في كفر الشرفا بمحافظة القليوبية في مصر.

ودعا المؤتمرون إلى إنشاء جمعيات لمحبي التراث والمتاحف تعمل على تعميق الوعي بالحفاظ على التراث وأهمية جمعه وعرضه ودراسته، وإقامة دورات تدريبية للعاملين في متاحف الجهود الذاتية، وتوثيق التعاون بين المتاحف القومية والمؤسسات العلمية المحلية والدولية المهتمة بالتراث والمتاحف وبين جمعيات الجهود الذاتية، للاستفادة من الخبرات العلمية العالمية وتجاربها في مجالات التدريب والجمع والتصنيف والتوثيق.

وطالب المؤتمر بإقامة مشروعات إنتاجية تعتمد على توظيف التراث أو إنتاج مستنسخات منه يمكن بيعها وتخصيص ما تدرّه من عوائد لصالح نشاطات جمعيات الجهود الذاتية.

كشوفات أثرية

اكتشفت مجموعة من الآثار تعود إلى عصور مختلفة في مناطق متفرقة من جمهورية مصر العربية. ففي منطقة القنطرة شرقًا عثر على قلعة رومانية بنيت على أنقاض مدينة محصنة أقدم منها زمنًا تعود إلى العصر الفارسي. والقلعة مسورة بمساحة ٢٠٠×١٩٠مترًا، ويحيط بها ١٦ برجًا بأشكال نصف دائرية، ولها مدخلان، ومجموعة من المخازن المستطيلة موازية لسورها الغربي. وتكمن أهمية هذا الكشف في أنه يسهم في تحديد مسار الفرع البيلوزي للنيل، وبداية طريق حورس.

وعثر في منطقة تل البندارية بمحافظة المنوفية على وحدة سكنية متكاملة ومجموعة دفنات ومقابر وقطع فخارية ترجع إلى العصرين الروماني والقبطي، فضلاً عن مجموعة كبيرة من الأواني الفخارية المتعددة الاستخدامات والأحجام.

واكتشفت على بعد ٨ كيلو مترات من هرم خوفو مقبرة «نحت مين» رسول فرعون مصر رمسيس الثاني إلى الدول الأجنبية وحارس البوابات الملكية. تضم المقبرة صالة ذات تسعة أعمدة، وسلمًا يؤدي إلى غرفة الدفن.

غياب عبدالسلام داود

فقدت الصحافة المصرية واحدًا من أبرز عناصرها بوفاة الصحافي عبد السلام داود (٧٠ عاما) نائب رئيس تحرير صحيفة «الأخبار»

محاضرات وندوات

"كتابة تاريخ الطائف بين تراكم الرواية وقراءة التاريخ" عنوان محاضرة ألقاها د. عثمان محمود الصيني.

"ثلاثة مستويات من الغموض في الشعر العربي الحديث" عنوان محاضرة ألقاها د. محمد مريسي الحارثي.

"تحقيق النص الشعري" عنوان محاضرة ألقاها د. عياد عيد الثبيي.

ألقيت المحاضرات الثلاثة السابقة في نادي الطائف الأدبي.

"الخط العربي بين التقليد والتجديد" عنوان محاضرة ألقاها في الجمعية الجاحظية في الجزائر منير الشعراني.

"خطر التبعية في مجال النقد" عنوان محاضرة ألقاها د. مصطفى عبدالواحد.

"العالم الحكمي، تلميذ الشيخ القرعاوي" عنوان محاضرة ألقاها د. محمد بن سعد الشويعر.

"الانطباعية في دراسات المستشرقين" عنوان محاضرة ألقاها د. علي إبراهيم النملة.

ألقيت المحاضرات الثلاثة السابقة في نادي أبها الأدبي.

"البلاغة والأسلوب" عنوان محاضرة ألقاها د. عوض الجميعي.

"دور الصحافة في تنمية الثقافة" حوار أداره فوزي عبدالوهاب خياط، وشارك فيه حامد حسن مطاوع وعبدالله عمر خياط.

"نظرات في الأدب الإسلامي" عنوان محاضرة ألقاها د. محمود حسن

سابقًا.

عمل داود وهو طالب بالجامعة في صحيفة «أخبار اليوم»، وحين تخرج في الجامعة الأمريكية في القاهرة انضم إلى مجلة «آخر ساعة»، ومنها انتقل إلى صحيفة «الجمهورية» نائبًا لرئيس تحريرها عام ١٩٥٩م، ثم عاد إلى صحيفة «الأخبار» نائبا لرئيس التحرير من عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٧٥م، وتفرغ بعد ذلك لكتابة زاويته «علامة استفهام» في الصحيفة نفسها.

كتب جديدة

«التحدي الياباني في التسعينيات: السياسة الاقتصادية والاجتماعية» تأليف د.حسين شريف.

«ظاهرة الانقسام السياسي في الفكر العربي: حزب البعث نموذجًا» تأليف د.عزالدين دياب.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة مدبولي.

«طرائف الحرف في مصر» تأليف عبد السلام عبد الحكيم عامر.

«لعب الصغار» مجموعة قصصية لمحمود حسن فرغلي.

«كتاب العناقيد والتهجي» ديوان للشاعر أيمن حمدي.

«بئر في صدر رجل» مجموعة قصصية لعماد الدين عيسى.

«دراسات في فن النهضة» تأليف حسن الباشا.

«أشياء قديمة» مجموعة قصصية لشمس الدين موسى.

صدرت الكتب الستة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

«خافية القمر» رواية لمحمد ناجي، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال» عن مؤسسة دار الهلال.

«صورة المرأة في الرواية المعاصرة» ط٤، تأليف د. طه وادي، صدر عن دار المعارف.

«السراج المنير من سيرة سيد المرسلين» تأليف د. محمد محمد زيتون، صدر عن مكتبة النهضة العربية

«اتفاق غزة ـ أريحا: الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية، تأليف نادية رفعت وأحمد بهاء الدين شعبان، صدر عن دار الطباعة المتميزة.

سورية

رحيل وهبي الحريري

ودعت حلب أحد أبنائها الأعلام، المهندس الدكتور محمد وهبي الحريري الرفاعي (٨٠ عامًا) الذي عاد إلى بلدته قبل وفاته بأسابيع قليلة، على الرغم من تنقله المستمر بين واشنطن والرياض لمتابعة أعماله الثقافية والفنية.

وُلد وهبي الحريري عام ١٩١٤م في مدينة حلب، وأسرته ذات تاريخ في الأدب والكتابة والوعظ، فمنها ـ على سبيل المثال ـ صاحب المقامات القاسم بن علي الحريري (١٠٥٤ ـ ١١٢٢م) النحوي والكاتب الرشيق، وقد كان لتاريخ أسرته أبلغ الأثر في تكوين نشأته الفنية، حيث بدأ يمارس الرسم والنحت ولمّا يبلغ سن الصبا، وفي عام ١٩٣٢م التحق بأكاديمية الفنون الجميلة في روما، ومعهد أليغاري، حيث أمضى خمس سنوات يدرس ويزور روائع آثار إيطاليا واليونان، وعاد إلى بلاده عام ١٩٣٧م ليعمل بتدريس الفن.

بعد سنوات من الاستقرار في سورية، سافر

زيني.

أقيمت المحاضرتان والحوار في نادي مكة الثقافي الأدبي.

"العمارة الإسلامية في عهد الخديوي" عنوان محاضرة ألقاها في مركز تسجيل الآثار في القاهرة د. إبراهيم عامر.

"التخلف العقلي" موضوع محاضرة ألقاها في مستشفى الصحة النفسية في أبها محمد المنصمي.

"المعارضات الشعرية ودورها في إحياء التراث الشعري" عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي في الرياض د. عبدالرحمن إسماعيل.

"الحركة الفنية في أمريكا واتجاهاتها المتعددة" موضوع ندوة نظمها المركز الثقافي الأمريكي في الإسكندرية، تحدث فيها د. رفيق الصبان.

"علاقة الأدب العربي بالأدب الغربي: انفتاح أم تبعية" عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي د. مصطفي بكري السيد.

"مفهوم الألوهية في الذهن العربي القديم" عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي العربي في دمشق د.إلياس طعمة.

شارك الشاعران: صالح الرحال، وعبدالقادر الأسود في أمسية شعرية أقيمت في المركز الثقافي العربي بدمشق.

"وصف الجنة" عنوان محاضرة ألقاها في مسجد التركي بحي الربوة في جدة الشيخ أبوبكر الجزائري.

"عقيدة السلف الصالح" عنوان محاضرة ألقاها في جامع الشيخ عبدالعزيز بن باز في الطائف، الشيخ صالح الفوزان.



ترافقه عائلته إلى باريس حيث التحق بمدرستها المشهورة الفنون الجميلة لدراسة الهندسة المعمارية.

وكان أول عربي يتخرج في هذه المدرسة، كما انتسب خلال دراسته بها بمدرسة علم الحفاظ على الآثار في متحف اللوفر.

حين عاد د. وهبي إلى سورية مرة أخرى، أسهم في إنجاز أكثر من مشروع، منها التصميم العام لساحة عدنان المالكي في دمشق شاملاً متحفه ومشروع الحفاظ على جامع خالد بن الوليد التاريخي في مدينة حمص.

وقاده اهتمامه بالفن الإسلامي إلى السفر في أوائل الستينيات الميلادية إلى المملكة العربية السعودية، حيث استقر بها سنوات باحثًا ومنقبًا وراسمًا، إلى جانب عمله الرسمي في الإدارة الهندسية في الأمن العام، وأصدر خلال تلك الفترة كتابًا ضخمًا مهمًا بعنوان «التراث المعماري في المملكة العربية السعودية» طبع ونشر عام ١٩٨١م في مدينة فلورنسا الإيطالية، يتضمن لوحات رسمها بالقلم الرصاص تمثل مختلف أنماط التراث المعماري السعودي، وقام عام ١٩٨٧م بإصدار كتاب من تصويره بعنوان «عسير.. تراث وحضارة»، ثم أصدر كتابًا آخر بالإنجليزية من تصويره وإعداده بالاشتراك مع نجله مخلص عنوانه «تراث المملكة العربية السعودية» يعد من أفضل ما نشر من كتب مصورة عن المملكة العربية السعودية.

وأقام الحريري معرضًا للوحاته عن السعودية في متحف لسميسشونيان في واشنطن، وتوالت بعد ذلك عروض أخرى لرسومه في متاحف الولايات المتحدة الأمريكية ومعارضها. وتقديرًا لإبداعاته وإسهاماته الفنية الكبيرة منحته الحكومة الفرنسية وسام فارس الفنون والآداب.

وشرع في السنوات الأخيرة من حياته في إعداد كتابه الجديد «بيوت الله» بتشجيع من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض وعدد من المسؤولين والمفكرين في العالم الإسلامي، على الرغم من المتاعب الكبيرة التي واجهته، ومن أبرزها حالته الصحية نتيجة إصابته بالسرطان، ومن أجل إنجاز هذا الكتاب زار عشرات الدول الإسلامية لمشاهدة مساجدها على الطبيعة، بغرض رسمها ونشر تلك اللوحات في الكتاب، وقد أنجز منها أربعين لوحة، ولم يمهله أجله لزيارة دول قلائل بقيت في برنامج عمله من أهمها: اليمن وبنجلاديش وأفغانستان وإيران، فقد كان - يرحمه الله - يخطط لأن يتزامن صدور الكتاب مع افتتاح معرض جديد للوحاته في واشنطن في مطلع عام ١٩٩٥م.

وفاة
بشير العوف

توفي في مدينة جدة السعودية الصحافي والكاتب الإسلامي السوري بشير العوف (٨٠ عامًا) إثر أزمة قلبية مفاجئة.

بدأ الراحل حياته الصحافية عام ١٩٤٣م مديرًا مسؤولاً لصحيفة «الأيام» في دمشق، وأصدر عام ١٩٤٩م صحيفة السياسة «المنار» وظل رئيسًا لتحريرها ومديرًا لها حتى عام ١٩٦٣م، وشارك في تغطية العديد من الأحداث والمؤتمرات العربية والإقليمية والمحلية، كما عمل أستاذًا زائرًا في معهد الإعلام التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

وهو حاصل على جائزة الملك فاروق للصحافة الشرقية عام ١٩٥٠، ووسام كومندور من العاهل المغربي الراحل محمد الخامس، وله أكثر من خمسة آلاف مقال في السياسة والأدب والفكر الإسلامي، إضافة إلى واحد وعشرين كتابًا مطبوعًا منها في الفكر الإسلامي «اشتراكيتهم وإسلامنا» ١٩٦٤م، تعاليم الإسلام بين المعسرين والميسرين»، وفي الأدب: «ثمالات الندى»، «سنابل الحنين»، «همس الغروب» دواوين شعرية، و«بائسة» قصة، وفي تاريخ الصحافة: «الصحافة تاريخًا وتطورًا وفنًا ومسؤولية»، وفي الفكر السياسي «لا ثورية ولا اشتراكية» وغيرها.

آثار فينيقية

اكتشفت مجموعة تماثيل وأجزاء تماثيل ونقود فينيقية تعود إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في موقع عمريت التابع لمدينة طرطوس على الساحل السوري. وكانت أعمال التنقيب في الموقع قد كشفت في وقت سابق عن معالم المدينة القديمة بمرفئها وأحيائها السكنية وملعبها الأولمبي، وقناة المياه التي كانت تغذيها.

وعكست المنحوتات التي عثر عليها شخصية الفنان الفينيقي ومعتقدات مجتمعه، بشكل يعطي صورة واضحة لتوجهات الفينيق الدينية، ويكشف مدى التقدم الذي عرفوه في شتى المجالات، وخطوط علاقاتهم مع دول العالم بعامة، ودول البحر المتوسط بخاصة.

معرض دولي للكتاب

شارك قرابة ثلاثمائة دار نشر عربية وأجنبية في المعرض الدولي العاشر للكتاب الذي نظمته مكتبة الأسد في دمشق خلال الفترة من ١١ إلى ٢١ ربيع الآخر الماضي.

زادت العناوين المعروضة على ثلاثين ألف عنوان توزعت على فروع المعرفة المختلفة، وأقيمت على هامش المعرض أمسيات شعرية وقصصية، وندوات ومحاضرات متنوعة.

كتب جديدة

«قبل أن يخرج الفجر» ديوان للشاعر سميح الباسط، صدر عن اتحاد الكتاب العرب.

«تراتيل من وحي الحجر» ديوان للشاعر محمد ديب، صدر عن مطبعة الحجاز.

«مجالس الشعراء» تأليف محمد غازي التدمري، صدر عن دار المعارف.

«عميق هو الجرح» مجموعة شعرية لعبد الكريم دندي، صدرت عن دار المجد.

«مجنونة الشموس» مجموعة قصصية لجمال سعيد، صدرت عن وزارة الثقافة.

«بيل كلينتون وهيلاري: لَمَنْ القرار» تأليف ديب علي حسن، صدر عن دار الحكمة.

«البنيوية وتحليلاتها في الفكر العربي المعاصر» تأليف إبراهيم محمود، صدر عن دار الينابيع.

«برتراند رسل: دراسة في تطور فلسفته» تأليف آلان رسل، ترجمه إلى العربية سمير عبده، وصدر عن دار علاء الدين.

لبنان

تنسيق الجهود بين الصالونات والبيوت الثقافية

أكد تجمع الصالونات الأدبية والبيوت الثقافية في لبنان على ضرورة تنسيق الجهود بين البيوت والصالونات للقيام بأعمال مشتركة وتعميق التعارف على امتداد الوطن العربي.

جاء ذلك خلال الاجتماع الثاني للتجمع الذي تم بدعوة من الفنان ميشيل صقر مؤسس بيت الفن في بنتاعل بقضاء جبيل.

ووجه المشاركون نداء لإنقاذ لبنان وجنوبه من نير الاحتلال الإسرائيلي، وأوصوا بدعم التوجه العام الذي تمثله الصالونات الأدبية عبر تضحيتها بالخاص في سبيل العام لإعادة بناء لبنان، وأكدوا على الانطلاق من الهيئات الثقافية الأساسية الفاعلة لتكوين أكاديمية فكرية وطنية عليا، تؤازر وزارة الثقافة في سعيها لتطوير العمل الإبداعي والعلمي.

وتحدد في نهاية شهر يوليو ١٩٩٥م موعداً للمؤتمر المقبل، الذي تستضيفه مؤسسة الأديب والصحافي سعيد طه.

الحداثة

صدرت مؤخراً في بيروت مجلة ثقافية فصلية جديدة تحمل اسم «الحداثة»، تعنى بقضايا التراث الشعبي والحداثة، ويرأس تحريرها فرحان صالح.

كتب جديدة

«عروس الخضر» رواية لإلياس العطروني، صدرت عن دار الآداب.

«الحشاشون: حكام الموت.. نشأتهم وتاريخهم» تأليف د.رحاب عكاوي، صدر عن داري المناهل والحرف العربي.

«الأرض والعرب بين الطورانية والصهيونية» تأليف د.صالح زهر الدين، صدر عن منشورات الحلقة الأدبية الأرمنية - اللبنانية.

«يوم الجمعة، يوم الأحد» تأليف د. خالد زيادة، صدر عن دار النهار للنشر.

«الاتصال الإنساني وعلم النفس» تأليف د.محمد أحمد النابلسي، صدر عن دار النهضة العربية.

«صلاح الدين، القائد وعصره» تأليف د. مصطفى الحياري، صدر عن دار الغرب الإسلامي.

«من حملة مشاعل التقدم العربي: أحمد بهاء الدين» تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

«الدفاع الاجتماعي ومكافحة الجريمة» تأليف د.فضل ضاهر، صدر باللغتين العربية والفرنسية عن مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع.

«نقد السلاح الفلسطيني: برج البراجنة: أهلاً وثورة ومخيماً» تأليف فيصل جلول، صدر عن دار الجديد.

العراق

مدينة أثرية من العصر العباسي

اكتشفت مدينة أثرية صغيرة تعود إلى العصر العباسي الأول، بالقرب من سد يادوش بمدينة الموصل.

وذكر مصدر في مديرية الآثار بالموصل أن الآثاريين عثروا على حجرتين وجزء من جدار خارجي للمدينة الصغيرة، التي تم تحديد عمرها من خلال بعض المسكوكات الفضية.

الأردن

ندوة حول النشر العلمي

نظمت جامعة اليرموك ندوة حول النشر العلمي في العالم العربي، بالتعاون مع مجالس البحث العلمي العربية والمجلس الأعلى للعلوم والتقنية الأردني.

شارك في الندوة باحثون من مختلف البلدان العربية، حيث ناقشوا أبحاثاً تناولت الصعوبات التي تواجه النشر العلمي، وكيفية التغلب عليها، والنظرة المستقبلية للنشر العلمي والتقني، ودور النشر العلمي في خدمة حركة البحث والأهداف العلمية والاقتصادية، وغير ذلك من الموضوعات.

مؤتمر لعلوم الفضاء والفلك

استضافت العاصمة الأردنية المؤتمر الأول لعلوم الفضاء والفلك، بمشاركة نخبة من العلماء وممثلين للمؤسسات العلمية والبحثية في هذا المجال.

ناقش المؤتمر على مدار ثلاثة أيام ما يزيد على خمسين ورقة عمل متخصصة في مجالات: الفلك عند المسلمين، والاستشعار عن بعد، وتطبيقات الفيزياء، الفلكية والفلك الراداري،

والديناميكا.

وتركزت المناقشات على المنهجية الأكاديمية المتخصصة، من أجل بحث المستجدات الحديثة في مجال علوم الفضاء والفلك.

شارك في المؤتمر علماء وباحثون يمثلون الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وتركيا وإيران ومصر والأردن والإمارات والمغرب وليبيا وتونس وسورية والعراق ولبنان وسلطنة عمان وقطر واليمن.

أرضيات فسيفسائية أثرية في السلط

اكتشفت في مواقع قريبة من مدينة السلط (٣٠كم من العاصمة الأردنية) أرضيات فسيفسائية لغرف سكنية تتراوح مساحتها ما بين ٣٠و٣٦ مترًا مربعًا، فوقها مجموعة من الأسرجة الفخارية، يستدل منها على أن تاريخ المنطقة يعود إلى القرن الرابع الميلادي.

كما عُثر على برك أثرية لتجميع المياه ذات أرضيات فسيفسائية غير ملونة، بها قنوات لتصريف المياه، فضلاً عن مجموعة مقابر نُحتت من الصخر تنتمي إلى أنماط مختلفة متباينة المساحة والشكل، وُجدت في إحداها جرة فريدة في نوعها من حيث حجمها، حيث ترتفع مترًا وقطرها ٨٥ سنتيمترًا ولها أربعة مقابض، ويعتقد أنها كانت تستعمل لخزن الطعام.

كتب جديدة

«سجل الفكاهة العربية» تأليف خالد القشطيني، صدر عن دار الكرمل في عمان.

«رسائل الرصافي»، جمعها وقدّم لها وعلق عليها عبد الحميد الرشودي، وصدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

فلسطين

«صوت فلسطين» تصدر في غزة

وافقت سلطات الحكم الذاتي الفلسطيني على صدور صحيفة جديدة في غزة باسم «صوت فلسطين».

ويتوقع أن تصدر الصحيفة - في البداية - أسبوعيًا، ثم تتحول إلى جريدة يومية، وناشرها طاهر شريتح، صحافي قديم سبق له العمل مراسلاً لوكالة «رويتر» في قطاع غزة لمدة تزيد على سبع سنوات، وسجنته سلطات الاحتلال عدة مرات، وحصل عام ١٩٩٣م على «جائزة حرية الصحافة» من نادي الصحافة القومي.

وكانت السلطات الفلسطينية قد سمحت لصحيفة «النهار» المقدسية المقربة من الأردن بالدخول مرة أخرى إلى مناطق الحكم الذاتي، بعد ما كانت منعتها بحجة عدم حملها تصريح توزيع منها، كما ترددت أنباء عن السماح لحركة «حماس» بإصدار صحيفة يومية.

الجزائر

كتب جديدة

«التعدية والتضمين في الأفعال العربية: دراسات في النحو العربي»، تأليف عبد الجبار توامه.

«الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والإدريسية» تأليف د. العربي دحّو.

«الخط العربي وتاريخه» تأليف د. محمد

رسائل جامعية

"حرف الواو في القرآن الكريم: دراسة لغوية" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدم بها مجدي محمد حسين عبدالله.

"دور الأحماض الدهنية في فصل خامات الأملاح عن المركبات الصناعية للاستفادة منها في تطوير سبك المعادن بدرجة نقية" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم بجامعة حلوان في مصر، تقدم بها محمد شعبان عتريس.

"دور الهبارين كعلاج مساعد في علاج جلطة نسيج القلب العضلي" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدمت بها د. داليا كمال عبدالرؤوف.

"دراسة مقارنة لعمليتي استئصال المرارة بالمنظار الجراحي والفتح الجراحي للبطن" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة الأزهر، تقدم بها د. محمد أبو الفتوح.

"الدور الاجتماعي والسياسي للمرأة في العهد القديم" عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإنسانية في جامعة الأزهر، تقدمت بها عزة أنس سيد.

"علاقة الالتهاب الكبدي الفيروسي بمرض الفشل الكلوي" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الزقازيق، تقدم بها د. خالد محمد لاشين.

"تحديد وتحليل المناطق المركزية بالمدن: حالة دراسة لمدينة الخبر" عنوان

مرتاض.

صدرت الكتب السابقة عن ديوان المطبوعات الجامعية.

المغرب

جائزة البابطين تحيي ذكرى الشابي

تقيم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري حفلها السنوي لتوزيع جوائزها في دورتها الرابعة في مدينة فاس المغربية في الخامس من شهر جمادى الأولى الجاري. تحمل الدورة اسم الشاعر التونسي الراحل أبي القاسم الشابي وتستمر ثلاثة أيام.

وقد فازت بجائزة «الإبداع في مجال الشعر» الأديبة والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، وحصل على جائزة «نقد الشعر» الناقد المصري د. مصطفى ناصف، وتقاسم الشاعر السوري د. خالد محيي الدين البرادعي والشاعر المصري أحمد غراب جائزة «أحسن ديوان شعر» عن ديوانيهما على التوالي «عبد الله والعالم» و«نقوش على جدار الصمت»، فيما حجبت جائزة «أحسن قصيدة» لهذا العام لعدم رقي القصائد المقدمة للمستوى الشعري المطلوب.

واستعدت المؤسسة لهذه الدورة بتجميع قرابة خمسمائة كتاب باللغة العربية واللغات الأخرى تناولت على مدى ستين عامًا الشابي حياته وشعره، كما قامت بطبع دواوينه ومؤلفاته ورسائله، وأعدت لتنظيم معرض يصور مراحل حياة الشابي.

وقسمت الدورة إلى قسمين، أولهما بعنوان: «تحية للشابي»، والثاني عن «الخطاب الشعري المعاصر».

من الأبحاث التي تلقى في الدورة: «الشابي متأثرًا» دراسة عن الروافد التي استمد منها الشابي تجربته الإبداعية، حيث يتناول د.خليفة التليسي الروافد العربية، ويعرض د. محمد عصفور الروافد الأجنبية، و«الفن الشعري عند الشابي» حيث يحاضر د.محمد مفتاح عن شاعرية الشابي، ويتكلم د.عبد السلام المسدي عن الظواهر المتميزة في المضمون الشعري.

وتحت عنوان «الشابي مؤثرا» يتعرض د.محمد حسن عبد الله لتأثير الشابي في مسيرة الحركة الشعرية في مشرق العالم العربي، ويكمل د.أحمد الطريبسي الدراسة بذكر تأثيره في المغرب العربي.

وعن «الشابي ناثرًا» يناقش الناقد سعيد السريحي رسائل الشابي ومقدماته، ويقدم د.عبدالملك مرتاض تقويمًا للنقد المكتوب عن الشابي شاعرًا وناثرًا.

ويقدم د.أحمد درويش تحت عنوان «شخصية الشاعر ومكانتها في التقويم النقدي المعاصر» عرضا نقديًا للشاعر صاحب الخطاب، يكمله د.نديم نعيمة ببحث عنوانه «رؤية الشاعر ومكانتها في التقويم النقدي المعاصر».

وعن «الخطاب الشعري المعاصر» يحاضر د.محمد عبد المطلب عن أدواته «اللغة، الإيقاع، الدلالة ...»، ويتكلم د. محمد الهادي الطرابلسي عن مصادره «التاريخ، الأسطورة، الواقع...».

وحول «المخاطب» أو متلقي الشعر يتحدث د.صلاح فضل عن احتياجاته في الخطاب الشعري، ويوضح د.حسين الواد تأثير الخطاب الشعري في المتلقي.

متحف لابن بطوطة في طنجة

يجري حاليًا العمل لإنشاء متحف ابن بطوطة في حي القصبة بمدينة طنجة مسقط رأس الرحالة المسلم.

رسالة ماجستير نوقشت في كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل، تقدم بها المهندس نبيل حمد الدوسري.

"استخدام الجهد لاستثارة الإحساس العصبي للمرضى فاقدي الوعي" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها د. فوزية عبدالله الروق.

"مقارنة تقويمية بين طريقي فحص القلب بالصدى والقسطرة القلبية لتقويم ضيق الصمام الرئوي الموسع بالبالون" موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها د.عبير عبدالمعطي عليان.

"التنصير في بلاد النوبة: حقيقته، آثاره، مواجهته" عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها نورالدين عوض الكريم بابكر.

"الرضا الوظيفي وعلاقته بالإنتاجية العلمية لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود" عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها حمود صالح صابر الحربي.

"جهود أبي جعفر النحاس اللغوية في كتابه معاني القرآن" عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها علي بن عبدالله الراجحي.

"التهذيب في الفرائض لأبي الحسن محفوظ الكلوذاني: تحقيقاً ودراسة" موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها راشد محمد راشد الهزاع.

يقام المتحف بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ووزارة الشؤون الثقافية المغربية والسلطات المحلية في طنجة.

نقود من العهد السعدي

اكتشفت في مدينة مراكش ٥٨ قطعة نقدية يعود تاريخها إلى العهد السعدي (القرن العاشر الهجري).

من القطع المكتشفة دينار من الذهب الخالص سك عام ٩٩٦هـ يحمل اسم «أبو العباس أحمد المنصور» ونصف دينار من الذهب يحمل كتابة «عبد الله ابن أمير المؤمنين»، كما وجدت بين المجموعة قطعتان نقديتان من البرتغال تعودان إلى الحقبة نفسها.

كتب جديدة

«التراث والهوية: دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب» تأليف عبد السلام بن عبد العالي، صدر عن دار توبقال.

«أيام العزة» مسرحية ليوسف فاضل، صدرت عن دار النجاح الجديدة.

«الخشبة واللوحة: إشكاليات تصورات» مجموعة من المؤلفين (بحوث ألقيت في ندوات للكلية) صدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية في مكناس.

«وضع المرأة في العالم الإسلامي» تأليف مجموعة من الباحثين، تقديم د. عبد العزيز التويجري، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في الرباط.

«دفتر سرايفو» تأليف خوان جوتيسولو، ترجمة طلعت شاهين، صدر عن دار الفلك في الدار البيضاء.

«اللسانيات التطبيقية الحديثة» تأليف موضي الناجي وفاطمة صديقي، تقديم دجوشوا فيشمان، صدر بالإنجليزية عن دار إفريقيا الشرق.

النيجر

مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي

يجري - حاليا - العمل على إنشاء مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي في نيامي بالنيجر، ويتكون من مسجد يتسع لنحو ١٨٠٠ مصلٍ، ومجمع مدارس للمراحل الثلاث إضافة إلى روضة أطفال، ويقام إلى جواره معهد لتدريس اللغة العربية ووحدة للبحوث الإسلامية، ومكتبة كبيرة، إلى جانب معهد للتدريب المهني ومستوصف.

تتولى تنفيذ المشروع المؤسسة الإسلامية للسلام الاجتماعي في النيجر.

إندونيسيا

مائة باحث في المؤتمر العالمي لإعجاز القرآن

شارك أكثر من مائة باحث وعالم من مختلف البلدان في أعمال المؤتمر العالمي السادس للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي استضافته مدينة باندونج الإندونيسية في أواخر شهر ربيع الأول الماضي.

ناقش المشاركون ومن بينهم علماء مسلمون وغير مسلمين على مدى تسعة أيام ٢٧ بحثًا وورقة عمل تتعلق بالإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مختلف المجالات، وبخاصة الطب والصيدلة والفيزياء والجيولوجيا.

من أبرز البحوث التي نوقشت بحث قدمه د.وان ستيبلن حول «القرآن الكريم والجاذبية الأرضية»، وآخر للدكتور جعفر شيخ إدريس بعنوان «وجود الله والعلم الحديث»، كما قدم د.علي عبد الله الدفاع بحثا عن «تاريخ العلوم الرياضية عند المسلمين»، والدكتور أبو الوفا عبد الآخر «الطب النبوي نظام متكامل»

نظم المؤتمر اتحاد المثقفين المسلمين في إندونيسيا، وهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، والمجلس التعاوني للجامعات الإسلامية الأهلية، وجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية.

سنغافورة

حضارة الهند في سنغافورة

استضاف المتحف القومي في سنغافورة تحت عنوان «خمسة آلاف عام في الهند» معرضًا لمجموعة كبيرة من الأعمال الفنية عن الهند تتناول الفترة من عام ٣٠٠٠ق.م إلى عام ١٩٠٠م. فضلاً عن مجموعة من الحلي النادرة مصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة، ومجموعة من المنسوجات الحريرية اليدوية الهندية. أبرزت المعروضات نمط حياة حكام الهند وملوكها وقصورهم.

باكستان

الاحتفال العالمي الأول لحرفيي العالم الإسلامي

تستضيف إسلام آباد ندوة دولية عن «الابتكار في الحرف اليدوية الإسلامية» في الثاني من شهر جمادى الأولى الجاري.

تقام الندوة في إطار الاحتفال العالمي الأول لحرفيي العالم الإسلامي، الذي ينظمه مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول بالتعاون مع مؤسسة لوك فيرسا في إسلام آباد وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في

جدة، ومنظمة اليونسكو العالمية في باريس.

تناقش الندوة الوسائل المتعلقة بآفاق إحياء الحرف اليدوية الإسلامية وتحديثها، والخطوط الرئيسة لاتجاهاتها المستقبلية، لضمان إحياء جوانب الابتكار فيها، وتوظيف التقنيات الحديثة لتنمية الحرف اليدوية.

ويعقد على هامشها اجتماعان دوليان، أولهما اجتماع خبراء اليونسكو لتقويم عقد تطوير الحرف اليدوية في العالم، والثاني الاجتماع الآسيوي للملجس الدولي للحرف اليدوية.

سويسرا

الاحتفال بذكرى شكيب أرسلان

يعد متحف الأليزيه في لوزان للاحتفال بالذكرى الخمسين لرحيل أمير البيان شكيب أرسلان. وسيتم الاحتفال في شتاء عامي ١٩٩٦/١٩٩٧م في إطار مهرجان للثقافة العربية يستمر ثلاثة أشهر.

وتشكلت هيئة إدارية وقانونية لهذا الغرض ضمت شارل هانري فافرود وفيليب لامبيلي ممثلين للمتحف والسيدة مي أرسلان جنبلاط ابنة الشاعر الراحل، وحفيده وليد جنبلاط، والسيد توما عريضة، والبروفسور يوسف أبيش.

إسبانيا

وفاة عميدة الأدب الإسباني

فقدت إسبانيا واحدة من أبرز كاتباتها بوفاة روسا تشاثل، التي سبقت زمانها وتوفيت عن عمر يناهز ٩٦ عاماً.

تنتمي روسا إلى الجيل الذي كان له فضل الريادة الأدبية والفكرية في أنحاء مختلفة من العالم.

جاء مولدها في مدينة بلد الوليد، تلك المدينة التي أنشأها عرب الأندلس في سنوات عزهم، وفيها أمضت تسع سنوات من بواكير عمرها تتنسم شذا الأندلس وعطرها، وهو مالم تستطع نسيانه حين انتقلت مع أسرتها للإقامة في مدريد.

درست في مدريد الفن التشكيلي، لكنها مع هوايتها تلك لم تجد فيه ذاتها، وتعلمت الكتابة على يد الفيلسوف خوسيه أورتيجا، الذي أتاح لها فرصة النشر في مجلته (Vevista De Occidente)، ونشرت أولى قصصها «محطة ذهاب وإياب» عام ١٩٣٠م، وبدأت أقدامها ترسخ في الوسط الأدبي، خاصة بعدما كونت صداقات حميمة مع أعضاء جيل الـ (٢٧) الشعري مثل غارثيا لورا ورفائيل ألبرتي. فكتبت القصة القصيرة والرواية والشعر والمقالة.

وحين تغلب الفاشيست في الحرب الأهلية الإسبانية عام ١٩٣٩م عاشت في منفاها في روما التي أمضت بها خمس سنوات، درست خلالها الفنون الجميلة، ثم انتقلت إلى أمريكا اللاتينية، لتعيش متنقلة مابين بيونس آيرس وريو دي جانيرو. وهناك نشرت غالبية أعمالها وترجماتها لأدباء عالميين إلى اللغة الإسبانية.

وعادت روسا إلى وطنها بعد وفاة فرانكو، وحصلت على عدة جوائز، منها جائزة النقد عام ١٩٧٦م عن روايتها «حي العجائب» والجائزة الوطنية للآداب، وقبل وفاتها بنحو أسبوعين سلمها الملك خوان كارلوس وعقيلته ميدالية الفنون الجميلة.

من أبرز أعمالها: روايات «ذكريات لتيثا بابي»، «الظلم»، «حي العجائب»، «علوم طبيعية»، و«القلعة»، إلى جانب كتابها «حذار من الحرية» الذي تحذر فيه النساء من مخاطر الفهم الخاطىء للحرية المنشودة.

فرنسا

معرض «دولا كروا في المغرب»

نظم معهد العالم العربي في باريس معرضاً بعنوان «دولا كروا في المغرب» في أواخر شهر ربيع الآخر المنصرم.

يستعيد المعرض رحلة الفنان أوجين دولا كروا إلى المغرب من خلال مائة من أهم أعماله الفنية التي أنجزها خلال رحلته، وشملت لوحات زيتية ومائية ورسوماً ومحفورات، تصور الناس ومختلف أوجه الحياة في المغرب في نهاية القرن الميلادي الماضي.

وكان دولا كروا قد بدأ رحلته في مطلع عام ١٨٩٢م مرافقاً لمبعوث الملك لويس فيليب في مهمة لدى السلطان مولاي عبدالرحمن، واستمرت الرحلة ستة أشهر، تنقل فيها داخل المغرب بين طنجة ومكناس.

إلغاء قانون حماية اللغة الفرنسية

ألغى المجلس الدستوري (أعلى سلطة دستورية في فرنسا) القانون الذي كان قد تبناه البرلمان لحماية اللغة الفرنسية من الكلمات الأجنبية، وبخاصة الإنجليزية.

وكان القانون قد أثار جدلاً بين أوساط المثقفين، إلى أن حسم المجلس الدستوري الأمر بقراره بإمكانية تطبيق القانون على الخدمات العامة فقط دون المواطنين أو وسائل الإعلام ووكالات الإعلان.

لم يحظ قرار المجلس الدستوري برضى وزير الثقافة جاك توبون، الذي تعهد بالاستمرار في الدفاع عن اللغة الفرنسية وخصوصيتها ضد غزو اللغة الإنجليزية خاصة.

ملامح القاهرة في نانت

تستضيف مدينة نانت الفرنسية مهرجاناً

ثقافياً عن الملامح الفنية والثقافية والحضارية للعاصمة المصرية "القاهرة" في الثاني عشر من شهر جمادى الأولى الجاري، لمدة ست ليالي.
يتضمن المهرجان معارض للفن التشكيلي يشارك فيها ستة فنانين مصريين بأعمال غير تقليدية، ومجموعة من المحاضرات والندوات والأمسيات الأدبية والموسيقية والمسرحية.
يأتي المهرجان في إطار استضافة نانت مهرجانات مماثلة سنوياً لكبريات العواصم والمدن العالمية، حيث سبق أن استضافت برشلونة ١٩٩٠م، سانت ستراسبورج ١٩٩١م، بيونس أيرس ١٩٩٢م، نابولي ١٩٩٣م، ومن المقرر أن تكون نيويورك ضيفة العام المقبل ١٩٩٥م.

تحف نادرة من القرن الثاني ق.م.

اكتشفت مجموعة من التحف النادرة تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد في بئر عمقها عشرة أمتار بين أنقاض مدينة تنتمي إلى الحضارة السلتية تقع على هضبة أرميتاج المشرفة على مدينة أجين جنوب غرب باريس.
تتضمن المكتشفات مزهريات بحالة جيدة، وخوذات من البرونز، ودلاء من الخشب مغلفة بالبرونز، حفر على قاعدة أحدها رأس أسد، إضافة إلى حلي منها طوق من الحديد مرصع بحجر كريم، ومشبك ثوب، ودبوس كبير.

أحدث الكتب

«الحرب في عيون بريئة» رسوم الأطفال البوسنيين وأشعارهم التي جمعتها اليونيسيف، صدرت في كتاب عن دار دي شين في باريس.
"التاريخ الكوفي للأرقام" تأليف جورج ايفراح، صدر عن دار نشر لافون.
"دماء غالية" (عن الاغتيالات السياسية)، تأليف أربك لابيشن، صدر عن دار نشر بلفوند.
"الرجل الأول" سيرة ذاتية لكاتبها ألبرت كاموس، صدر عن دار نشر ايديشنز جاليمارد.
"التعاون بين الاتحاد الأوربي ودول المغرب العربي" تأليف ولي عهد المغرب الأمير سيدي محمد، صدر ضمن سلسلة "مراجع دولية" عن دار نشر ناتون.
"جان بول سارتر" دراسة أعدها فرانسوا لويت، صدرت عن دار هاشيست.

ألمانيا

معرض فرانكفورت للكتاب

يقام خلال الشهر الجاري معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، الذي يعتبر الأكبر من نوعه في العالم. ويشارك في المعرض نحو تسعة آلاف دار نشر وجهة حكومية تنتمي إلى قرابة مائة دولة من قارات العالم المختلفة، وتشير التوقعات إلى أن الاهتمام بالكتاب الإلكتروني سوف يتنامى هذا العام، في ضوء ماتحقق من إقبال عليه في معرض العام الماضي.
وسيتم خلال أيام المعرض تسليم الكاتب ووزير الثقافة الإسباني السابق بورج سبيرون جائزة السلام الخاصة بالناشرين الألمان، تقديراً لإسهاماته في إبراز وجه المجتمع ومشكلات العصر.

الاحتفال بمئوية روث

احتفلت الأوساط الثقافية الألمانية بمرور مائة عام على ميلاد الأديب النمساوي جوزيف روث.
تضمن الاحتفال تنظيم ندوات ثقافية ناقشت حياة روث وأدبه، والمؤثرات فيهما، ومعرضين لأهم أعماله في مقر المكتبة الوطنية ببرلين، فضلاً عن عرض مجموعة أفلام مأخوذة من رواياته مثل "الميزان الخاطىء" و "نسيج العنكبوت".
استمر الاحتفال بالذكرى شهراً، واختتم في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر الماضي (٣٠ سبتمبر ١٩٩٤م).

ندوة تبحث أدب الغجر وأساطيرهم

نوقش أدب الغجر وأساطيرهم وحكاياتهم في ندوة علمية أقيمت ـ مؤخرًا ـ في مدينة ماربورج.
ناقشت الندوة عدة موضوعات منها: الغجر في الأدب الألماني، حيث تركز النقاش حول النظرة السلبية التي يقدمها الأدب الألماني عن الغجر، وأجمع المشاركون على أن الغجر قد أسهموا في أدب الأساطير والحكايات الشعبية في أوربا، بالرغم من الأفكار المغلوطة التي ألصقت بهم، وأثرت سلباً في حياتهم، ودفعتهم للعيش قرونًا طويلة على هامش المجتمع.
تكمن أهمية الندوة في أن أدب الغجر مايزال مجهولاً لدى الباحثين والعامة، بالرغم من انتشار الغجر منذ مئات السنين في أكثر من بلد أوربي من بينها ألمانيا، وهذا ماحدا بعدد كبير من علماء أوروبا الشرقية وألمانيا وباحثيها إلى المشاركة في أعماله.

الألمان يناقشون الاحتلال والثقافة

شاركت شخصيات ثقافية وسياسية ألمانية وفرنسية وبريطانية وأمريكية في مؤتمر عقد ـ مؤخرًا ـ في برلين تحت عنوان «دول الاحتلال الأربع والثقافة».
هدف المؤتمر إلى مناقشة السياسة الثقافية التي انتهجتها مع ألمانيا دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، وتأثيرها في الثقافة

الألمانية سلباً وإيجابًا.

بريطانيا

مهرجان «شكسبير للجميع»

يقام في لندن مهرجان دولي إحياءً لذكرى شاعر بريطانيا الكبير وليام شكسبير، يحمل المهرجان شعار "شكسبير للجميع"، وتمتد نشاطاته خلال الفترة من ٢٠ جمادى الأولى الجاري إلى ١٧ جمادى الآخرة المقبل (٢٥ أكتوبر - ٢٠ نوفمبر ١٩٩٤م).

ينظم المهرجان بالتعاون بين مركز باربيكان في لندن، وفرقة شكسبير الملكية البريطانية.

غياب روائي نوبلي

توفي الروائي البلغاري الأصل، البريطاني الجنسية، إلياس كانيتي (٨٩ عاماً) الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨١م.

ويعد كانيتي - الكاتب والإنسان - شخصية غامضة يصعب تصنيفها، إذ تنقل بين بلدان أوروبا هرباً من الأضواء، كما أن كتاباته لاتعبر عن مدرسة أو اتجاه معين، إضافة إلى تعدد مواهبه، فهو روائي وباحث وناقد، وكاتب مسرحي، ومحلل سياسي واجتماعي.

وله العديد من المؤلفات منها: "أوتو - دا - في" رواية، "كوميديا الأباطيل" مسرحية، "موتى مؤجلون" مسرحية، "الحشد والقوة" وهي أشهر كتبه، "المحاكمة الأخرى: رسائل كافكا إلى فيلبس"، "أرض الإنسان"، "الشاهد السماعي"، "قصة حب: الفلسفة المنقذة"، "قصة حياة: المشعل في الأذن"، "قصة حياة: ألعاب خطرة" وهي سيرة ذاتية.

أحدث الكتب

«المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر» تأليف جيل كيبيل، ترجمة بسام حجار.

«القسوة والصمت: الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي» تأليف كنعان مكية.

صدر الكتابان السابقان باللغة العربية عن دار الساقي.

«صفحات من حياة نازك الملائكة» تأليف حياة شرارة.

«الطعام في الثقافة العربية» تأليف نينا جميل.

«يثرب الجديدة: الحركات الإسلامية الراهنة» تأليف محمد جمال باروت.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار رياض الريس للنشر

«صدري» (تجربة شخصية لمريضة بسرطان الثدي قهرت المرض الخبيث)، تأليف جويس وادلر، صدر عن دار نشر رومان بريس.

رومانيا

مؤتمر لشؤون اللغة العربية

نظم مركز الدراسات العربية بجامعة بوخارست مؤتمراً عالمياً لبحث التطورات في مجال العلوم العربية ومستجداتها.

شارك في المؤتمر نحو مائة من علماء الألسن واللغة العربية من مختلف أنحاء العالم، وحضر افتتاحه الأمين العام لجامعة الدول العربية د.عصمت عبدالمجيد. وقد قرر تحويل مركز الدراسات العربية إلى مركز إقليمي متخصص في الإبداع العربي.

الولايات المتحدة

"أمريكا" تتوقف

قررت وكالة الإعلام الأمريكية الحكومية وقف إصدار مجلتها الشهرية "أمريكا" بعد صدور استمر ٣٨ عاماً. وجاء القرار بعدما انتفت الحاجة إلى وجود المجلة بعد سقوط الشيوعية، حيث كانت موجهة للتأثير في عقول مواطني الاتحاد السوفييتي والدول التي كانت تدور في فلكه.

يحمل غلاف العدد الأخير من "أمريكا" صورة لامرأة كانت المجلة قد وضعت صورتها وهي طفلة على غلاف عددها الأول قبل ٣٨ عاماً.

أحدث الكتب

«إسلام السياسة.. صراع الاقتصاد» (رؤية تحليلية مستقبلية للمتغيرات في الأراضي العربية المحتلة بعد السلام بين المنظمة واسرائيل)، دراسة أعدتها وحدة الدراسات الاقتصادية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة هارفارد.

«حروب هابل»، (عن تليسكوب الفضاء هابل)، تأليف إيريك جي شيسون.

«الوقوف صامداً: ذكريات نائب رئيس» تأليف دان كويل.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر هاربر كوليتز.

«أعراق» (عن الأعراق الاقتصادية والعرقيات التي أخذت بالتقنية)، تأليف جول كوتكن، صدر عن منشورات راندوم هاوس.

«نصر أسود» (عن انتقال السلطة في جنوب إفريقيا) تأليف مارتن ماميت، صدر ضمن منشورات جامعة شيكاغو.

«الثمن والمستقبل» (عن الوحدة الألمانية)، تأليف ديتريش فايدن، صدر عن دار نشر سايمون أند شوستر في نيويورك.

«صناعة الخيال» (عن ألعاب الحاسب الآلي والفيديو)، تأليف نورتون هينرسون، صدر عن دار نشر فيلارد بوكس في نيويورك.

«الجيوبوليتيك الجديد لتركيا: من البلقان إلى غرب الصين» تأليف مجموعة من الباحثين الأمريكيين، صدر عن دار ويست نيو بريس في نيويورك.

في جنوب الصين

الإصـــدار رقم ١٣٦ في سلسلة (دعوة الحق) الشهرية التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

والكتاب هو الجزء الثالث من مؤلفات محمد بن ناصر العبودي التي يسجل فيها يومياته ومذكراته عن زيارته للصين عام ١٩٨٤م على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي بدعوة من الجمعية الإسلامية الصينية، فبعد زيارة أنحاء عديدة من المقاطعات الصينية بدأ نشر مشاهداته واستنتاجاته عن ماضي وحاضر مسلمي الصين، فأصدر كتابًا بعنوان: «داخل أسوار الصين»، وآخر بعنوان: «كتاب في مهد الترك» يتحدث عن مقاطعة تشنجال التي كانت تعرف ـ عالميًا ـ بمقاطعة سينكيانغ، واسمها في الكتب العربية التاريخية «تركستان الشرقية». أما الإصدار الذي نحن بصدده الآن، فيتضمن الحديث عن زيارة المؤلف لمدينة شينغهاي كبرى مدن الصين، ثم منطقة «تونغ يانغ»، ومدينة «قوانفتشو» المعروفة عالميًا بـ «مدينة كانشون» التي تحتضن أول مسجد بناه المسلمون في الصين، والإصدار بمعلوماته التي توثق فترة مهمة في التحولات التي يعيشها مسلمو الصين، يدخل ضمن كتب ومؤلفات «أدب الرحلات» والسياحة الفكرية التي تُعَرِّف بثقافات الشعوب.

الكتاب يقع في ١٤٣ صفحة من القطع المتوسط.

أحيانًا

إصدار للكاتب الصحفي السعودي عبدالعزيز بن أحمد السويد، يشتمل على مجموعة مقالات قصيرة، نشر معظمها في مجلة اليمامة في الفترة من ١٤١٠ ـ ١٤١٣هـ، واستخدم الكاتب الأسلوب الساخر لمعالجة قضايا المجتمع، ونقد الظواهر السلبية، وقد اختار لموضوعاته عناوين مثل: «حمل كاتب»، «آخر الرجال الصلعان»، «اللزقات»، «الماء اليابس»، «المتعطرجون»، «زمن التباسي»، «التيوس والجنس الثالث»، «أسماء بقروش»، «المشي على أربع»، «المبحلقون والمبحلقات»، «بنات الأفكار».

وفي موضوع بعنوان «لاكي ذو الشعر الطويل» تعليقًا على إعلان نشر في إحدى الصحف، عن فقدان كلب اسمه «لاكي»، قال يتندر على زملائه الصحفيين ـ وقد تصورهم خارجين للبحث عن «لاكي»، طمعًا في المكافأة المغرية المعروضة ـ: «.. والصحفيون عادة ينتدبون لـ «تغطية» الحدث، وهذا هو التعبير الشائع، ولذلك فإن الحدث يخرج إلى القراء حسب إمكانيات المُغطي، ونوع الغطاء الذي يستعمله، وكثيرًا ماينجح الصحفي في «تغطية» الحدث عن القراء!، عملاً بمبدأ ستر العورة الذي أُمرنا به!؟، وقد يكون السبب استخدامه غطاء ثقيلاً (بطانية مثلاً) جعل الحدث يتوارى، فلم يعرف القراء ما القصة، وانشغلوا عنها بسماكة الغطاء!، وقد لاينجح الصحفي في تغطية الحدث لأنه يتوقع أنه بحاجة إلى (غطاء جوي)، وإلى حين انتظار هذا الغطاء الذي قد لايصل، يكون الحدث المكشوف قد تلاشى وانتشرت رائحته!!».

الكتاب يقع في ١٧٥ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في الرياض ١٤١٤هـ.

الغابة النائمة

المجموعة القصصية الرابعة للقاص نادر السباعي، تضم عشرة أقاصيص، يقدم المؤلف من خلالها رؤاه لمعالجة مشكلات الإنسان العربي، متلمسًا تقنيات تقترب بطرحه ومعالجاته من عالم «الفانتازيا»، وذلك بالرغم من أنه يبدو حريصًا على أن يختم قصصه بنهايات تمنح أمالاً ممدودة.

يقول الدكتور منذر عياشي في تقديمه المجموعة: «إن هذه التجربة الكتابية في مجملها تقوم على ممارسة شعرية تجعل المجموعة كلها إشارة لغوية لاينفصل دالُّها عن مدلولها، ولاينفصل موضوعها عن لغتها. قصص المجموعة بنهاياتها المفتوحة تبدو وكأنها لم تكتمل، الأمر الذي يومىء للقارىء بالمشاركة في وضع تصورات لنهايات مستوحاة من تداعيات القصص، وتطوراتها الدرامية.

الكتاب يقع في ١٤٨ صفحة من القطع الصغير، وقد صدر عن مركز الإنماء الحضاري بدمشق.

قطوف دانية من شجرة الحكمة العالية

مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة انتقاها وجمعها الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين، مما قرأه في بطون الكتب بعدة لغات، أو مما استخلصه من تجربته في الحياة حيث تسنم عدة مناصب مرموقة، كما اختير مفتيًا لسوريا عام ١٩٥٤م، وأُحيل على التقاعد بعد خدمة طويلة في المناصب العامة، كما عمل بالتدريس، وشارك في الثورات الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا، وواجه مواقف نادرة.

قام بتنقيح موضوع الكتاب وهيأه للنشر محمد عزيز عابدين، بعد أن عثر على المخطوطة الأصلية، وقد رتب مادة المتن حسب الترتيب الهجائي للحروف.

الكتاب يقع في ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار البشائر في دمشق.

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٢)

ج ١: من الأحاديث الشريفة التي وردت في قبول الهدية والحث عليها:

١ـ مارواه أحمد من حديث خالد بن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف ولا مسألة فليقبله ولايرده فإنما هو رزق ساقه الله إليه».

٢ـ مارواه أحمد والترمذي ـ وصححه ـ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أُهدي إليَّ كُراع لقبلت، ولو دُعيت عليه لأجبت».

***

ج ٢: أقسام الصلح ثلاثة: صلح عن إقرار، وصلح عن إنكار، وصلح عن سكوت. فأما الصلح عن إقرار، فهو أن يدَّعي إنسان على غيره ديناً أو عيناً أو منفعة، فيقر المدَّعى عليه بالدعوة، ثم يتصالحا على أن يأخذ المدَّعي من المدعى عليه شيئاً. وأما الصلح عن إنكار، فهو أن يدعي شخص على آخر عيناً أو ديناً أو منفعة، فينكر ماادعاه، ثم يتصالحا. وأما الصلح عن سكوت، فهو أن يدعي شخص على آخر ديناً أو عيناً أو منفعة، فيسكت المدعى عليه، فلا يقر ولا ينكر.

***

ج ٣: عدَّ السيوطي في كتابه «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، أحد عشر نحوياً من الأخافش. أما أشهرهم فثلاثة هم: الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبدالحميد بن عبدالمجيد، أحد شيوخ سيبويه، والأخفش الأوسط أبو

نتائج مسابقة العدد (٢١٢)

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، لؤي مصطفى المطلق، حلب ـ سورية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعودياً، مرتاض محمد هشام، وهران ـ الجزائر.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعودياً، أحمد رامي علي القطان، الرميثية ـ الكويت.

***

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً)، كل من:

١ـ سهام محمد حاج إبراهيم، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة.

٢ـ أشواق خالد ناصر، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٣ـ صلاح الدين جمعة عبد الله خليفة، القاهرة ـ مصر.

٤ـ أحمد عودة محمود، الزرقاء ـ الأردن.

٥ـ منى محمد تركي مبيض، حلب ـ سورية

***

جـ ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً)، كل من:

١ـ حروش عبد السلام، أغادير ـ المغرب.

الاسم: ....
العنوان: ....
للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، والأخفش الأصغر أبو الحسن علي بن سليمان من تلامذة المبرد وثعلب.

***

ج ٤: يحذر الأطباء من التحديق إلى الشمس بالعين المجردة، ذلك لأن هذا التحديق يؤدي إلى حدوث أضرار بالغة بشبكية العين يصعب علاجها فيما بعد. فالعين عندما تنظر إلى قرص الشمس مباشرة - حتى في حالة الكسوف - فإن عدستها تجمع الأشعة الشمسية إلى بؤرة أو نقطة تقع على شبكات العين، وينتج من ذلك تولد حرارة شديدة من البؤرة تؤثر في الشبكية، في مركزها المسؤول عن الرؤية الدقيقة بالذات. وهذه الحرارة تؤدي إلى إحراق نقطة في الشبكية، ويتبع ذلك حدوث التهاب فيها وتلف لهذا الجزء، ثم يظهر فيما بعد كيس أو ثقب صغير، وهذا التلف الذي يحدث في الشبكية ينتج منه ضعف في الإبصار، وهو ضعف يصعب علاجه بالنظارات أو من الوسائل لأن الإصابة تكون في الشبكية نفسها.

***

ج ٥: مرض «لذة الألم» أو «السادية»، هو انحراف في السلوك يجعل المصاب به يتمتع بتعذيب غيره بوسائل عدة أهمها الضرب بالسياط، وقد سُمِّي بهذا الاسم نسبة إلى ضابط فرنسي يدعى المركيز دي ساد، وكان أديبًا تتميز شخصيات رواياته بالاندفاع القهري إلى تحقيق اللذة بتعذيب الآخرين. ويمثل هذا الشذوذ الجنسي في رأي التحليل النفسي اتجاه الدافع التدميري نحو الآخرين.

أسئلة مسابقة العدد (٢١٥)

السؤال الأول:
أمر الله - عز وجل - الناس أن يدعوه ويضرعوا إليه ، ووعدهم بالاستجابة لهم. وللدعاء آداب ينبغي مراعاتها. اذكر بعضًا منها باختصار.

***

السؤال الثاني:
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين غزوات عديدة ضد المشركين لإعلاء كلمة الله، لكنه لم يقاتل فيها جميعها. كم غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكم غزوة قاتل فيها؟

***

السؤال الثالث:
صحابية جليلة، لقبت «بذات الهجرتين». من هي؟

***

السؤال الرابع:
لجمال الدين محمد بن مالك، ألفية في النحو عرفت باسمه: «ألفية ابن مالك»؛ لكن ألفية أخرى ظهرت قبلها لنحوي ضليع، وإن لم تشتهر شهرتها. من صاحب هذه الألفية؟

***

السؤال الخامس:
من أصحاب الكتب التالية: الإتقان في علوم القرآن، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؟

٢- جمال بن خليفة بو عرادة، سوسة - تونس.
٣- دعاء نعيم صالح الأغا، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
٤- بسمة منصور عمر عثمان، عمان - الأردن.
٥- أمارة رزق عطية، الدقهلية - مصر.
٦- الحبيب بن أحمد ضيف الله، مدنين - تونس.
٧- حسين محسن هلال المطيري، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
٨ - بديع شفيق عيون، دمشق - سورية.
٩- التجاني إبراهيم صالح عبد الكريم، الخرطوم - السودان.
١٠- بشير أحمد البحراني، القطيف - المملكة العربية السعودية.

***

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارت مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:
١- سعد أحمد سعد، الدوحة - قطر.
٢- رفيق عبد الهادي محمد، سطات - المغرب.
٣- السيد بدير علي إبراهيم، المنصورة - مصر.
٤- إسماعيل بن إبراهيم الناب، مدنين - تونس.
٥- عبد الله جدي، المسيلة - الجزائر.

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال:

ضغث على إبالة

أي ثقل على ثقل، ومصيبة على مصيبة، فالإبالة هي الحزمة من الحطب، والضغث هي حزمة فوقها، فهي تزيد الحامل ثقلاً على ثقله.

قيل إن أول من قال ذلك زياد بن حابس القشيري، إذ قُتل أخوه مالك، وفي اليوم نفسه مات له ولدان، فكانت مصيبة على مصيبة.

ويقال هذا المثل حين تكثر المصائب وتتوالى

المراكب كثيرة

عزم إبراهيم بن أدهم على الحج ماشيًا، فرآه رجل يركب بعيره، فقال له: إلى أين يا ابن أدهم؟ قال: إلى الحج إن شاء الله. قال الرجل: وأين الراحلة، فالطريق طويل؟ قال ابن أدهم: المراكب كثيرة لكنك لاتراها. قال الرجل: وما هي؟ رد ابن أدهم: إذا نزلت بي مصيبة ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت بي نعمة ركبت مركب الشكر، وإذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضا، وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما بقي من الأجل أقل مما مضى. قال الرجل: سر على بركة الله، فأنت الراكب، وأنا الماشي.

فرات

قيل لأعرابي: ما اسمك؟ قال: فرات بن البحرين الفياض، فقيل له: وما كنيتك؟ قال: أبو الغيث، فقيل له: إذن يجب أن يُلقى فيك زورق وإلا غرقنا معك.

بين شاعرين

داعب الشاعر محمود غنيم صديقه الشاعر محمد الأسمر بقصيدة فيها اتهام للأخير بالبخل فقال:

صُمْ إذ ا ما الضيف جاءك
وامنح الضيف عشاءك
ياصديقي قد فحصنا
ك فكان البخل داءك
أنت بالبخل مريض
نسأل الله شفاءك

فرد عليه الأسمر

ياصديقي أنت في شعر
ك لم تلبس رداءك
قد عرفناك صغيراً
وتبيّنا سخاءك
فأطال الله للجو
د الكلاميِّ بقاءك

لايغرّنك المرتقى السهل

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لاتعدن وعداً، إلا تثق من نفسك بإنجازه، ولايغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن للأعمال جزاءً، فاتق العواقب، وأن للأمور تقلبات، فكن على حذر.

أفضل مواد للتجميل

سئلت عجوز يفيض وجهها بشرًا وجمالاً: أي مواد التجميل تستعملين؟

قالت: أستخدم لشفتي الحق، ولصَوْتي الذكر، ولعيني غض البصر، وليدي الإحسان، ولقوامي الاستقامة، ولقلبي حب الله، ولعقلي الحكمة، ولنفسي الطاعة، ولهواي الإيمان.

أوائل

أول ما خلق الله: القلم، أول جبل وضع في الأرض: جبل أبي قبيس، أول مسجد وضع: المسجد الحرام، أول ولد آدم: قابيل، أول مَنْ خط وخاط: إدريس عليه السلام، أول مَنْ اختتن، وضاف الضيف: إبراهيم عليه السلام، أول من أسلم من الرجال: أبو بكر، ومن الصبيان: علي، ومن الموالي: زيد، ومن النساء: خديجة، ومنَ الأنصار: جابر بن عبد الله بن رباب، أول من أذن: بلال، أول مَنْ بنى مسجداً في الإسلام: عمار، أول مَنْ سَلَّ سيفًا في الإسلام: الزبير، أول مَنْ جمع القرآن: أبو بكر، رضي الله عنهم جميعًا.

لاتقولي شيئا

قال الجاحظ: أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب، فخرجت إليَّ جارية سندية ، فقلت لها: قولي لسيدك: الجاحظ بالباب. فقالت: أقول: الجاحد بالباب؟ قلت: لا بل قولي الحدقي بالباب. فقالت: أقول الحلقي بالباب؟ فقلت لها: لاتقولي شيئًا.

الحروف في حساب «أبي جاد»

(حساب الجُمَّل)

ترتيب الحروف

أبجد، هُوَّز، حطِّي، كلمن، سعفص، قرشت، ثَخذٌ، ضظغٌ

أ= ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤، هـ = ٥، و= ٦، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ي = ١٠، ك = ٢٠، ل = ٣٠، م = ٤٠، ن = ٥٠، س =

٦٠، ع = ٧٠، ف = ٨٠، ص = ٩٠، ق = ١٠٠، ر = ٢٠٠، ش = ٣٠٠، ت=٤٠٠، ث = ٥٠٠، خ = ٦٠٠، ذ = ٧٠٠، ض = ٨٠٠، ظ = ٩٠٠، غ = ١٠٠٠

أربعة

أربعة لم تحمل بهم أنثى:

- آدم عليه السلام.

- أُمّنا حواء.

- ناقة قوم صالح، عليه السلام.

- الكبش الذي افتُدِيَ به إسماعيل عليه السلام.

الأرض والشمس

تتراوح المسافة بين الأرض والشمس بين ١٥٢ - ١٤٧ مليون كيلو متر، وتعتمد على موقع الأرض في مدارها البيضاوي حول الشمس، وبهذه الدَّوْرة التي تتم مرة واحدة كل سنة شمسية، ينشأ تعاقب الفصول الأربعة، وكذلك الأرض تدور مرة واحدة حول نفسها في اليوم الواحد لينتج عن ذلك الليل والنهار.

١٦ ألف نافذة

يرتفع برج سيزر في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ٤٤٣ مترًا، ويضم ١١٠ طوابق، ونحو ستة عشر ألف نافذة زجاجية. فهو بذلك أكبر مبنى في العالم من حيث عدد نوافذه.

نسب

قال الخليفة العباسي هارون الرشيد، احفظوا عني ثلاثة: الجوار نسب، القناعة نسب، والصداقة نسب.

لايدعونه يبرد

قيل للأعرابي بعد أن قُدم إليه مرق: ما اسم المرق عندكم؟قال: اسمه السَّخين. قالوا: فإذا بَرَد؟ قال: وكيف ندعه يبرد؟!

أخذ ثلاثًا وترك ثلاثًا

وصف الشعبي أدب عبد الملك بن مروان، فقال: والله ما أعرفه قط إلا آخذًا بثلاث، تاركًا لثلاث: آخذًا بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث. وبأيسر المؤونة إذا خولف، تاركًا محاورة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج.



أسطح المساكن التقليدية في مدينة الرياض القديمة

شاهد زور

شهد رجل عند بعض القضاة ضد رجل آخر، فقال المشهود عليه للقاضي: كيف تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار ولم يؤد فريضة الحج؟ فقال الشاهد: بل حججت. قال المشهود عليه: سله أيها القاضي عن زمزم. فقال الشاهد: حججت قبل أن تحفر فلم أرها!

ثقيل

أكب رجل من بني مُرَّة على مالك بن أسماء يحدثه في يوم صيف ويغمُّه ويثقل عليه، ثم قال: أتدري مَنْ قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: لا، لكني أعرف من قتلتم منا في الإسلام، قال: ومَنْ هم؟ قال: أنا، قتلتني اليوم بطول حديثك وكثرة فضولك.

لاتطلبوا

قال خالد بن صفوان: لاتطلبوا الحوائج في غير حينها، ولاتطلبوها إلى غير أهلها، ولاتطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء.

ماتوا وما ماتت مكارمهم

الناس بالناس مادام الحياء بهم
والسعد لاشك تارات وهبّات

وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تُقضى على يده للناس حاجات

لاتمنعن يد المعروف عن أحد
مادمت مقتدرًا والعيش جنات

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

تباشير

يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

حكاية إصبع

أماني السيد أحمد

بمجرد أن مددت إليه يدي مصافحا .. إذا بجميع علامات الاستفهام والدهشة تشكل ملامح وجهه، نظر هو ليدينا أثناء المصافحة والتحية.. وجدتني أنا الآخر مدفوعًا بالنظر إلى يدينا وهما تتصافحان كي أجد مبررًا لدهشته تلك.. وإذا بي أبادله جميع أدوات الاستفهام والدهشة ليس لأنه يملك أصبعًا زائدًا يزيد عن حجم عقلة الإصبع وأنا لا أملك إياه [مثله] فهذه قدرة الخالق جل شأنه يعطي من يشاء بغير حساب.. ولكن ما أدهشني أن يدي براء من كل ما هو مدهش وعجيب، لم أشأ أن أسبب له حرجًا وأسأله عن سبب دهشته ربما ضغطت دونما قصد على أصبعه الزائد هذا أثناء المصافحة.. ربما.. ورغم أنني أعرفه منذ عمر ليس بالقصير إلا أنني لأول مرة ألحظ هذا الأصبع الزائد، ولولا نظرات الدهشة التي رأيتها على وجهه لما تنبهت إلى هذا.. حاول كل منا أن يغير انطباع رد فعله وكان هو أكثر مني ثباتا فبادرني سائلاً:

ـ ماهي آخر كتاباتك؟

ـ في طريقي الآن لإنهاء مجموعة مقالات بعنوان « تغيير إيقاع مجتمع»

ـ دائما ما تذكرني كتاباتك بمحاولات دون كيشوت عندما امتطى جواده هو وتابعه يجوبان الأرض مردداً دون كيشوت [وهويردد] :

«أرضا فيها الكفاية والعدل السلام»

ـ ألا توافقني أن المدينة الفاضلة [هي] كانت ولاتزال حلم الأزمان

ـ لكن دون كيشوت عاد خاوي الوفاض.. ومات بعد أن أضناه الترحال ودفنت في قبره وصدره خريطة المدينة الفاضلة.

ـ إيماني عميق بأن حلم الأزمان لابد أن يرى الحياة وتراه الحياة.. وسوف تتعانق الرؤيتان.. ولأن الله موجود فكل المستحيلات ممكنة.

ـ على كل أعلم أنك مقاتل فدائي ومدافع صارم لمبادئك.

إلى هنا انتهى حديثنا ومد كل منا يده مرة أخرى مصافحًا لإنهاء اللقاء.. كنت حَذرًا أثناء المصافحة كي لا أسبب له ضيقًا.. المدهش أنه هو الآخر كان حذرًا مندهشًا.. تركته عائدًا أفنّد التساؤلات مرارًا عن سبب دهشته.

وأثناء عودتي للمنزل ذهبت أجتر المبررات لصديقي هذا.. وأخذت أقلب يدي اليمنى علّي أجد ما يثير الدهشة لكني لم أجد.. وبمجرد أن فتحت لي زوجتي الباب.. ذهبت أقص عليها ما حدث مع صديقي .. وجلست لأروي لها ما حدث تفصيلا.. وعندما بدأت في تمثيل الموقف.. مسكت يدها مصافحًا إياها لتكون بديلة ليد صديقي.. كاد قلبي [أن] يتوقف من هول ما رأيت حتى إنني كدت أسمع عراك كرات الدم البيضاء والحمراء وهما في طريقهما للهروب من أطرافي ووجهي.. تصلبت يدي في يد زوجتي.. يا إلهي لزوجتي إصبعًا زائدًا مثل إصبع صديقي.. ماهذا كيف لم أر هذا من قبل؟!

حتى زوجتي!! إذن أين هي قوة الملاحظة تلك التي يصفوني بها؟! أين كنت عندما كنت أمسك بيد زوجتي وأنا أضع بإصبعها خاتم الزواج.. كيف لم أر الإصبع الزائد؟ تماسكت.. سألت زوجتي بهدوء يخفي وراءه ثورة من الإندهاش.

ـ منذ متى يا حبيبتي وأنت تملكين هذا الإصبع الزائد؟

ـ منذ أن تزوجنا.. ثم لماذا أنت مندهش هكذا.. كان أولى بك أن تندهش لإنك لاتملك إياه [مثله].. لم أشأ أن أسألك عنه يوما حتى عندما تزوجنا لأنني كنت أعلم أن هذ ا سوف يسبب لك حرجًا شديدًا.. ذهبت [أخذت] أضحك وأضحك طبقا للمثل القائل «شر البلية ما يضحك»، نظرت إلى يدي وأخذت أعد أصابعي إصبعا إصبع فإذا بي أجد عددهم [عددها] خمس أصابع، ثم بسطت يدي اليسرى وعددت أصابعها أيضا.. إذ [فإذا] بي أجدهم [أجدها] خمس أصابع، ابتسمت زوجتي قائلة:

ـ ماذا بك؟ ماذا أصابك ؟، تذكرني وأنت تعد أصابعك بهذه الطريقة بجدتي عندما كانت تلاعبني «آدي البيضة وآدي اللي شراها وآدي اللي سلقها» ثم تطلق ضحكة ساخرة وتواصل قائلة: لاعليك ليس شيء مخزي [شيئا مخزيا] بهذه الدرجة أن تنقص يديك اليمنى اصبعا لكنه فقط من غير اللائق، في تلك اللحظة تذكرت دهشة صديقي عندما صافحته حيث أنني أمثل اختراق لقاعدة متعارف عليها.. وقتها شعرت أنني لابد أن أتريث قبل أن أواصل حديثي مع زوجتي.. صمتت ثم بعد برهه غادرت المكان لمكتبي.. وجدتني أمسك بقلمي واسطر[أسطر] مقالة تحمل ما حدث بيني وبين صديقي وزوجتي دون تحريف.. تساءلت: لماذا أصبح من الطبيعي أن يكون الاصبع الزائد في يدي صديقي وزوجتي هو دليل اللياقة وعدم وجوده ـ أي أن يصبح ذلك الذي يمتلك عشر أصابع ـ هو الذي يتنافى ومتطلبات اللياقة.. منذ متى وأصبح هذا منطقا يسرى [يسري] بين الناس داخل هذا المجتمع؟

بل هل أصبح التكوين الذي خلقه الله تعالى لبشره وفطر الناس عليه هو الاستثناء المرفوض والمقبول واللائق السائد هو ذلك الإختلال التكويني الذي يرجع لسبب أو عدة أسباب لا دخل لمخلوق بها.. ثم ما هي الحكمة في أن يصبح ذات الأصبع الزائد شخصا مميزا عن ذلك الذي لا يمتلكه.. وختمت مقالتي متسائلا عن صاحب هذا التشريع الزائف.. ثم وجدتني أجيب على نفسي قائلا: لابد أنه هو صاحب ذلك العدد اللانهائي الهائل من التشريعات الاجتماعية الزائفة.. انه [إنه] الجهل.. نعم الجهل بكل ما تحمله الكلمة من معان.

توجهت في اليوم التالي مباشرًا [مباشرة] إلى رئيس تحرير الجريدة التي أعمل بها.. طرقت الباب ودخلت وبعد أن ألقيت عليه التحية أيقنت أن مصير المقالة لابد وأن يكون سلة المهملات فرئيس التحرير يملك ما يملكه كل من صديقي وزوجتي أنه الاصبع الزائد.. أيقنت لحظتها أن صرختي لن تتجاوز حتى مسامعي.. لكني فضلت المغامرة ساعدني على ذلك طبيعة عملي كصحفي.. عرضت عليه المقال وعيناي مثبتتان على يده اليمنى حيث تمسك بالمقالة.. قرأ المقال..نظر إلى [إليّ] ممسكا المقال في يده ونظارته في يده الأخرى، ابتسم نصف ابتسامة حيث تراجع نصفها الآخر ليغلف غيظه وانفعاله.. نظر إليّ رافعا حاجبيه إلى أعلى قائلاً:

ـ أعلم أنك كنت متخوفًا من اعتراضي على نشرها.. ولكن لم لا تأخذ حقها وتنشر حتى لا تتهمني بأني عنصري ومتحيز.. وجدتني أقاطعه بانفعال شديد قائلاً:

عنصري ومتحيز.. إلى هذه الدرجة؟! واصل هو حديثه قائلاً:

إهدأ يا سيدي، ببساطة أنا أقدر أنك لا تملك في يدك اليمنى سوى خمس أصابع ومن حقك أن تعبر عن نفسك أنت ومن هم مثلك كما تشاء.. يقينا أن الرأي العام سوف يكون له وجهة نظر.. قد تؤازرك.. قد تعارضك سوف نرى بعد نشر المقال.. خرجت من مكتب رئيس التحرير والدنيا تدور برأسي.. سرت وأنا أثني أصابع يدي إصبعا إصبعا واحد يتلو [تلو] الآخر مرددًا «آدي البيضة وآدي اللي شراها وآدي إللي سلقها».

تعليق

لقد نجحت الكاتبة أماني عبد الحميد في هذه القصة أن تضع القارئ في فضاء يتداخل فيه الواقع والمتخيل، حين جعلت الراوي في دائرة لا يثق فيها بذاكرته، ولا يثق بتكوينه الجسدي، فيعود إلى أصابعه يعدها واحدًا واحدًا، ويقف مندهشا أمام زوجته ورئيس التحرير وقد رآهما يملك كل منهما اصبعا زائدًا.

ولعل الكاتبة أرادت أن تشير من خلال الراوي إلى سيطرة الرتابة على تفكير الناس، حتى إن هذا الشخص لم يكن ليتنبه إلى وجود ما يغايره في الآخرين، حيث لم يستيقظ فيه التنبه إلا حين رأى دهشة الآخرين واستغرابهم، بينما كانت ديناميكية الحياة تتطلب فيه التنبه والمتابعة.

ومن أحداث القصة استدعاء قصة دون كيشوت حين سأل عن آخر الكتابات، وقد كان ذلك تحايلاً لإدخال مساحة من التقرير في القصة أحالت القصة إلى نمط إنشائي، دون أن يكون هناك توظيف طبيعي لهذا الاستدعاء في أحداث القصة. وتحفل القصة بعد ذلك بعدد كبير من الأخطاء الأسلوبية والنحوية والاملائية، تحتاج معها إلى مراجعة وتدقيق.

د. علي القرشي

كرامة الأولياء بين الوهم والحقيقة



قرأت باهتمام كبير المقال المنشور في مجلة «الفيصل» في العدد «٢١١» الذي كتبه الشيخ محمد فتحي راشد الحريري، وقد ذكر بعض الأشياء يؤمن بها الجهال البسطاء تتعلق بكرامة الأولياء والصالحين، وقد فنَّد وكذَّب الأستاذُ الكاتب هذه الخرافات والأساطير، منها على سبيل المثال أن شخصا يدّعي أنه يسير في قبره، والآخر يدّعي أنه يصعد إلى القمر، لأن مثل هذه الأشياء تدخل في إطار المعجزة وليس في إطار الكرامة.

والمعجزة لاتكون إلا للرسل والأنبياء عليهم السلام، وهي مقياس من مقاييس النبوة.

الواقع إن أولياء الله لازالوا موجودين ولكن بنسبة قليلة جداً، وإن كرامتهم محدودة يقبلها العقل والمنطق السليم، والتجربة اليومية التي يعيشها معهم الناس تؤيد كرامتهم. وقد اهتم العلماء كثيرا بالصالحين والأولياء وكرامتهم، ونجد كتبا شتى أُلِّفَتْ في هذا الميدان، منها "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" و "التشوف والتصوف" و "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف".

إننا حين نقرأ هذه الكتب - وهي غيض من

لوكوربيزييه



طالعت على صفحات مجلتنا الغراء في باب "الحركة الثقافية في شهر" زاوية "محاضرات وندوات" نبأ انعقاد أمسية ثقافية في السفارة الفرنسية بالرياض، شارك فيها عدد من المعماريين ومهندسي الديكور، كان موضوعها "حياة المهندس المعماري الفرنسي لوكوربيزييه" وذلك في العدد «١٩٨».

وعلى هذا الأساس ارتأيت أن أكتب هذه الأسطر القليلة المتواضعة عن أهم مراحل حياة هذا المعماري الكبير، علها تفيد قرّاء المجلة عامة وطلبة الهندسة المعمارية في البلاد العربية خاصة.

أرجو أن تجد هذه الأسطر المتواضعة طريقها للنشر، خاصة أنه لم يسبق للمجلة أن نشرت موضوعات عن أهم معماريي العالم من أمثال: حسن فتحي، كنزو تونجي، أورايت، أندري، افيرو... إلخ.

شارل إدوارد جانوري ڤريز CHARLES EDOUARD JEANNERET GRIS الملقب بـ لوكوربيزييه LE CORBUSIER (١٨٨٧ - ١٩٦٥م) من أعظم معماريي العالم، فرنسي الجنسية، سويسري الأصل، اهتم في بداية حياته بفنَّيْ الرسم والنحت، وكانت أعماله الفنية حينها تتجه نحو الفن التكعيبي "LE CUBISME"، ثم انصرف إلى الاهتمام بالفكر المعماري ودراسة العمران حتى غدا في هذا المجال مُنَظِّرا كبيراً.

وبفضل أفكاره الجديدة التي لفتت انتباه ذوي الاختصاص بلغت شهرته أصقاع العالم، فلاقت الترحيب من بعضهم والنقد من بعضهم الآخر.

ومن جملة ماكانت تدعو إليه أفكاره الأخذ بعين الاعتبار العلاقة التي تربط بين شكل البناء والوظيفة التي سيستغلها كل جزء

فيض ـ نجد فيها كرامات شتى لأولياء الله الصالحين، منها مايقبله العقل السليم ويدخل في إطار الواقع والحقيقة، ومنها مايرفضه العقل ويدخل في إطار الوهم والكذب والأسطورة والمبالغة والشطحات.

إن الكرامة يهبها الله لمن يشاء، والأولياء يكونون في الأطفال والشباب والرجال والنساء والحمقى. وهذه الكرامة لها شروطها، ومنها الاستقامة، ومن دونها لايمكن أبداً أن يكون الإنسان ولياً من أولياء الله له كرامة من الكرامات، يقول الله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ (فصلت:٤٤) ويقول ـ عز وجل ـ أيضاً: ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ (يونس:٦٢).

والشيء الذي يُلاحظ في زمننا هذا أن الأولياء وكرامتهم تكاد تكون مختفية، إن لم نقل منعدمة، لماذا؟ لأن الإنسان أصبح يحب الدنيا ومافيها أكثر من حب الآخرة، وقلّت الاستقامة وضاعت الكرامة، وأضحى الإنسان يمزجها بالأسطورة والخرافة.

إن الناس إذا كانوا مؤمنين ملتزمين بالاستقامة بعيدين عن التُّرَّهات والأوهام فالله يتولاهم ويهبهم الكرامة.

إن الولاية والكرامة لها سدودها وحدودها. أما الذين يزعمون أن الله قد كشف لهم حجب الغيب، وأنهم يمشون في قبورهم، وهم لازالوا أحياء ويصعدون إلى القمر رغم البعد والنوى وغير ذلك من الخرافات والأساطير التي لايقبلها العقل ولايصدقها المنطق؛ فهذا كله بهتان وضلال وكفر وإجرام.

وأستسمح الأستاذ الشيخ محمد فتحي راشد الحريري، لأن مقاله استرعى انتباهي مما جعلني أناقشه توخيا للفائدة ووصولاً إلى فهم الكرامة والولاية الحقيقية.

سومع عبدالسلام
تمسمان ـ المغرب

منه، بالإضافة إلى عدة أفكار تصب معظمها فيما يسمى بالفكر أو الفلسفة العمرانية للبناء، وقد ظهرت في مشاريعه المعمارية المشهورة التي أنجزها في فرنسا وخارجها منها:

* وحدات سكنية بمدينة "مرسيليا" "MARSEILLE"، (حي راديوز) "CITE RADIEUSE" أنجزها بين عامي ١٩٤٧م و ١٩٥٢م.

* وحدات سكنية بمدينة "نانت روزي" "NANTE-REZE"، أنجزها بين عامي ١٩٥٢م، ١٩٥٧م.

* وحدات سكنية بمدينة "براي" "BRIEY" أنجزها بين عامي ١٩٥٥، ١٩٦٠م.

كما أنجز عدة مخططات لسكنات فردية، أشهرها على الإطلاق، فيلا سافوي "VILLA SAVOYE" استخدم فيها عصارة أفكاره المعمارية الجديدة التي لم يعرفها العالم من قبل، فأحدث بها ثورة معمارية حقيقية؛ استغل الفضاء بشكل جيد في تركيبات هندسية متناسقة، واستعمل لعبة المنحدرات والظل والضوء والشفافية (من الداخل إلى الخارج) وجدران الفصل المتحركة "LES CLOI-SONS MOCILES".

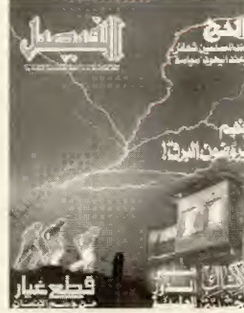
كما أنجز أيضا المخطط العمراني لعاصمة البنجاب "PENJAB"، مدينة شانديغار "CHANDIGARH"، وذلك في سنة ١٩٥٤م، وكنيسة مدينة رونشوم "RONCHAMP" المعروفة باسم "LA CHAPELLE DE NOTRE DAME DE HAUT" وذلك في سنة ١٩٥٥م، في هذه الكنيسة تبحر فكره بالمنعرجات والضوء اللذين يؤديان دوراً كبيراً، كما تجدر الإشارة إلى أنه عند إنجازه لمخطط هذه الكنيسة اقتبس بعض التقنيات المعمارية ـ لبلورة أفكاره المعمارية الحديثة ـ من طريقة بناء مسجد سيدي إبراهيم بمدينة العطف بوادي ميزاب بالجنوب الجزائري.

كما أظهر المعماري "لوكوربيزييه" أفكاره المعمارية من خلال مؤلفاته العديدة التي يتجاوز عددها العشرين كتاباً، أشهرها:

- VERS UNE ARCHITECTURE 1923
- LA CHARTE D'ATHENES. 1943
- LE MODULOR. 1950

عبدالرازق بريّم
الجزائر العاصمة ـ الجزائر

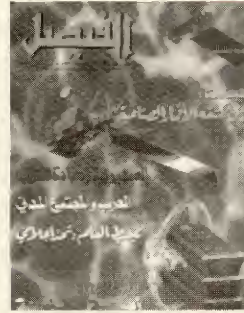
هل هو تعصب نسائي؟!



أكتب لكم هذه الكلمات رداً على ماكتبه عبدالغفور الخطيب في العدد «٢١٠» تحت عنوان "تربية جديدة للمعلمين" ضمن باب "مناقشات وتعليقات"، حول واقع التعليم، ولكن أرجو ألا تعتبروا كلامي هذا تعصباً نسائياً، لأن غرضي الأساسي توضيح وجهة نظري وبيان بعض الأمور التي أغفلها الكاتب، وأهمها أن خريج أو خريجة المعهد ليس بتلك الصورة التي ذكرها. لأن طالب المعهد يتعلم ويتدرب على أحدث الوسائل التربوية التي تخدم طلابه في المستقبل. ولاننسى أن معاهدنا في سورية متميزة في معدلاتها العالية، فأنا أعرف الكثير من الزملاء الذين حازوا على علامات تؤهلهم لدراسة الطب والهندسة ولكنهم فضلوا المعهد. وقد يكون السبب الرئيسي لذلك أن الوظيفة مضمونة بعد التخرج، ولكن هل إمكانات طالب الطب والهندسة ضعيفة؟.

أنا معكم أن هناك نسبة كبيرة من المعلمين والمعلمات ـ خصوصاً ـ لايصلحون أبداً لأداء هذه المهنة التي هي من أشق المهن، وأكبر مثال على ذلك ماشاهدته في إحدى المدارس الابتدائية في قريتنا، معلمة كلفت طالبة بإحضار كمية من العدس وكلفت الأخرى بالبرغل (القمح المجروش) والثالثة بالإناء والرابعة بالمقبلات والنتيجة طبق من المجدّرة مع المقبلات، والوسيلة الوحيدة لإسكات المديرة هي إشراكها في الطعام معهن، فأين المبادىء والأخلاق والأمانة التي وضعت في

إمارة الشعر بين شوقي وحافظ



قرأت في مجلة "الفيصل" العدد «٢٠٢» مقالاً شيقاً للدكتور محمد رجب البيومي تحت عنوان "طه حسين وإمارة الشعر"، بيد أنه لم يُعْط أهمية لرأي طه حسين في إمارة شوقي أو حافظ إبراهيم وأيهما أحق بالإمارة في نظره، لذلك أردت أن أسلط الضوء على موضوع إمارة الشعر بين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي من وجهة نظر طه حسين.

من المعروف أن كلا من الشاعرين قد أحيا الشعر العربي وردّ إليه نشاطه ومهد له الطريق للقوة والظهور، وكان كل من الرجلين يعرف قدر نفسه وقدر أخيه، ولكن الطموح غلب نفس حافظ على صاحبه فترة من الزمن، فلما غلبه اليأس داراه، وماراه ولذعه كثيرا في غيبته بالشعر والنكتة في مجالسه الخاصة، وإن يكن استسلم له في الجهر واعترف له بالإمارة.

فقد كان حافظ المنافس العنيد لشوقي، ولكنه على الرغم من هذا كان هو المتحدث باسم شعراء العرب وهو يخطو تجاه شوقي حيث يجلس في مقصورته، مرددا بين يديه قصيدة المبايعة التي يقول في مستهلها:

بلابل وادي النيل بالمشرق اسْجِعي
بشعر أمير الدولتين ورجعي
اعيدي على الأسماع ماغردت به
براعة شوقي في ابتداء ومقطعِ

وصولاً إلى البيت المدوي:

أميرَ القوافي قد أتيت مبايعا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

أعناقهم لبناء الأجيال بناءً يرتكز على أسس سليمة؟!.

وهناك ناحية أخرى أود التطرق إليها هي قول عبدالغفور الخطيب: "إن ساحة التعليم أصبحت مهزلة بوجود المرأة"، وقوله: "إن وجود المرأة في هذا الحقل ضرره أكبر من نفعه". ولاأدري ماالذي جعله يكتب هذا، ألا يعرف أن المرأة بعواطفها الجياشة التي تمثل الحاسة السادسة بالنسبة لها تستطيع أن تتعرف على مايدور في خَلَد تلاميذها؟

فالمعلمة تعطي كل ماعندها بصدق وشعور بالمسؤولية لأنها تملك مالايملكه الرجل، ألا وهو إحساس الأمومة، فهي تحب تلاميذها كأولادها وتتمنى لهم التفوق المتميز كما تتمناه لأولادها، لذلك لاتتهاون في أداء واجبها أبداً، وهناك حالة واحدة يجب أن تبقى فيها المعلمة في البيت لرعاية أسرتها وهي حالة تقصيرها في أحدهما على حساب الآخر، عندها يجب إلزامها بالتخلي عن التعليم والتوجه إلى البيت والأسرة والأطفال.

ولاأدري لماذا تضايقت مماكتبه الأستاذ عبدالغفور، لأنني وازنت كلامه بنفسي، فلم أجد وجه تشابه ولو بنسبة ١٪، لأن الأسلوب الذي تعلمته في المعهد هو التعامل مع الطلاب بطريقة تربوية سليمة تجعل الطالب يشعر أنه يتعامل مع صديق أو أخ لامعلم أو مدرس، والنتيجة تكون تفاعلاً مثمراً بين الطالب ومعلمه ونجاحاً مؤكداً، لأن المعلم هو الذي يجعل الطلاب يحبون مادته أو يكرهونها.

وفي الختام أقول إن كل ماكتبه الأستاذ عبدالغفور كان صحيحاً، ولكنه عممّ قوله على الجميع ونسي أن أصابع اليد ليست متساوية، فهناك فئة لابأس بها تقدّر المسؤولية والأمانة ولاتتهاون في أداء واجباتها على أكمل وجه، ولاأستطيع أن أتصور إنساناً مرتاح الضمير متهاوناً في واجبه. فيامن ينطبق عليكم هذا أفيقوا من نومكم وانظروا إلى فلذات أكبادنا وبناة مستقبلنا وسيروا معهم على الطريق القويم ليحقق كل منهم ماتصبوا إليه نفسه، ولاتنسو أن الله حسيب رقيب.

فادية العمر
مدرسة في ثانوية حسين القامن
حماة ـ سورية

ويجب أن لانغفل أن لشوقي أياديَ بيضاء كثيرة على حافظ، منها أنه كان يصله ويحدب عليه في ضوائقه المالية، وأنه سعى له عند داود بركات ليعينه محرراً في "الأهرام" فلم يفلح، فخاطب القصر في شأنه، فجعل القصر له راتبا ظل يُصرف له حتى نهاية حياته، لذلك لان ناب حافظ مع القصر، وكذلك مع شوقي نفسه واعترف لشوقي بالإمارة في قوله في مدح الخديوي عباس:

لم يبق «أحمد» من قول أحاوله

في مدح ذاتك فاعذرني ولاتَعِبِ

لكن طه حسين كان يرى دوما أن حافظ أحق بالخلافة من شوقي، فقد روى رأيا في بعض كتبه لأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد وأقره عليه، يقول طه حسين:

"كنت مرة عائدا مع الأستاذ أحمد لطفي السيد بعد أن حضرنا اجتماعا لتخليد ذكرى حافظ قبل أن يموت شوقي، وكنا نتحدث في أمر الشاعرين، فقال لطفي بك: لقد خدعني حافظ عن نفسه كما خدعني شوقي عنها، كنت ألقى حافظا في أول عهده بالشعر، وكان يُسمعني كثيرا من شعره فلايعجبني فقلت له ذات يوم: أرِحْ نفسك من هذا العناء فلم يخلقك الله لتكون شاعرا"، ولكنه لم يقبل نصحي وحسناً فعل، فمازال يجدّ ويكدح حتى أرغم الشعر على أن يذعن له، وأصبح شاعرا، وكنت شديد الإعجاب بشعر شوقي، أقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة وأثني عليه كلما لقيته، فمازال شوقي يكسل ويقصر في تعهد شعره حتى ساء ظني بشعره الأخير". هذا هو رأي لطفي السيد الذي رواه طه حسين وأقره عليه.

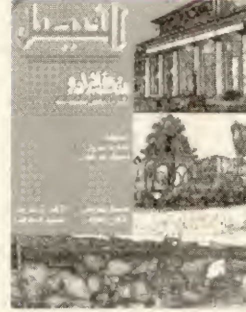
وعلى الرغم مما كان بين شوقي وحافظ، شاء الله أن يضمهما الموت في عام واحد هو عام ١٩٣٢م، وقد سبق حافظ صاحبه إلى طريق الله، فنظم فيه شوقي مرثيته الرائعة التي مطلعها:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي

يامنصف الموتى من الأحياء!

صلاح عبدالستار الشهاوي
طنطا ـ مصر

حتى لاندفع الثمن : أفكار أخرى



قرأت موضوعين في هذه المجلة الحبيبة والقريبة من القلب، الأول بعنوان: "حتى لاندفع الثمن" للأستاذ محمود رداوي في باب "على موعد" العدد «٢٠٦» لشهر شعبان ١٤١٤هـ، والثاني بعنوان: "تربية جديدة للمعلمين" للأستاذ عبدالغفور الخطيب في باب "مناقشات وتعليقات" العدد ٢١٠ لشهر ذي الحجة ١٤١٤هـ. وفي الحقيقة أعجبت بهما كثيراً لأنهما يدوران حول مشكلة تربوية تهم كل مربّي.

أرجو أن تسمحوا لي أن أضم صوتي إلى هذين الكاتبين وموافقتهما بالرأي على أن مستوى معلم المرحلة الابتدائية متدنٍ وثقافته ضحلة وخبرته قليلة، ولايصلح -في كثير من الأحيان- للعملية التربوية مادام يعوزه أحد هذه العناصر الثلاثة. وأحب أن أضيف إلى ذلك بعضاً من النقاط حول هذا الموضوع:

أولاً - بالنسبة لما قيل عن المدرس لاجدال فيه

ثانياً - مدير المدرسة : نجد أن مدير المدرسة يحمل صفات مدرِّسيه من مستوى وثقافة وخبرة، فهو بمجرد إسناد سلطة إدارة المدرسة إليه، أصيب بشيء اسمه الغرور، مما يترتب عليه الإدارة التسلطية التي ينعكس أثرها في أبنائنا الطلاب من خلال تعامله مع مدرسيه. هذا المدير لم يحاول أن يطوِّر أو يثقف نفسه بالحصول مثلاً على شهادة جامعية، سواء عن طريق الانتساب أو التفرغ وهذا خاص بوزارة المعارف. وهذه الشهادة قد تمكنه من الحصول على قدر عال من الثقافة والمعرفة والشورى في المدرسة. وعلماء التربية يصفون مدير المدرسة بأنه موجه تربوي مقيم. وإذا كان هذا الموجه المقيم يعوزه الثقافة والخبرة اللازمان فلاخير في عمله.

ثالثاً - جدول الحصص الأسبوعي:

تلاميذ المرحلة الابتدائية -في الغالب- يعانون من الضعف الشديد خاصة في مادتي الرياضيات والإملاء؛ مما قد يتسبب هذا في مشكلة كبيرة لدى التلميذ في مقتبل حياته مما يترتب عليه الإحساس بالإخفاق والفشل. هذه المشكلة

الحداثة ضرورة حتمية وعجلة التاريخ لاتعود إلى الوراء!!



بشغف زائد طالعت الحوار الذي أجرته مجلتكم في العدد «٢٠٨» لشهر شوال ١٤١٤هـ مع القاص والمسرحي مراد السباعي . وقد استوقفني - حقا - كلامه حينما سئل عن رأيه في القصة في وضعها الحالي، فقد ذهب إلى أنها ككل الألوان الأدبية تميل نحو الانحدار. فهي تجنح إلى الإبهام والتعتيم وعدم الوضوح، وعلى ذلك لايوجد بين القاصين الشباب من هو جدير بأن يُقرأ له. وحينما تنحسر موجة الحداثة ستستعيد القصة مكانتها البارزة كما كانت في الخمسينيات والستينيات.

إن رأيا كهذا، لاسيما أن صاحبه أديب خبر هذا الفن ومارسه لسنوات طوال، لهو جدير بأن نقف عنده ونناقشه بتجرد تام . فأن يدعو الأستاذ مراد السباعي إلى أدب قصصي جاد لايكون فيه التقعُّر اللفظي ولا الإغراب الأسلوبي هدفا بغية إضفاء تقنية مصطنعة على الأثر الأدبي، فهذا أمر لانختلف معه فيه، بل نضم أصواتنا إلى صوته ونشاركه دعوته، أما أن يدرج الأعمال القصصية الحالية كافة في هذا النوع ويجعل الحداثة هي

حدثت بسبب عدم وجود المدرس المؤهل تربوياً من ناحية وجدول حصص هاتين المادتين من ناحية أخرى. وفي رأيي فإن حصص هاتين المادتين لاتكفي ولاتفي بالغرض. ويجب أن تزاد وتؤخذ من حصص مواد أخرى تقل في أهميتها عن هاتين المادتين، كالتربية البدنية أو التربية الفنية على سبيل المثال. فعالمنا اليوم أصبح عالم كمبيوتر، عالم ذرة، عالم فضاء وحرب نجوم. لقد صعدوا إلى القمر بفضل الاهتمام بالعلوم العقلية وليس بفضل كرة قدم أو رسم لوحة فنية.

رابعاً : الدوريات الخاصة بتثقيف المدرس :

في بريطانيا هناك مجلة شهرية تعرف بإسم Modern English Teacher (M.E.T) خاصة بالمدرس الحديث الخبرة، يطرح ويعرض فيها متخصصون في هذا المجال آراءهم ومقترحاتهم وبحوثهم حول هذه العملية التربوية. وليت لدينا مثل هذه المجلة تصدر شهرياً من قبل المربين القدامى والمهتمين بأمر التربية، ويكون المجال فيها مفتوحاً لمن يريد أن يدلي بالجديد الطريف في مجال التربية والتعليم، ولنقتفي أثر هذه البلاد التي لها باع طويل في مجال التعليم.

خامساً - الطلاب الموهوبون والمتفوقون دراسياً:

هؤلاء الطلاب هم ثروة غالية وكنز ثمين يجب استغلاله حتى يعود بالنفع الدائم والفائدة المرجوة لمجتمعه. هؤلاء هم ركيزة كل مجتمع حضاري إذا أحسنت متابعتهم ورعايتهم. ولذا وجدنا بعض دول العالم تفطن إلى هذا الأمر وتخصص لهم فصولاً دراسية خاصة بهم وتختار لهم أكفأ العناصر من المعلمين، وقد تضيف إلى المواد التي يدرسونها مواد ذات مستوى خاص بهم، تؤهلهم لمكانة الريادة في مستقبلهم، ومما لاشك فيه أنه يوجد في المملكة العربية السعودية خامة نادرة من هؤلاء الطلاب استمدت جذورها من أصالتنا العربية وبيئتنا المحيطة بنا، والتي قد تسهم في بناء كياننا الحضاري.

إن محور كلامنا هو أطفالنا جميعاً. هم بحاجة إلى مدرس واع بكل علوم التربية الحديثة وأساليبها، هم بحاجة إلى مدرس ذي خبرة طويلة في مجال التربية، وذي تأهيل جامعي على الأقل. وليت المسؤولين يكرمون المدرس الجامعي القديم الخبرة بالتدريس في المرحلة المتوسطة، وعندما تزداد خبرته أكثر يُرقّع ويكرَّم ويقوم بالتدريس في المرحلة الابتدائية.

والذي أريده من هذا أن المدرس الحديث التخرج يقوم بالتدريس مباشرة في المرحلة الثانوية، وذلك لأن معلوماته الحديثة أقرب إلى معلومات الثانوية، أما المرحلة الابتدائية فتحتاج إلى المدرس الجامعي الطويل الخبرة في مجال التدريس الذي يعامل هؤلاء التلاميذ وهو يفهم متطلبات هذه المرحلة، وأثرها في بناء شخصية التلاميذ وتوجيههم التوجيه السليم.

إن هذا الطفل - محور موضوعنا - أمانة في أعناقنا جميعاً أودعها الخالق جل وعلا، وسوف يسألنا عما أديناه تجاهها ولنسأل أنفسنا -بصفتنا مربين- هل أدينا الواجب الإنساني تجاه هذه الأمانة؟

سعد مهدي بني هميم
نجران - متوسطة الجفة

المسؤولة عن ذلك، ويتحدث عنها كأنها داء أصاب شريان الأدب، فهذا لعمري الغبن كل الغبن.

إن القصة تُعنى أكثر ماتُعنى بإضاءة اللمحة الإنسانية، واللمحة الإنسانية هذه قد تتمحور ضمن حدث بسيط أو جزء من حدث أو ربما تكون موقفا أو حركة لشخص أو مجموعة شخوص، ولا مندوحة لقاص يقتنص هذه اللمحة، إلا أن يرتاد سبيل اللغة المكثفة الموحية القادرة على أن تجعل القارىء يستدر صورا ومعاني وتهويمات ليست بالضرورة مسطورة في الأثر الأدبي، فيجد فيما يقرأ قبسا من آماله وتطلعاته ومشاركة جادة لآلامه وأتراحه ليست من الغموض والإبهام والتعتيم في شيء. ومايجب أن نعيه تماما أننا نعايش واقعا يسير في صيرورة متسارعة، فتبزغ قيم وتزول أخرى، ويدفع إنسانه ضريبة الترف التقني انفعالات وتعقيدات نفسية حادة فيتمزق بين ماهو كائن وبين مايجب أن يكون، وفي واقع كهذا لن تكون البساطة بشكل من الأشكال معادلا طبيعيا لما يحسه ويشعر به القارىء والأديب سواء أكان قاصا أم شاعرا أم مسرحيا .

إن موجة الحداثة هذه ـ شئنا أم أبينا ـ ضرورة حتمية اقتضتها ظروف الواقع المعيش بكل متغيراته ومستجداته، ولاأعتقد أن العمل القصصي، الذي يتملق اللفظة المستهلكة والأسلوب السطحي المباشر، قادر على أن يكون وعاءً صالحًا يستوعب ما يتطلع إليه إنسان هذا العصر . فمن أراد أن يجثم في قمقم القديم، يتعبد في محرابه ويرفض كل جديد، وينادي بضرورة التزام أسلوب معياري يراه صالحا لكل زمان، عليه أولا أن يوقف عجلة التاريخ السائرة قدما، فإن استطاع كنا معه، ولا أظن أحدا يستطيع.

شعلان عندو
حمص ـ سورية

ردود خاصة

الأخ علي ناصر الغامدي - الطائف:
يمكنك الحصول على مجلدات «الفيصل» من مكتبة وج بالطائف.

الأخت آمنة بنت محمد عزمي - خريبكة - المغرب:
الجائزة أرسلت إليك على عنوانك بالفعل في حينها، غير أن ساعي البريد لم يستدل عليه فعاد إلينا الشيك. رسالتك الأخيرة وصلت ووجدنا فيها اختلافا بين العنوان الموضح فيها والعنوان السابق. عموما أرسلنا إليك الشيك مرة أخرى على العنوان الأخير.

الأخ صلاح عثمان مصطفى - الدمازين - السودان:
ملاحظتك الخاصة بالتوزيع محل اهتمام القسم المختص. أما فترة المسابقة فمعقولة ولا تسبب انتظارًا طويلاً بين نشر الأسئلة وظهور النتائج.

الإخوة والأخوات: شادن عبد الله العجارمة - عمان الأردن، محمد وليد دمشقي ومحمد مروان مراد - دمشق، محمد ميرعي - حلب - سورية، جمال عبد الله - المنستير - تونس، نادي بوفرة - البويرة، بلفار عبد الرشيد - المسيلة - الجزائر، أحمد أمنو - أغادير - المغرب:
الأعداد المطلوبة في طريقها إليكم إن شاء الله.

الأخ شامي جلول - عين الدفلى - الجزائر:
سرَّنا اهتمامك بالمنتخب السعودي لكرة القدم وتشجيعك له، لكن مثل هذا الموضوع ليس من اهتمامات المجلة.

الأخ محمود حسن ربّاع - عمّان - الأردن
رئيس التحرير يشكرك على تهنئتك وتحياتك الطيبة.

الأخ بحوصي الحاج زايد بن محمد - الأبيض - الجزائر:
نرجو الكتابة مرة أخرى بخط واضح مقروء، للأسف لم نتبين شيئا مما كتبت لعدم وضوح الخط.

الأخ صبحي أحمد إبراهيم - حلب - سورية:
لم يسبق أن وعدنا القراء الأفاضل بجمع المسابقات في مجلد واحد - على حد علمنا فالمجلدات تضم الأعداد كلها وليست المسابقة وحدها.

الإخوة فروف يونس وعادل عزوز - قسنطينة، مشتر سلامي ومختاري عمر - المسيلة، الأخضر قمري - وهران، بلخير علي - تمنراست - الجزائر:
ليس لدينا ركن للتعارف، مع ترحيبنا بالجميع أصدقاء للمجلة.

الأخ عادل عزوز - قسنطينة - الجزائر:
دليل الاشتراك الذي ذكرته في رسالتك لا نعرف عنه شيئا، ولا علاقة لنا به على

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

الإطلاق.

الأخ المزواري عبد السميع المزواري - أغادير - المغرب:

شكرا على مشاعرك الكريمة. يمكنك الكتابة بشأن مطبوعات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى المركز مباشرة، أما الأعداد التي طلبتها فهي في طريقها إليك إذا كانت متوافرة لدينا.

الأخوين زيتوت فريد - بجاية ، محمد الطيب لقرع - الوادي - الجزائر:

حبذا لو حددتما أسماء الصحف والمجلات التي ترغبون في الحصول على عناوينها، وشكرا

الأخ طلال صالح عبد اللطيف الظفر - الهفوف - الأحساء:

المجلة لاتقدم اشتراكات مجانية لقرائها، أما الطلاب والطالبات فيمكنهم الاستفادة من التخفيض المخصص لهم وهو لايزال ساري المفعول.

الأخت هوارية براشد - سي بلعباس - الجزائر:
نعتز بمشاعرك الطيبة ونشكرك عليها.

الأخ محمد عماد كفتارو - دمشق - سورية:

«الفيصل» تصدر بلسان عربي مبين، وهي موجهة للقراء العرب وللقارئين بالعربية، فما الداعي لكتابة رسالة باللغة الإنجليزية؟!

الأخ الحاج أقويدر محمد - أدرار - الجزائر:
سنرسل لك قائمة بما نشر في «الفيصل» عن الأستاذ عبد العزيز الرفاعي - رحمه الله - أما استفساراتك الأخرى فسترد عليها الأقسام المختصة - بالمجلة.

الأخ بلعيد رحوي بن عمرو - برج منايل - الجزائر:
رسالتك المطولة وما حوته من مشاعر فياضة محل تقديرنا. وما أسميته بـ «قصتك» مع «الفيصل» ستنتهي نهاية سعيدة إن شاء الله بعودة المجلة إلى الأسواق الجزائرية.

الإخوة والأخوات: عمر السر وقيع الله والصادق الأمين - السودان، عبد الناصر شاهين - دمشق - سورية، شهيناز بن جاب الله - قسنطينة - الجزائر، بلحاج محمد - تطوان - المغرب:
نأسف لعدم تلبية رغباتكم لكونها خارج نطاق اختصاص المجلة، مع تمنياتنا لكم بالتوفيق.

الإخوة: محمد أحمد القاوي - قنا - مصر، ياسر الصالح - درعا، علي خربوطلي - حلب - سورية، لمكيلدي ربيع - الدار البيضاء، مسعود الكلميمي - تارودانت - المغرب:
الكتب التي ننشر عنها في بابَيْ «كتب وردت إلى المجلة» و «الحركة الثقافية في شهر» خدمة إعلامية في حد ذاتها تنحصر في ما تقدمه من معلومات متاحة، ونأسف لعدم إمكان تقديم خدمة أوسع من ذلك كإرسال نسخة من الكتاب أو إيضاح عنوان الناشر... إلخ.



العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:
السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٢٥ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٢٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنكًا - لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:
يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد

أساطير إفريقية



د. علي شلش

ترجم الأستاذ محمد عبدالواحد كتاباً صغيراً في مصر يضم مجموعة طريفة من الأساطير الإفريقية. وإذا ذكرنا هذه الأساطير فلابد أن نذكر غناها بالدلالات والمعاني. وإذا كانت كلمة «ميثوس» اليونانية القديمة تعني «الملفوظ» أو كل ماينطق به الفم فهي تعني أيضا الحكاية الخيالية البعيدة عن الصحة والمنطق، التي تضم كائنات غير عادية أو مخلوقات خارقة. وبهذا المعنى ارتبطت الكلمة بأصل الكون والخليقة، ونشأت عنها كلمة «الأسطورة» في اللغات الأوروبية.

ومن صفات الأسطورة أنها تفسر أصل الأشياء والكائنات والمخلوقات، وتنطوي على المشاعر والمفاهيم جنباً إلى جنب، وتسعى في جوانبها البدائية إلى تفسير نظام الطبيعة والقوى الكونية. ومن حصيلة الأساطير القديمة نشأ الأدب عند الإغريق وغيرهم، ثم تطور بعد ذلك إلى ماهو عليه اليوم. وهذا هو أحد أسرار الحنين الدائم في الأدب الأوروبي - على سبيل المثال - إلى الأساطير الإغريقية والرومانية، ولاسيما عند الشعراء.

ولكن الأساطير الإفريقية خارج مجال اللغة العربية ليست مجرد حكاية تُروى أو رمزا يُحَنُّ إليه، وإنما هي جزء لايتجزأ من المجتمع الذي ينتجها، تخاطب أبناءه، ويتصل بها هؤلاء الأبناء، ويتخذونها أداة ووسيلة لتحصيل المعرفة والعلم. وفي سبيل هذه الغاية تكتسب الأسطورة الكثير من الجدية والرمزية في آن واحد.

لم تصلنا هذه الأساطير - على أي حال - عن طريق الأفارقة، وإنما وصلتنا عن طريق المستفرقين الأوروبيين بوجه خاص. ومن الواضح أن هؤلاء المستفرقين فتنوا بما سمعوه من أساطير في المجتمعات الإفريقية البسيطة، وجذبتهم بلاغتها الشعبية، واستهوتهم رمزيتها، فسجلوا الكثير من ألوانها.

ومن هؤلاء المستفرقين الألماني أولي باير، ذلك الباحث الذي سحرته إفريقيا فأنسته أوروبيته، وجعلته يفضل الإقامة في شرق إفريقيا على العيش في غرب أوروبا.

وقد بذل هذا الرجل جهودا ملحوظة في جمع التراث الشعبي وتسجيله ودراسته.

وخرج من جهوده بعدد من الكتب التي تقوم اليوم مقام المراجع، ومنها هذا الكتاب الصغير حجما، الكبير فائدة.

أما مترجم الكتاب الأستاذ محمد عبدالواحد، فهو رجل استهوته إفريقيا خارج مجال العربية مثلما استهوت باير وسواه. وقد أقام وعمل سنوات في نيجيريا قبل أن يقدم على ترجمة ألوان من أدبها. وأسلوبه في الترجمة يتوخى الدقة مع بساطة التعبير ووضوح المعنى، مما يزيد هذه الأساطير الإفريقية الطريفة جاذبية وتألقاً. وهذا أضعف الإيمان عند ترجمة الأدب.

● من مجموعة المقالات التي خص بها الكاتب - رحمه الله - «الفيصل» قبل وفاته بشهرين.